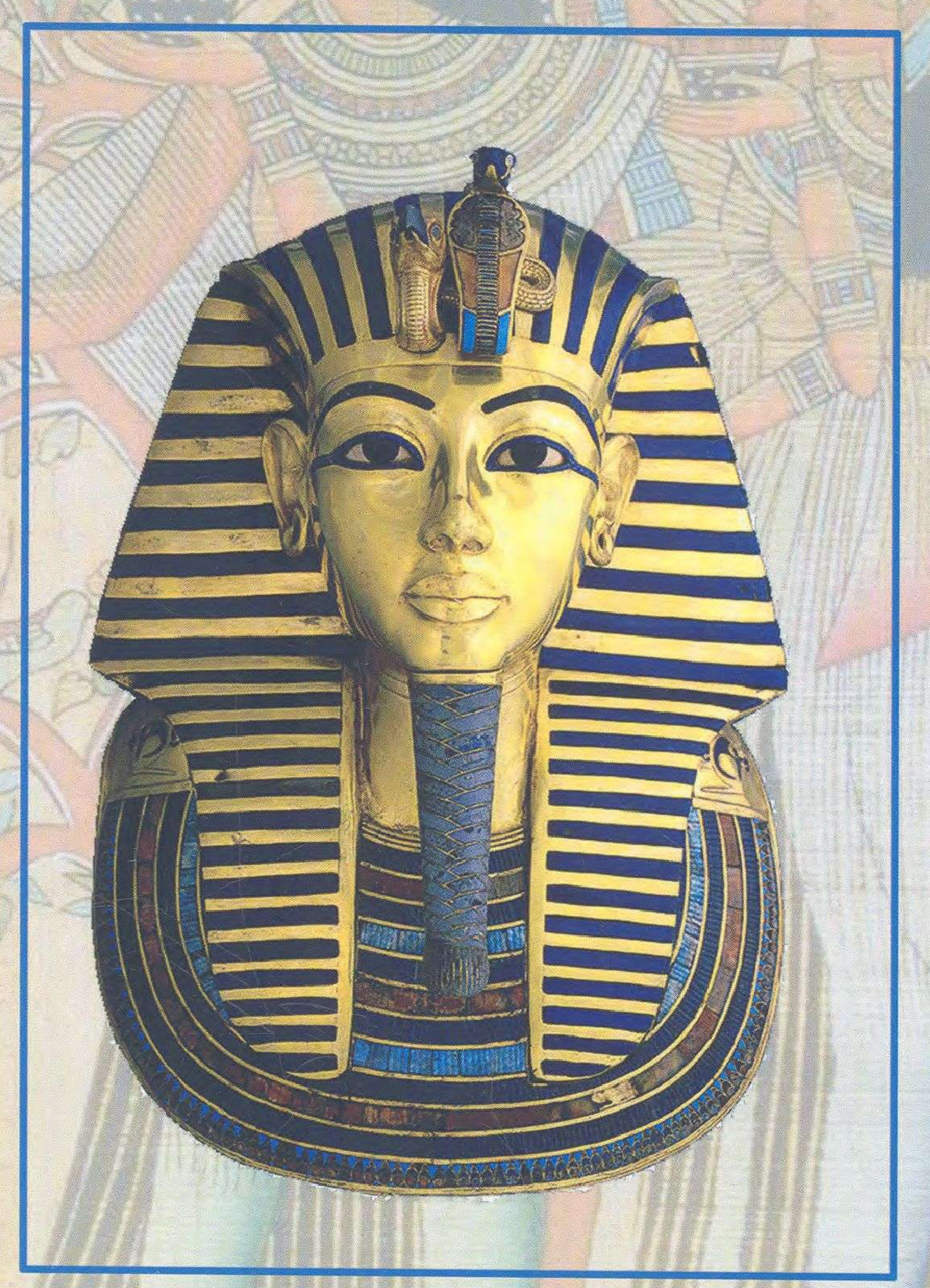
المركز القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة



ملوك النيل



تأليف: إدان دودسون

ترجمة: مروة سعيد الفقى

1529



تعاقب على حكم مصر كدولة عدة ملوك عرفوا بلقب "الفرعون" بداية بالملك نارمر ونهاية بالملك "نختنبو الثانى". وبرحيل الملك الأخير تولى الحكام والملوك الأجانب زمام الأمور فى مصر لأكثر من ألف عام. لذلك وجدنا هنا أنه من واجبنا أن نكتب بالتفصيل عن الملوك الفراعنة بالتتابع لتقديم فكر واع للقارئ العادى عن حياة وعصور بعض الملوك المميزين مُنذ توحيد البلاد، كما أنه قد تم التركيز على حياة وأعمال وآثار هؤلاء الملوك والملكات (الحاكمات). يعد هذا الكتاب قائمة لملوك مصر مرتبين ترتيبًا زمنيًا منذ ثلاثة ألف عام قبل الميلاد وموثقة بالمراجع المعروفة ونقوش المقابر المكتشفة.

تصميم الغلاف: حسن كامل

ملوك النيل

المركز القومى للترجمة
إشراف: جابر عصفور

- العدد: 1529
- ملوك النيل
- إدان دودسون
- مروة سعيد الفقى
- الطبعة الأولى 2010

هذه ترجمة كتاب :

Monarchs of the Nile, 2nd edition

By Aidan Dodson

113 Kasr El Aini, Cairo, 11511, Egypt

420 fifth Avenue, Newyork, Ny 10018, USA

www.aucpress.com

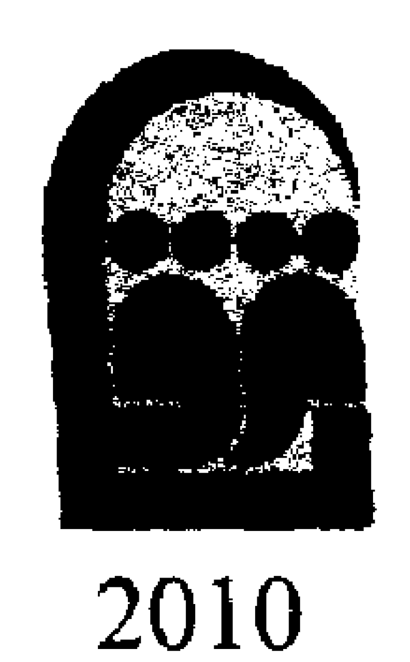
شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت: ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس: ٧٣٥٨٠٨٤

EL Gabalaya st. Opera House، El Gezira، Cairo

E-mail: egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524 - 27354526 Fax: 27354554

ملوك النيل

تــألــيــف: إدان دودسون
تــرجمـــة: مروة سعيد الفقى



2010

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

دودسون، إدان.

ملوك النيل: تأليف: إدان دودسون ، ترجمة: مروة سعيد الفقى
ط ١ – القاهرة : المركز القومى للترجمة ، ٢٠١٠
٢٣٦ ص ، ٢٤ سم
١ – القصص التاريخية.
٢ – القصص الإنجليزية.
(أ) الفقى ، مروة سعيد (مترجم)
(ب) العنوان ٨٠٨,٨٣٨١

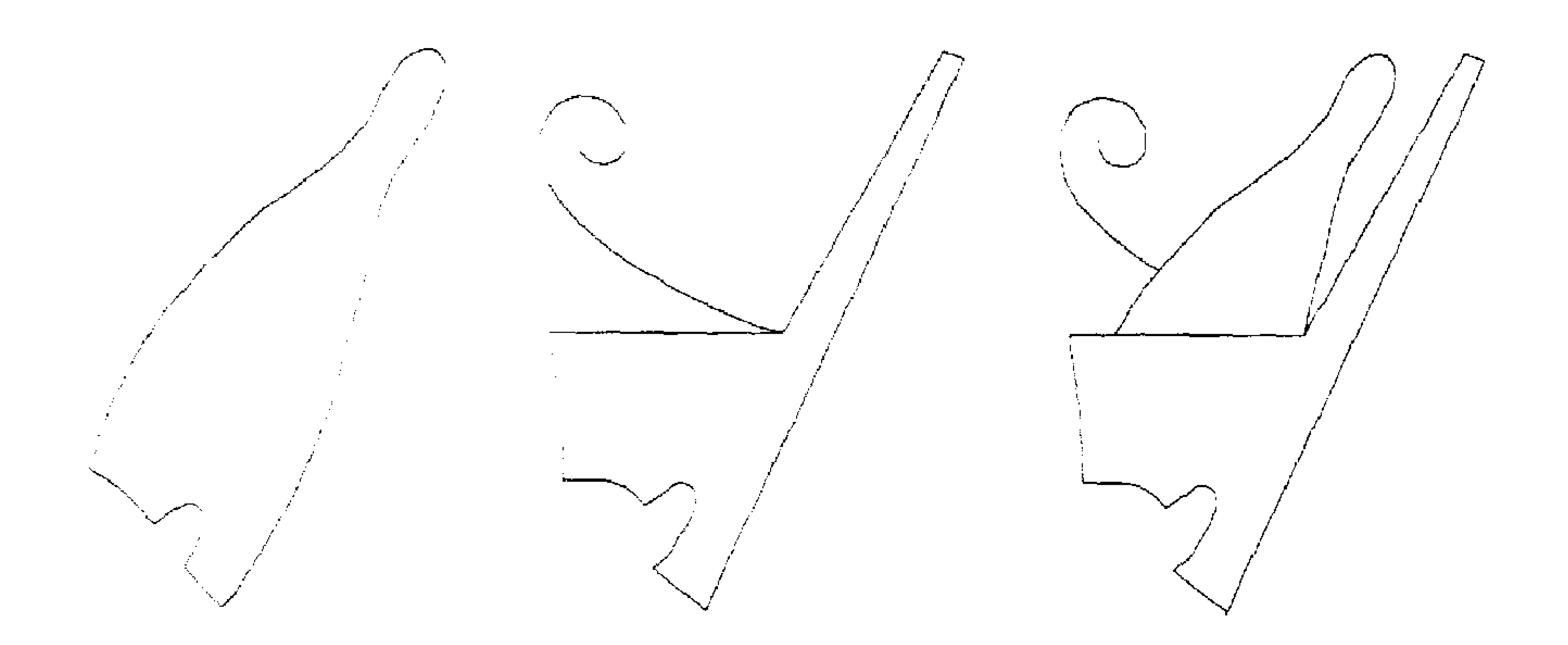
رقم الإيداع ٢٠٠٤٤ / ٢٠٠٩

الترقيم الدولى: I.S.B.N 978 - 977- 479 - 611- 0

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

المحتويات

ملـــوك النـــيل



إهداء

شكر وتقدير

تعرض معظم علماء الآثار المصرية لكتابة التاريخ المصرى فى مرحلة معينة من عمرهم، لكن هذا الكتاب يتعرض لما قد يتطور (أو لا) لشيء أكبر يوما ما. على كل حال، فإنى أتوجه بالشكر إلى "جورج هارت" لجهوده فى إظهار هذا الكتاب فى الوقت المحدد وكذلك "أثنا باج" و"جوانيتا هومان" لإصدارهما أول نسخة، و"نيل هيويسون" و"باولينا ويخام" على جهودهم الخاصة.

معظم الصور أخذها المؤلف مع تعريف المادة الخاصة بالمؤسسات. أتوجه بالشكر إلى "جاكى فيلبس" للسماح لى بزيارة أرشيفه الخاص "بالسودان".

وقفت الدكتورة "سليمة إكرام" إلى جانبى عند نشر الطبعة الثانية لهذا الكتاب كما كانت من بين أصدقائى وعائلتى الذين قرءوا وعلقوا على مسودات الطبعة الأولى ومن بينهم "دون وإدنا دودسون" "كرستين إفرال" "نيكول مصطفى" (نى فريمان) "جولى هودسن" "لندا بيك" و"نيامه وال"،وأخص بالشكر "ليندا" من أجل التبرع بوقتها وجهدها لإزالة الغموض عن بعض الأمور من مسودة الكتاب الأولى. "جوليا" أيضا تستحق الشكر لقراءتها الفاحصة للمسودة رغم انشغالها بإنهاء كتابها الخاص فى الوقت المحدد. وأخيرا أود أن أشكر زوجتى "ديان هيلتون" على كل مساعداتها فى القراءة المتفحصة للنسخة الأخيرة من مسودة هذا الكتاب ومن أجل دعمها الكبير لى.

أتمنى للجميع 𓋹𓂘𓋴 "الحياة والصحة والغنى"

مقدمة

انبهر الغرب بملوك مصر منذ القدم وقد ظهر ذلك بداية فى الإنجيل، وبعد قرنين من الحفائر ظهرت للعالم الآثار المادية للملوك وثقافة شعوبهم. فأعظم اكتشاف تم التوصل إليه كان عام ١٩٢٢ وهو مقبرة "توت عنخ آمون"، الذى أثار حماسة كبيرة عند عرض بعض كنوز هذا الملك فى الجولة السياحية التى كانت عامى ١٩٦٠ و ١٩٧٠، وتعد مصر القديمة جزءًا مهمًا من منهج كثير من الدارسين. وبما أنها مصدر إعجاب وولع كثير من الناس على مستوى العالم فذلك يضمن استمرارية الوعى بالحضارات القديمة على كل مستويات المجتمع.

يوجد عدد مميز من القصص التاريخية عن تاريخ مصر القديمة لكن معظم المحدثين يتبنون نظرية شاملة عادلة، حيث يأخذ الحكام الأفراد أدوارًا مساندة فى سير الأحداث العامة. والكتب التى كتبت بتفصيل عن الملوك بالتتابع قديمة جدا وأى دراسة حديثة فى هذه الكتب غير مجدية.

وخلافًا لهذه الخلفية، فإن هذا الكتاب محاولة لتقديم فكر واع للقارئ العادى عن حياة وعصور بعض الملوك المميزين منذ توحيد البلاد حوالى عام ٣٠٠ ق.م حتى زوال الحكم الوطنى بعد ثلاث ألفيات لاحقة. نحن لم نحاول تبديل التاريخ الصحيح لكن الهدف هو توفير مادة روائية من خلال توظيف الملخصات المستمدة من الأحداث الماضية كجزء من السيرة الذاتية الحقيقية.

بعض هؤلاء الملوك، ومنهم تحتمس الثالث كانت له حروب مهمة جدا وقد ذكره شعبه حتى انهيار الحضارة. وآخرون مثل "توت عنخ آمون" نسيه المصريون سريعا لكنه اشتهر فى الثقافة العامة بعد موته بآلاف السنين نتيجة عمل علماء الآثار الحديثين. ومازال الكثير غير معروف خارج الدائرة الصغيرة لعلماء المصريات المتخصصين لكن المستقبل يناديه. وقد كانت نيتى توفير خليط من المناهج الثلاثة كمحاولة لتقديم صورة متوازنة عن ملوك مصر وطبيعة إنجازاتهم.

من خلال عملى أصبحت واعيًا تماما بالفجوة فى معرفتنا والمدى الواسع للتأويلات المحتملة عن دليل (وثيقة) واحد فقط. فى بعض الموضوعات مثل فترة حكم اخناتون وخلفائه المعروف بـــ"عصر العمارنة" الأسرة ١٨ (١٣٩٠-١٣٠٠ ق.م.) توجد كثير من الآراء لكثير من علماء المصريات الذين تعرضوا لهذا الموضوع .

وبالنظر لذلك، فإن أى محاولة لتقديم عمل متوازن عن أى فرعون قد تؤدى إلى تشويه الرواية من كثرة الاستطراد وملخصات المجادلات المتنوعة التى تجعلها غير مقروءة عمليا. لذلك اتخذت قرارى بحذف هذه الاستطرادات قدر الإمكان، واستخدمت فى بعض الأحيان بعض الكلمات مثل "ربما" "تقريبا" و "حتى الآن" عندما أواجه مشكلة.

إن إعادة البناء الروائى القديم توضح ما اعتقدت سلفا انه أفضل القراءات القديمة عن الأدلة المتاحة. هناك بعض الحالات التى راجعت فيها آرائى بدقة مقارنة مع ما ذكرته فى النسخة الأولى من هذا الكتاب والتى قد تحتاج إلى تنقيح وتصحيح فى نسخة ثالثة.

إلى كل من يرغب فى تحقيق أكثر فى الأمور العلمية والنظريات التبادلية التى عقدت لبعض النقاط؛ هناك فهرس قراءات وسير ذاتية عن كل فترة حكم تناولتها. وقد اتخذت قرارًا بالالتزام أولا بالكُتب المكتوبة بالإنجليزية لجعل حجمها مناسبًا ومن ناحية أخرى بالرجوع لطبيعة القراء فى هذا الموضوع ونوع المادة المتوفرة فى المكتبات العامة. معظم الأعمال تحتوى على سير ذاتية ثرية تسمح للتحاور الأدبى الأولى والثانوى باللغة الحالية والأجنبية.

وقد حاولت قدر الإمكان التركيز على حياة وأعمال الملوك والملكات (الحاكمات) أنفسهم وأعطيت آثارهم اهتمامًا ثانويًا. هناك ملوك آخرون تقدم لنا مقابرهم الأثرية كل ما عرف عنهم، ولذلك كان لابد من التعامل معهم بالتفصيل أكثر من حالات أخرى تتوافر لها المصادر. هذه هى الحالة الخاصة فى الفصل الذى يغطى العقود البائدة والدولة القديمة، حتى وقتها صنعت محاولة للغوص خلف الوصف المجرد للسماح للقارئ بكسب بعض التقدير للأفراد الذين كانوا "ملوك النيل".

إدان دودسون قسم الآثار

جامعة بردستول

١ مارس ٢٠٠٠

الفصل الأول

الأرض وشعبها

تبلغ مساحة جمهورية مصر العربية الحديثة حوالى ٩٢٢,٠٠٠ كم مربع، وتقع فى الزاوية الشمالية الشرقية لقارة أفريقيا. ٤% فقط من هذه المساحة مسكونة ويوجد عدد قليل من السكان فى واحات الصحراء الغربية، أما الأغلبية فتسكن الشريط الضيق من الأرض حول نهر النيل. وهذا الشريط من الأرض الضيق هو ما عرفت به مصر وهى مقسمة إلى قسمين: المنطقة الجنوبية الزراعية ويختلف عرضها من مكان لأخر، ويقع خلفها صحراء منخفضة سرعان ما ارتفعت إلى الأرض الشرقية الجافة (العربية) والصحراء الغربية (الليبية)، والدلتا على العكس توجد شمال القاهرة الحديثة، وتتسع فى شكل مثلث كبير تجاه البحر المتوسط وهى أرض خصبة منخفضة تجرى بها قنوات، وهى مختلفة تماما عن الوادى على الجانبين.

وتمتد مصر القديمة من ساحل البحر المتوسط شمالاً إلى أسوان. وفى أوقات تاريخية كثيرة وصلت إلى النوبة جنوبا متجاوزة حدود ج.م.ع. الجنوبية إلى الجزء الشمالى من جمهورية السودان الديمقراطية. وهذا الجزء من النيل قد ضاع الآن تحت مياه بحيرة ناصر التى صنعها السد العالى بأسوان، وهى أكثر عمقًا وجفافا من الأرض شمالاً وكانت مصدر المواد الخام وطريقًا تجاريًا إلى الجنوب. تباعد التواصل جنوب أسوان بسبب وجود سلسلة من الشلالات الأول يقع مباشرة فوق هذه المدينة والسادس والأخير يقع جنوب الخرطوم الحديثة.

أصبح القول المأثور "مصر هبة النيل"، وهو قول الكاتب اليونانى "هكتيوس"، ولكنه ينسب خطأ إلى الرحالة "هيرودت" الذى زار مصر حوالى عام ٤٥٠ ق.م. وكان يعنى أنه بدون النهر لم تكن البلاد ولا الحضارة لتتواجد كما عرفناهما. خارج حدود (هوامش) النهر وملء الواحات لم يكن هناك إلا صحراء غير قادرة على جذب السكان تسكنها فقط قبائل الرعاة متمثلين حاليا فى البدو.

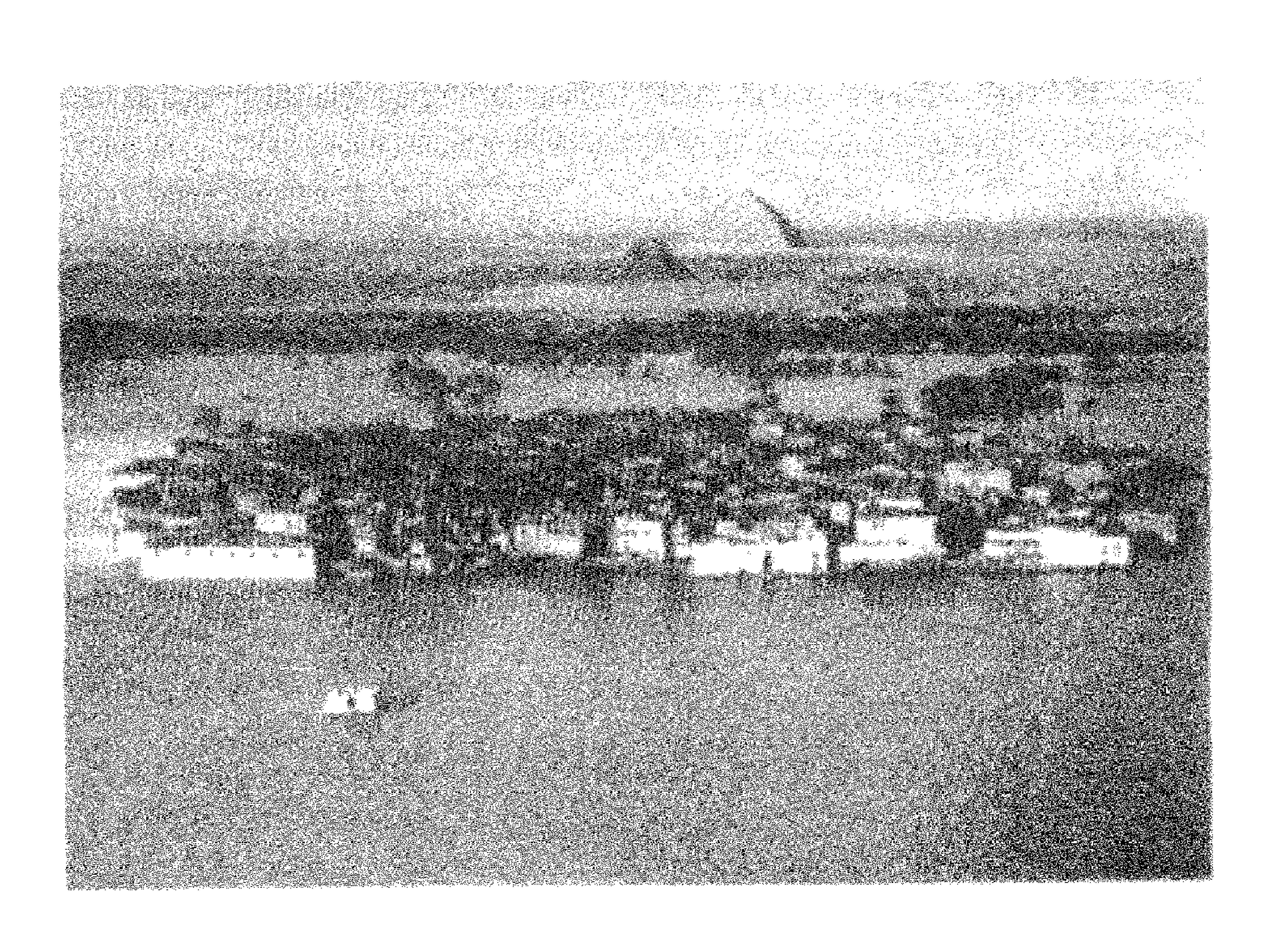
نظام الزراعة فى مصر اعتمد على الرى الدائم والذى تغذيه سلسلة من السدود على النهر منذ بداية القرن العشرين. قبل هذا التغيير فى التحكم فى النهر كانت زراعة المحاصيل تعتمد على فيضان النيل الطبيعى السنوى. فى الصيف تنزل الأمطار على أرض إثيوبيا ثم إلى فروع النهر "عطبره"، "النيل الأزرق" وهى اليوم تغذى بحيرة ناصر فقط، لكن قديما كانت تؤدى لفيضان النيل والذى يمثله الإله "حابي". المياه التى تغطى كل الأرض الزراعية ترتفع فى أكتوبر/نوفمبر تاركة خلفها كمية من الطمى الغنى جدا، وتزرع المحاصيل فى مارس/أبريل بقليل أو بدون ماء مؤقتا.

كانت دورة الحياة المصرية تتركز فى المواسم الثلاثة "أخيت (الفيضان)"، "برت (النمو)" و"شمو (الجفاف)". وكلها مقسمة أربعة أشهر ٣٠ يومًا ويضاف إليها ٥ أيام للاحتفال، كلها تصنع العام الحضارى ٣٦٥. عدم وجود العام الكبيس(٣٦٥ وربع) يعنى أن الرزنامة تلتوى تدريجيا حتى لا تحمل المواسم أى صلة بالدائرة الزراعية، بعد ١,٤٦٠ عام فقط تعود الرزنامة والمواسم للتوافق زمنيا.

كانت الزراعة أهم أعمال الشعب المصرى فى القرى الصغيرة أعلى وأسفل النهر. فطبيعة نظام الفيضان هى التى فرضت ذلك، ووجدت السدود لتحجز الماء ولتسهيل أعمال البذر والحصاد وكان العمل أسهل بكثير من طرق الزراعة الدائمة. على الصعيد الأخر كان هذا يعنى أن الرجل يمكن أن يتحول بسهولة من الأعمال العامية إلى الأعمال المجهدة. عدد السكان فى مصر القديمة عصر الفراعنة لم يتجاوز أربعة أو خمسة ملايين، مما يعنى أن الزراعة لم تكن مقصورة على توفير الغذاء الكافى بل إيجاد فائض للضرائب المفروضة من أجل تمويل أعمال الدولة.

اشتغل فى الأرض كثير جدا من الأفراد والهيئات الحكومية أشهرها المعابد التى كانت تمتلك مساحات شاسعة من الأراضى، وكان إنتاجها يوجه لقرابين الآلهة ولدفع رواتب الكهنة وأعمال الصيانة والترميم بالإضافة إلى النشاطات الواسعة المتنوعة التى تركز على العبادة .

كانت عبادة "آمون" بطيبة و"بتاح" بممفيس و"رع" بهليوبوليس وآلهة أخرى كثيرة مع عدد هائل من الآلهة المحلية لها مقاصير أقامها سكان محليون يقضون عدة أشهر من العام فى خدمة كهنة الآلهة. فالكاهن قد يكون أحيانا مزارعًا أو كاتبًا أو جنديًا أو عاملاً حرفيا، فالدين كان أحد واجبات الفرد أكثر من مجرد وظيفة محددة.



الشكل ١. فيضان النيل بدهشور: فى الخلف أنقاض "الهرم الأسود"

لأمنمحات الثالث و"الهرم المحني" لسنفرو.

وقد أثر ذلك على سمات الدين المصرى القديم مثل الإسلام؛ فقد استخدم لبناء نظام حياة وجعل من الصعب فصل الحلال عن الحرام. عاطفة الفرد هى التى تحدد الإله المفضل أكثر من الطقوس الهائلة المحيطة بالآلهة الرسمية للدولة. كانت طقوس الآلهة الرسمية مختلفة تماما عن علاقة الشخص بالروح القدس وبأن يصبح جزءًا من المحافظة على العالم وليس فقط مجرد واهب للمدح أو القرابين حيث يتوافق المفهومان فى الملكوت. فى الاحتفالات يحمل تمثال المعبود من معبده ويضع الناس أسئلتهم أمامه ليجيب بالقبول أو الرفض.

الحكومات المحلية تعقدها مجالس (كنبوت) وتحتوى على أبرز أهل المنطقة، وتكون لديها وظائف إدارية وقضائية. وقد قُسمت الدولة تاريخيا إلى أقاليم تتوع عددها فى الحقب المختلفة. فى وقت محدد من تاريخ مصر كانت هى وحدات المفاتيح الإدارية، وفى وقت آخر كانت أقل من مجموعة أقاليم. التقسيم الإدارى المهم – الآخر – كان بين وادى النيل والدلتا. وفى وقت معين كان لكل نصف موظفون خاصون به. أثناء فترات الفوضى حاول كل من القسمين الاستقلال سياسيا.

الزيادة السكانية فى مصر كانت دائما مخلوطة بنسب متنوعة من أصحاب البشرة الفاتحة فى الشمال وأصحاب البشرة الداكنة فى الجنوب، الملامح الزنجية يمكن أن نراها فى مناطق الدولة القديمة التى تغلغلت بعمق فى السودان الحديثة. بالإضافة إلى ذلك كانت البلاد هدفًا للاستيطان السلمى والعسكرى خاصة شمال شرق الدلتا كما يقر بذلك الإنجيل فى قصتى إبراهيم ويوسف. فى الأوقات المتأخرة أصبحت مصر مجتمعًا متعدد الجنسيات به آلهة أجنبية تعبد فى عدد من المراكز كما تولى رجال أجانب رئاسة الحكومة والمراكز العسكرية.

وضع المرأة فى مصر كان - عامة - أعلى من وضعها فى الحضارات القديمة؛ فعلى الرغم من السيطرة عليها، تبدو المرأة متساوية تماما أمام القانون وفى بعض الأحيان تكون متعلمة أيضا، بينما وجدت حالات استثنائية خاصة من النساء الفراعنة استطعن الوصول إلى العرش.

بناء على شهرة الآثار الجنائزية للمصريين، فالرأى العام الحديث عامة يتبنى نظرية اهتمامهم بالموت والإعداد له كالقطيع المظلم. لكن الدراسات الخرافية عن هذه المواد المتاحة تكذب ذلك، ويبدو واضحا تماما أن شخصية المصريين كانت العكس تماما. إن إعدادهم الجنائزى يوضح رغبتهم فى إطالة الحياة الأرضية إلى الخلود، وكانت نظرتهم للجنة بكل بساطة عبارة عن مصر لكن بشكل أكبر وأفضل، مما يشكل موافقة وتأييدًا مرضيًا لمجتمع يطمح مواطنوه فى الاستمرارية المطلقة.

الفصل الثانى

الملكية المصرية

يحتل الملك قمة الهرم الاجتماعى المصرى ويليه مباشرة الطبقة البيروقراطية المتعلمة وتتكون من النبلاء والكهنة والموظفين المدنيين، ثم كتلة الشعب الذى يعيش على الزراعة باستثناء العصور المبكرة عندما كان كبار الموظفين هم القادة؛ لأنه فى أوقات كثيرة من التاريخ المصرى كان رئيس الموظفين هو النائب الحاكم (تجاتي)، وهى رتبة مساوية لرتبة رئيس الوزراء الحالى. فى عصر الدولة الحديثة كان يوجد نائبان للحاكم مسئولان عن مصر العليا والسفلى، تحتهما موظفون آخرون مسئولون عن خزانة الدولة والزراعة ومختلف فروع الدولة الأخرى. وكلهم حملوا بفخر لقب كاتب "سش". فى عالم ندرت فيه القراءة والكتابة فإن القدرة على ترويض القلم تساوى الحصول على القوة. كان الملك نفسه هو البنية الأساسية التى تبنى عليها كل النظم الإدارية، فقد كان رئيس الإدارة المدنية وقائد الجيش الأعلى ورئيس كهنة كل الآلهة فى الدولة، يقدمون كل القرابين باسمه. وأن هذا الملك كائن مقدس؛ لأنه يعد نسلاً طبيعيًا للآلهة. ميلاد الملك المقدس يعتمد على التسليم بأن أبا الملك هو تشخيص للإله. ينظر للملك على انه تشخيص "لحورس" الإله الصقر ابن الإله "أوزير" الملك المقدس الذى ذبحه أخوه "ست" فحاربه حورس لاستعادة عرشه.

دفن الملك السابق جزء مهم من عملية تتويج الملك اللاحق كما فعل حورس مع والده أوزير، ونرى فى كثير من الحالات أن هذه العملية هى من الأساسيات القانونية لتولى العرش. خلافة الابن البكر هى الأكثر اعتيادا وكان الأب يعترف به

كوريث أثناء فترة حكمه، وفى حالات كثيرة كانت هذه الخطوة تسبق تعيين الوريث نائباً؛ وبذلك يحكم كشريك مساوٍ لوالده. لكن هذه النقطة أدت لتشتت الكثير لأنه أحيانا يبدأ ملك صغير سنوات حكمه ليس فقط بعد موت سلفه لكن منذ لحظة تعينه نائبا مما يقودنا لتأريخ ثنائي لنظامي حكم يسيران بالتوازى. بما أن المصريين لم يستخدموا تقويمًا مثل قبل الميلاد أو بعد الميلاد فإن الصعوبات الأساسية للمؤرخين المعاصرين (إن لم يكن القدماء أيضا) يمكن تخيلها.

لا يوجد دليل يؤكد الفكرة القديمة بأن حق العرش يضمنه التواصل الملكى (الخط) النسائى، أى أن الملك لابد أن يتزوج ابنة سلفه حتى لو كانت شقيقته، وجد زواج الأخ والأخت فى العائلات الملكية لكن لا يوجد ما يدل على تواجده بين عامة الشعب.

أول معرفتنا بلقب "فرعون" كان من العهد القديم، أتى أصله من "البيت العظيم" أو القصر الذى استخدم أولا كتعريف لشخص الملك عام ١٤٥٠ ق.م. ولم يصبح عامًا إلا بعد عدة قرون. وفى أغلب الأوقات كانت الكلمة المعتادة للملك هى "نسو" ثم استخدمت عدة ألقاب أخرى فيما بعد.

منذ عام ٢٥٠٠ ق.م. إلى ما بعد ذلك كان هناك لكل ملك مصرى خمسة أسماء الأول: هو اسم حورس ويكتب داخل برواز به شكل واجهة قصر "سرخ"، الإله الصقر حورس نموذج للملك. الاسم الثانى: "النبتي" (اسم السيدتين) يربط الملك بآلهتى مصر العليا والسفلى. الاسم الثالث: كان "بك نب" (اسم الصقر الذهبي) ومعناه مازال محل نقاش. بعيدا عن اسم-حورس الذى يعد أهم طرق ألقاب الملك خلال القرون الأولى من تاريخ مصر كانت هذه الأسماء قليلا ما تستخدم مقارنة مع الاسمين الآخرين، وأصبح أحدهما الإشارة المعتادة للملك فى النصوص الرسمية والعامية.

الاسمان موجودان اليوم فيما نسميه حاليا "الخرطوش" نسبة إلى الكلمة الفرنسية "جن-كارتج" ومعناها حاوية رصاص المسدس. الخرطوش على شكل حبل مزدوج يدور فى شكل بيضاوى على اسم الملك €€€€ وكان المصريون يسمونه "شنو". الاسم الأول الذى تحتويه الخرطوش يشار إليه على أنه "اللقب" ويسبقه دائما ألقاب "نسو-بتي" (ملك مصر العليا والسفلى أو ربما مظهرى الملك، وهذه النقطة مازالت محل نقاش) أو "نب-تاوي" (سيد الأرضين) مشيرا إلى الوادى والدلتا، كان ذلك مثل الأسماء الثلاثة السابقة يؤلف عند تتويج الملك، وهو يحتوى على اسم الإله رع.

أما الاسم الثانى فى الخرطوش فهو "الاسم nomen" يسبقه ألقاب "سي-رع" (ابن رع) أو "نب-خاو" (سيد الظهور أو ربما تيجان) وهو عادة يمثل اسم الميلاد للملك. فى أحيان كثيرة خاصة فى العصور المتأخرة تضاف جملة صفة مثل "محبوب آمون" (مير آمون) أو "حاكم طيبة المقدس". بهذه الألقاب يشير إليهم المؤرخون الحديثون الذين يفرقون بين تشابه اسم الملك مع أسماء الأفراد بوجود الرقم الأول I أو السادسVI. فى العصور القديمة يفرق اللقب بين الملوك الذين يحملون اسم الميلاد نفسه. ونادرًا ما توجد تركيبة الأسماء نفسها فى خراطيش فرعونية.

بما أن كتابات قدماء المصريين لم تستخدم الحروف المتحركة vowels فإن نطق بعض أسماء شكل عدة مشكلات رغم وجود اتفاقات تسمح بتوصيف مقبول، مثلا الملك "إمن-مس" دائما يشار إليه باسم "أمنمحات". بالنسبة لعدد من الملوك. بقى لنا التوصيف اليونانى، وقد استخدمنا أحد التوصيفات فى هذا الكتاب، وهى المرتبطة بالهيكل المصرى المستخدم. الملك "دحوتي-مس" يمكن توصيفه "جحوتمس" أو "تحوتمس" أصبح "تحتمس"، و"سي-ن-وسرت" أصبح سنوسرت ، و"حنمو-حو-ف-وي" (خنوم) أصبح "خوفو"، و"نسي-بع-نب-دت" (نسيبا نبجد) أصبح "سيمندس".

كثير من الكتابات اليونانية مأخوذة من تاريخ مصر المكتوب بهذه اللغة حوالى عام ٣٠٠ ق.م. كتبها كاهن مصرى اسمه "مانثو"، وهى ما نجا من أعمال المؤلفين القدماء. قام "مانثو" بتقسيم الأسرات الملكية إلى ثلاثين أسرة مثل "بيوتنا" الملكية فى "بلانتاجنت"، و"يورك"، "وندسور"، على الرغم من المشكلات الكثيرة التى فى نصوص مانثيو فإنه ظل مرجع علماء المصريات الذين احتفظوا به حتى الآن بوصفه أكثر الطرق استقامة لتتبع تقدم الحضارة القديمة.

هذه الأسرات دائما تجمع فى حقب ودول تتوافق مع مختلف مراحل التطور السياسى والثقافى فى الدولة. فقد تكونت الدولة القديمة من الأسرات الثالثة إلى السادسة وهو عصر بناة الأهرام، بينما تكونت الدولة الوسطى من الأسرات ١١، ١٢، و١٣ وهى تمثل إعادة وحدة البلاد وتقويتها وتنميتها الثقافية ثم اضمحلالها. تكونت الدولة الحديثة من الأسرات من ١٨ إلى ٢٠، وكان ذلك عصر الإمبراطورية القوية لمصر فى آسيا، بمشاهدة آثار الإمبراطورية الممتدة من السودان إلى بلاد نهر الفرات. الفترات الانتقالية الثلاث التالية لكل دولة وصلت لقرون تآكلت خلالها سلطات مركزية مصاحبة فى بعض الحالات بحاكم أجنبى لأجزاء من الدولة.

بالإضافة لعمل مانثيو لدينا عدد مبكر ومنطقى من قوائم الملوك تساعد على تأكيد ترتيب الحكام . هذه القوائم كلها تعود لعصر الدولة الحديثة وتتكون من قوائم إدارية مانحة المدة الحاكمة كاملة، وكذلك أسماء الملوك (تورين كانون المدمر تماما) وأربع قوائم قرابين أثرية، ثلاث منها واضحة فى محتواها بترتيب تاريخها. وأفضلها معبد "سيتى الأول" فى أبيدوس. كلها غير مكتملة ومحذوف أسماء الحكام لأسباب سياسية وأسباب أخرى. أيا كان فإن هذه القوائم بالإضافة إلى الآثار والوثائق تشرح لنا بناء فكرتنا الحديثة عن التاريخ المصرى.

وضع تواريخ محددة لمبانى الأسرات أمر صعب وموضع نقاش كل الدارسين. بعض الأحداث الفلكية المسجلة فى النقوش الأثرية والبرديات يمكن أن تساعدنا، لكن كل التواريخ التى تعود إلى ٦٤٤ ق.م. لابد أن نعترف بأنها تقريبية. حتى فى الدولة الحديثة تبدو موضوعة بعناية وتكوين رأى محدد عنها قد يختلف حتى لخمسين عاما. استمرت الملكية المصرية لثلاثة آلاف عام. على الرغم من التغيرات الكثيرة التى حدثت خلال هذا الوقت. سننظر بالتفصيل فى حكم عدد من الأفراد الذين حملوا لقب فرعون بادئين بأولهم ومنتهين بأخر مصرى وطنى حمل هذا اللقب. حتى بعد انتزاعه من عرشه بقيت الملكية على الأقل نظريا لعدة قرون حتى انتهت هذه العهود الأولى على يد العهدين المسيحى والإسلامى.

الفصل الثالث

المؤسسون

"منيس" ٣٠٥٠-٣٠٠٠ ق.م.:

سكنت الأرض المعروفة بمصر حاليا منذ العصر الحجرى الأول، عندما كان شكل الدولة يحمل قليلاً من التشابه مع شكلها فى العصر التاريخى، مع الغابات التى تغطيها الصحراء الآن، وتغذيها مجارٍ مائية لا حصر لها. بقيت لنا كثير من الأدوات الحجرية خاصة من العصر الحجرى المتوسط (١٠٠,٠٠٠- ٥٠,٠٠٠ ق.م) للإشارة إلى مجتمع يجمع ويصطاد الأسماك والحيوانات.

وصولا الى العصر الحجرى الحديث مع تبنيه للزراعة حدث نتيجة تغيرات الطقس حوالى (٧٠٠٠ ق.م) منتجا ما يعرف بثقافة الفيوم A وB فى مصر السفلى. انتعشت عدة ثقافات منفصلة فى مصر العليا (الجنوب) أولها عرفت باسم "البداريان" Badarian وظهرت قبل عام ٥٠٠٠ ق.م. ثم تطورت إلى ثقافات "نقادا ١" (أمراتيان ٤٠٠٠- ٣٥٠٠ ق.م)، "نقادا ٢" (جرزين ٣٥٠٠-٣١٥٠ ق.م) و"نقادا ٣" (٣١٥٠- ٣٠٠٠ ق.م). كل ثقافة منهما مختلفة عن الأخرى وتتميز بأشكالها الفخارية وموادها الأخرى. عرفت هذه الفترة بعصر ما قبل الأسرات.

فى عصر نقادا الثانى ظهرت عدة ولايات أعلى وأسفل وادى النيل مع كثير من المقابر ذات التفاصيل التى تدل على أنها تخص الرؤساء المحليين. أروعها المقبرة رقم١٠٠ المزخرفة فى "هيراكنوبوليس" (٣٢٠٠ ق.م) وشكلها ينبئنا بشكل المقابر الملكية التى ظهرت فيما بعد. عصر نقادا الثالث (الأسرة صفر) شهد وحدة

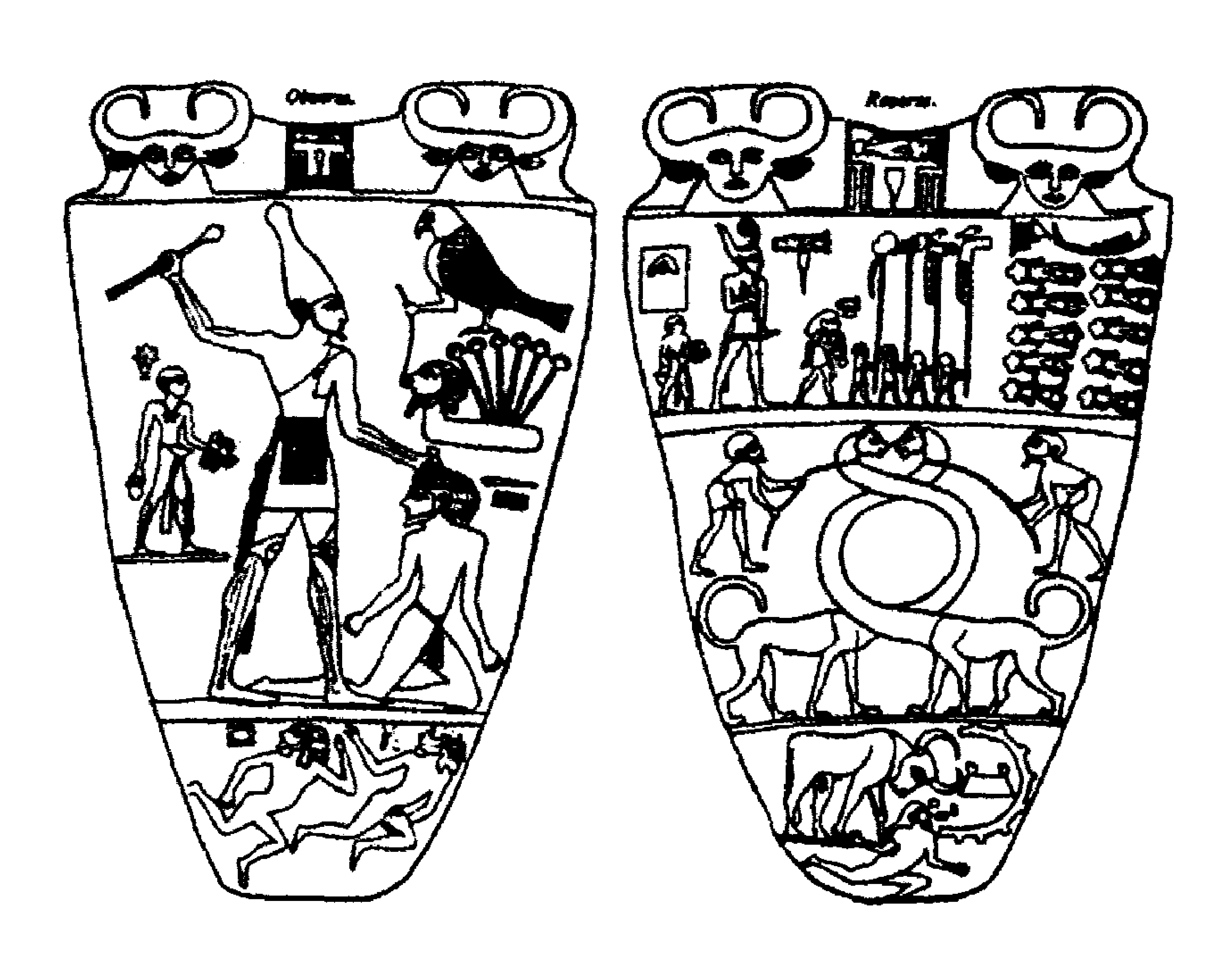
هذه الولايات فيما يقترب من شكل الدولة ربما تحت التأثير المباشر من بلاد الرافدين، حيث وجد تجمع مدنى للولايات فى النصف الثانى من الألفية الرابعة وعدد من الألواح الحجرية ضمن أغلب الأشياء الفريدة للعصر تصور العمليات العسكرية، ومن الواضح تماما أن هذه الفترة التشكيلية شهدت صراعات بين السياسات المبكرة قادت إلى وحدة أكبر رأسها شخص عرف ب "الفرعون الأول".

قبل عام ٣٠٠ ق.م كانت معظم أراضى جنوب مصر تحت سيطرة رجل واحد، عرف عدد من هؤلاء الملوك المبكرين من مقبرة أبيدوس القديمة، وعدد من القطع المنقوشة التى وجدت فى هيراكنوبوليس، من بينها مطرقة رأس لحاكم اسمه "سكوربيون" ويصور لابسا التاج الأبيض وهو غطاء الرأس الرسمى المرتبط دائما بمصر العليا. فى أبيدوس (أم الكعب) اكتشف الجبانة U عام ١٩٨٨ (العالم جنثر درير) واحتوت على مقبرة كبيرة مزينة (U-J)، من المحتمل أنها تخص الملك سكوربيون.

أكبر لوحة حجرية هى لوحات هيراكنوبوليس والموجودة الآن فى القاهرة تصور آخر مراحل تضخم الصراع بين الدولة الحاكمة: وحدة مصر بالكامل بقيادة رجل واحد. على احد الجوانب يظهر " حورس نارمر" مرتديا التاج الأبيض ويبطش بأحد سكان الأحراش غالبا فى الدلتا. وعلى الجانب الأخر يرتدى التاج الأحمر، وهو تاج مصر السفلى ويسبقه الحمالون وأمامهم عشر جثث مقطوعة الرأس.

رغم أن القراءة المعتادة للوحة تشير إلى تاريخ الوحدة الرسمية للأرضين (سيما–تاوي) وهى مفهوم الولايات الفرعونية، فهناك عدم تأكيد لذلك، خاصة مع وجود شكوك فى ماهية التاج الأحمر إن كان حقا رمز القوة الأزلى للشمال أو أنه ارتبط بالشمال فى فترة متأخرة. وإن لم يكن حورس– نارمر هو موحد مصر فإن الوحدة بالتأكيد تمت فى حياته.

العرف المصرى اللاحق منذ الدولة الحديثة إلى ما بعد ذلك يعود بفضل التوحيد لرجل اسمه "منيس"، حيث أقيمت مناقشات كثيرة عن قد يكون الملك المبكر الذى يعد البطل الموحد الأول، وتشير كل النتائج إلى حورس- نارمر وخليفته "حورس -آها" أو دمج بينهما أو ربما ملوك آخرين قبل ذلك مثل سكوربيون. هناك بطاقة تعريف تخص شخصًا واحدًا ربما يكون "مين- ميس" وهو الاسم القبطى للملك آها أو ربما يكون سلفه.



الشكل ٢. اللوحة الحجرية لحورس نارمر من هيراكنوبوليس التى ربما تسجل وحدة مصر. على الواجهة يظهر الملك مرتديا تاج مصر العليا ويسحق رجلا يعرف أنه من "شعب الحراب". المجموعة فى أعلى اللوحة هى مجموعة من الهيروغليفية الام (الأصلية) وتخبرنا عن أسر حورس (الملك) لشعب الأحراش، وهذه الأحراش ربما تكون دلتا النيل. على الجهة الأخرى يرتدى حورس نارمر التاج الأحمر ويسبقه الحمالون ونرى جثث أعداء مقطوعى الرأس. وفى القاع نرى الملك مصورا كثور يهشم أحد الأعداء بقوة.

تزوج حورس نارمر من "نثحوتب" الأميرة الشمالية لتوطيد وحدة البلاد. وقد توفيت أثناء حكم آها ربما ابنها، ودفنت فى نقادا مركز الثقافة المصرية ما قبل التاريخ. تعد مقبرتها من أبكر الآثار البنائية فى مصر، مصطبة[١] من الطوب (مقبرة على شكل مقعد) ومحشوة من الداخل بغرف تخزين ومزخرفة خارجيا بمقاطع مجوفة. هذا النموذج الذى كان يبنى فى العصور البالية القديمة، وكذلك فى بلاد الرافدين، وهو أحد الأدلة على وجود صلة بين الحكمين فى هذا العصر البدائى.

أيا كانت شخصية الملك "منس"، فإن القصص الخرافية التى سجلها المؤرخ اليونانى هيرودت تؤكد أن الملك الذى أوجد مدينة ممفيس عن طريق سد النيل لإعادة الأرض التى سيبنى عليها البناء الملكى الضخم. استمرت ممفيس العاصمة الإدارية لمصر لمعظم فترات التاريخ. بينما أسس الملوك من وقت لأخر أماكن للسكن والإقامة بمناطق أخرى. استقر وأقام كثير من الموظفين فى ممفيس حيث مركز التقسيم الطبيعى لمصر العليا والسفلى.

أنشئت جبانة عظيمة جوار العاصمة الكبيرة، مقابر المصطبة الضخمة للنبلاء نصبت عند حافة السفح حيث تشاهد بوضوح من المدينة. الجبانة المعروفة الآن بسقارة بقيت مستخدمة حتى نهاية الحضارة المصرية القديمة، بل امتدت لعدة كيلومترات شمال وجنوب مكان أسرتها الأولى ثم ظهر عدم صحة وجهة النظر القديمة التى كانت تشير إلى أن هذه المقابر الرائعة تعود للملوك.

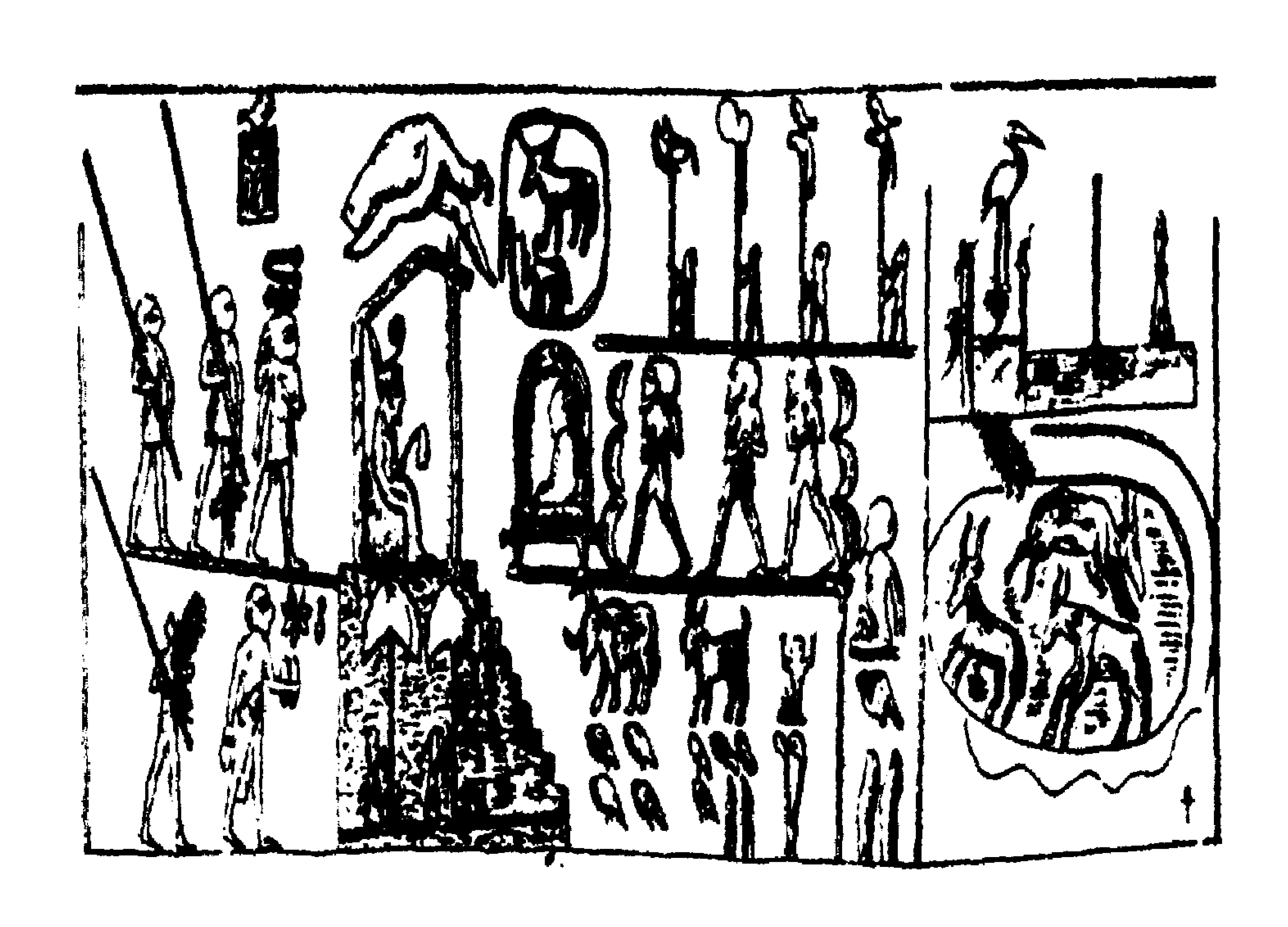
استمر دفن الملوك داخل مقابر أسلافهم ما قبل الأسرات فى أبيدوس. دفن حورس نارمر وآها جنوب غرب جبانة U، ومن ضمن الملوك الذين تم فصلهما

---

(١) المصطبة هى الاسم الذى لا يزال يطلق حتى الآن على مقعد مرتفع قليلا عن الأرض يصنع من الطوب، مازال يبنى حتى الآن فى الريف المصرى فى المقابر بل وأمام ساحات المنازل أيضا. (المترجم)

عن سكوربيون. مقبرة آها كانت مكونة من ثلاث غرف كبيرة من الطوب (أرقام B۱۰، ۱٥، ۱۹) مسقوفة بالخشب وربما بدون أدوار أخرى للبناء. وفى الشرق مجموعة مقابر أصحابها شباب يبدو أنه تم التضحية بهم عند دفن الملك. الطقوس البربرية لقتل الخدم وإرسالهم مع أسيادهم فى العالم الأخر استمرت بضعة أجيال قليلة ولكنها انتهت بنهاية الأسرة الأولى.

الجزء الأثرى من مقبرة آها يقع على مسافة ثلاثة أرباع الكيلومتر من الشمال الشرقى حيث حاوية مستطيلة من الطوب لها زاوية وأبراج، السلسلة الأولى من هذه الآثار أكملت غرف الدفن فى "أم الكعب".



الشكل ۳. منظر مطرقة الرأس العظيمة لحورس نارمر. تم تفسيرها كتصوير لزواج الملك من الأميرة "نيث حوتب".

حورس دجر، دجت ودين:

٢٩٧٥ -٢٨٧٥ ق.م:

شهد حكم الخلفاء الثلاثة لآها تقوية الوحدة فى البلاد. لدينا أول تسجيلات عن حملات عسكرية خارج الأرضين فى عصر " دجر". فى الشرق أرسلت قوات إلى سيناء وربما أبعد، سميت إحدى سنوات حكم عام "غزو (سحق) أرض ستجت" وهى كلمة استخدمت فيما بعد للإشارة إلى سوريا وفلسطين.

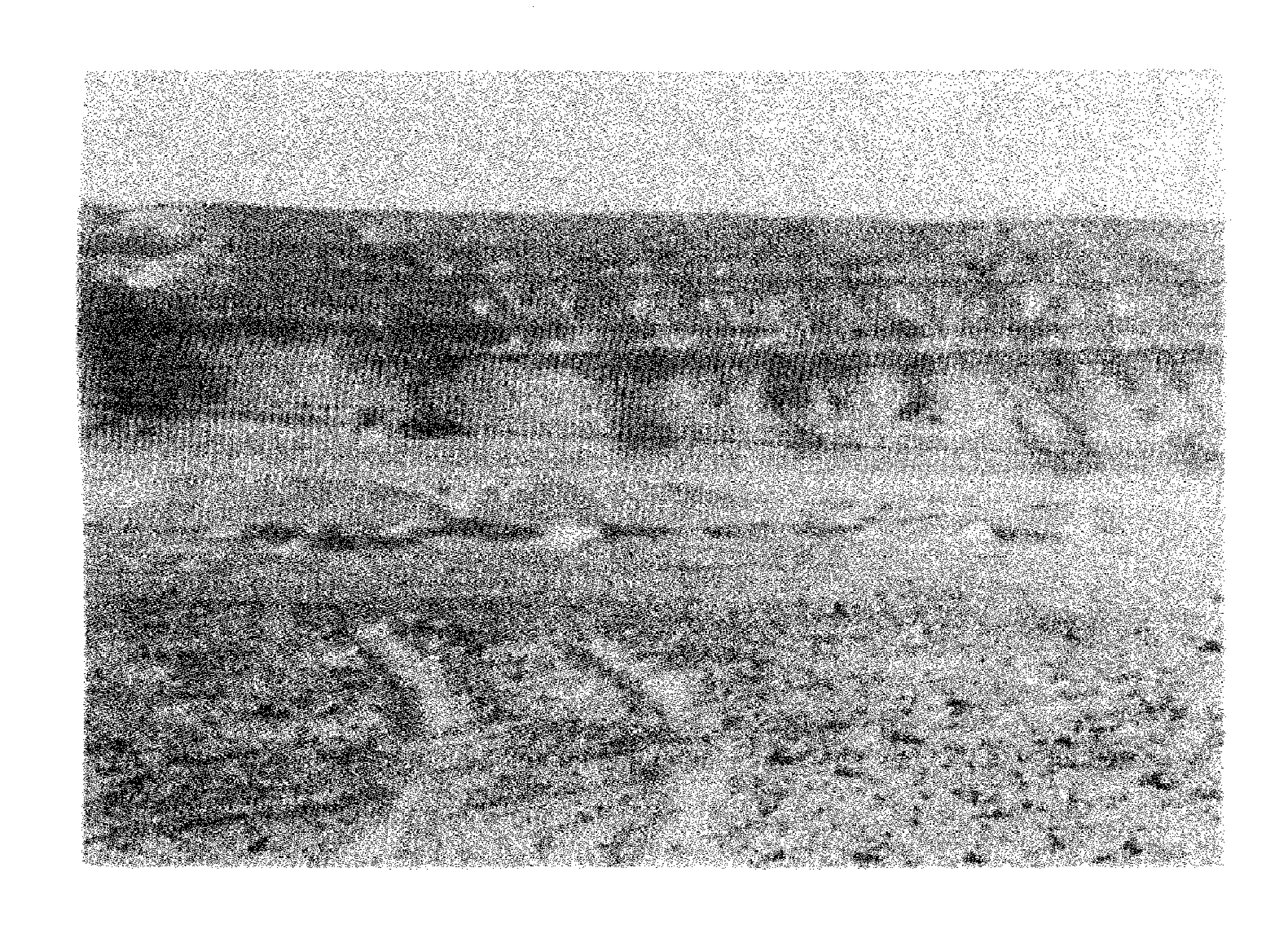
هناك دليل على وجود عمليات ضد الليبيين فى الغرب. مهد حكم دجر لخلفائه الاهتمام بالشئون الخارجية لأكثر من ثلاث ألفيات تالية. الأجيال التالية تنظر للملك على أنه موضوع دراسة ويعتبره مانثيو مؤلف كتاب تشريح وجد فى العصر اليونانى.

زوجة الملك "هرنيث" محتمل أنها دفنت بسقارة فى مقبرة ٣٥٠٧، إلى جوار أهم شخصيات العصر. الملك حورس-دجر نفسه دفن فى "أم الكعب" غرب مقبرة آها فى مقبرة O. مثل بناء طوبى تحت الأرض يحتوى على غرفة خشبية داخلية وهى مفصلة أكثر من جبانات أسلافه مع كثير من مقابر الخدم. المساحة بين سقف الغرفة والأرض شغلها شاهد قبر(١)، ربما يمثل التل الأزلى الذى لعب دورًا كبيرًا جدا فى أسطورة الخلق المصرية القديمة. فى الدولة الوسطى عرفت المقبرة التى نهبت كثيرًا بأنها تخص الإله أوزير، وقد جهزها ملك من الأسرة ١٣ بتمثال للمعبود مستلقى على فراش. فى عصر "أمنحتب الثالث " ولعدة أجيال بعد ذلك كانت مركزًا للحج. خلال كل ذلك بقى جزء من جسد الملك أو الملكة فى المقبرة، جزء من الذراع خبأه أحد اللصوص فى فتحة بالطوب جوار المدخل. مازالت تحمل أربع أساور ذهبية محلاة بالفيروز وجدها الأستاذ "فلندرز بيتر" عام ١٩٠٠ وهى الآن فى القاهرة، ويالأسف ضاعت العظام بفعل أحد مديرى المتحف الجاهلين.

---

(١) Tumulus= هى كومة من الحجارة والتراب فوق القبر . (المترجم).

الجزء الثانى من مقبرة دجر يقع جوار سور(مجمع) آها، جدار طوبى أثرى له نفس زخرفة النموذج الموجود على مصاطب سقارة الخارجية. وهو محاط بمقابر مساعدة كسلفه " دجت" مباشرة عند المغرب، هذه الأرض المسورة يبدو أنها احتوت على مجمع مبانى خشبية ومواد متحللة أخرى.



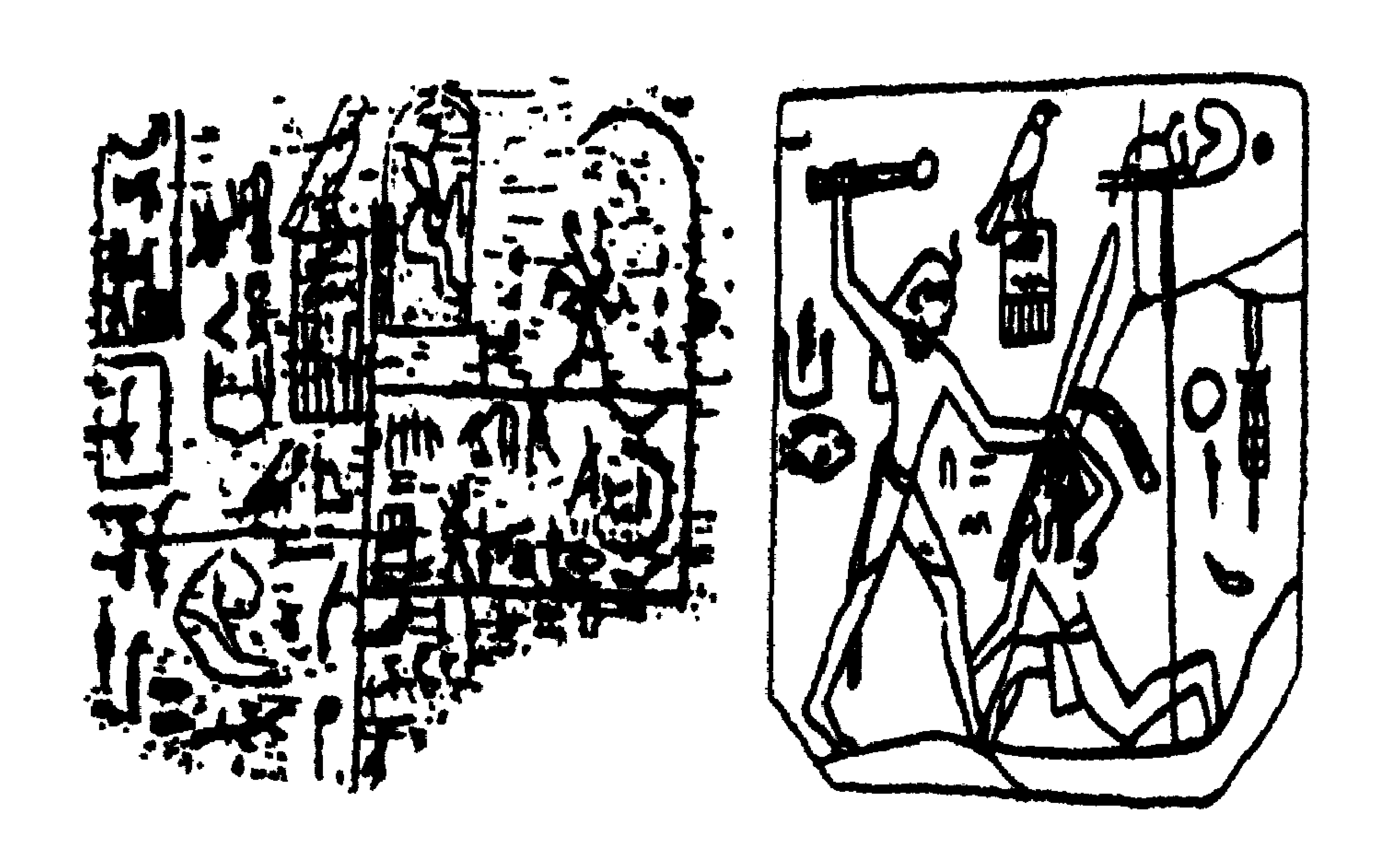
الشكل ٤. جبانة أم الكعب بأبيدوس، منظر من الشرق. الأنقاض نتيجة عمل اللصوص والمنقبين. كسرات الفخار الهائلة التى تخلفت من هؤلاء العمال أعطت الموقع اسمه العربى "أم الفخار".

دخل جسد دجت أيضا إلى جوار أبيه؟؟ فى المقبرة Z بأم الكعب برفقة خدمه. تميزت المقبرة بلوحة جدارية رائعة عليها اسم الملك موجودًا الآن بمتحف اللوفر. كل ما عرف عن حكمه أن حملة توجهت إلى البحر الأحمر وربما إلى نقطة أبعد.

من المحتمل أن حورس-دجت قد مات مبكرا وتولت حكم مصر لعدة سنوات سيدة اسمها "مريت نيت"، ربما كانت أرملته. مقبرتها فى أم الكعب Y والسور المحيط فى الشمال الشرقى لا يختلفان عن أرض ومقبرة الملك، تحتويان على جثث الحراس المضحين ووجدت أختامها فى مقبرة أحد النبلاء بسقارة (٣٥٠٣). والأرجح أنها كانت تحكم بالنيابة عن ملك صغير السن وهو"حورس- دين" وقد توفيت فى فترة حكمه.

حكم حورس- دين فترة طويلة جدا وبقيت لنا أغراض كثيرة من فترة حكمه. مستشاره القانونى الرسمى "هماكا" من الشخصيات الشهيرة، وقد امتلك مقبرة مهمة جدا (٣٠٣٥) بسقارة، محتوياتها تعطينا فكرة كاملة عن مجموعة التجهيزات الجنائزية للأسرة الأولى. توجه الملك بحملة إلى الشرق واحتفل بعيد "سيد" أو اليوبيل وهو حدث يتم دائما بعد ثلاثين عاما من الجلوس على العرش.

ترك الملك سمعة زكية مثل دجر، اكتشاف التعاويذ كان فى الجنائز البدائية، وينسب "كتاب الموتى" إلى عصره، تماما مثل المعالجات الطبية المحفوظة فى برديات الدولة الحديثة. أكثر ما عرف عن حكم حورس - دين هو الاستخدام المبكر للجرانيت بطريقة مميزة كرصف أرضية مقبرة "أبيدين T". هذه الجبانة هى أروع من مثيلاتها ولها سلم مرتب وغرفة دفن ضخمة كانت مسقوفة بالخشب. سور المجمع الجنائزى يقع بلا شك جوار أرض أسلافه لكنها لم تكتشف حتى الآن.



الشكل ٥. توصيفان من مقبرة حورس – دين: التصوير تذكارى لأهم حدث فى العام، لأن تاريخ الملوك الأوائل مدون بأسماء السنين وليس بالأرقام. على اليسار تصوير لاحتفالات الملك باليوبيل. تجوله حول مجرى مميز لإثبات طاقته المستمرة، وهذا يظهر فى الزاوية أقصى اليمين. يظهر الملك أيضا ملفوفا فى عباءة فى مقصورة تواجه المجرى. الكتابة الهيروغليفية تذكر اسم الملك ومستشاره هماكا ومقبرته بسقارة على اليمين فى التوصيف الثانى ذكرى "سحق الشرقين". التوصيفان من مقبرة أم الكعب T.

بعد وفاة حورس – دين هناك ما يدل على وقوع مشاكل (اضطرابات) بين العائلة الملكية، وذلك لأن أسماء خليفته "حورس – أدجب" مع أسماء "مريت – نيث" تم مسحها من أغراض مقبرة الملك الثانى "حورس – سمرخت". الملك الأخير فى الأسرة "حورس – قا" لم يعرف عنه الكثير باستثناء مقبرته بأبيدوس ومقابر موظفيه بسقارة. إحراق بعض مقابر الأسرة الأولى يعود أحيانا لفترة الاضطراب التى تلت نهاية الخط الملكى.

حورس وست خع سخم واي:

٢٦٩٠ - ٢٦٦٣ ق.م.:

فترة الأسرة الثانية فترة غامضة جدا. ترتيب الملوك الأوائل واضح ومنطقى، لكن بعد ذلك أصبحت الأمور غير واضحة مع وجود اضطرابات إن لم تكن حربًا أهلية. الحكام الأوائل كانت مقابرهم بسقارة، لكن فى منتصف الأسرة نجد ملكًا يعود إلى أبيدوس ليدفن هناك بانيا مقبرة جنائزية مع سور المجمع. يعتبر هذا الملك غريبًا فبدلا من استخدام اسم أو لقب حورس أطلق على نفسه اسم "ست بربسن"، وربما غير صفاته من حورس، سخم بالأكثر راحة. فى علم الأساطير الحالى يعرف ست بأنه عدو حورس، ويتساءل البعض إن كانت أصول هذه العداوة والكراهية المقدسة وجدت فى صراع نمطى Orthodox بين ملك ستى وملك حورسى.

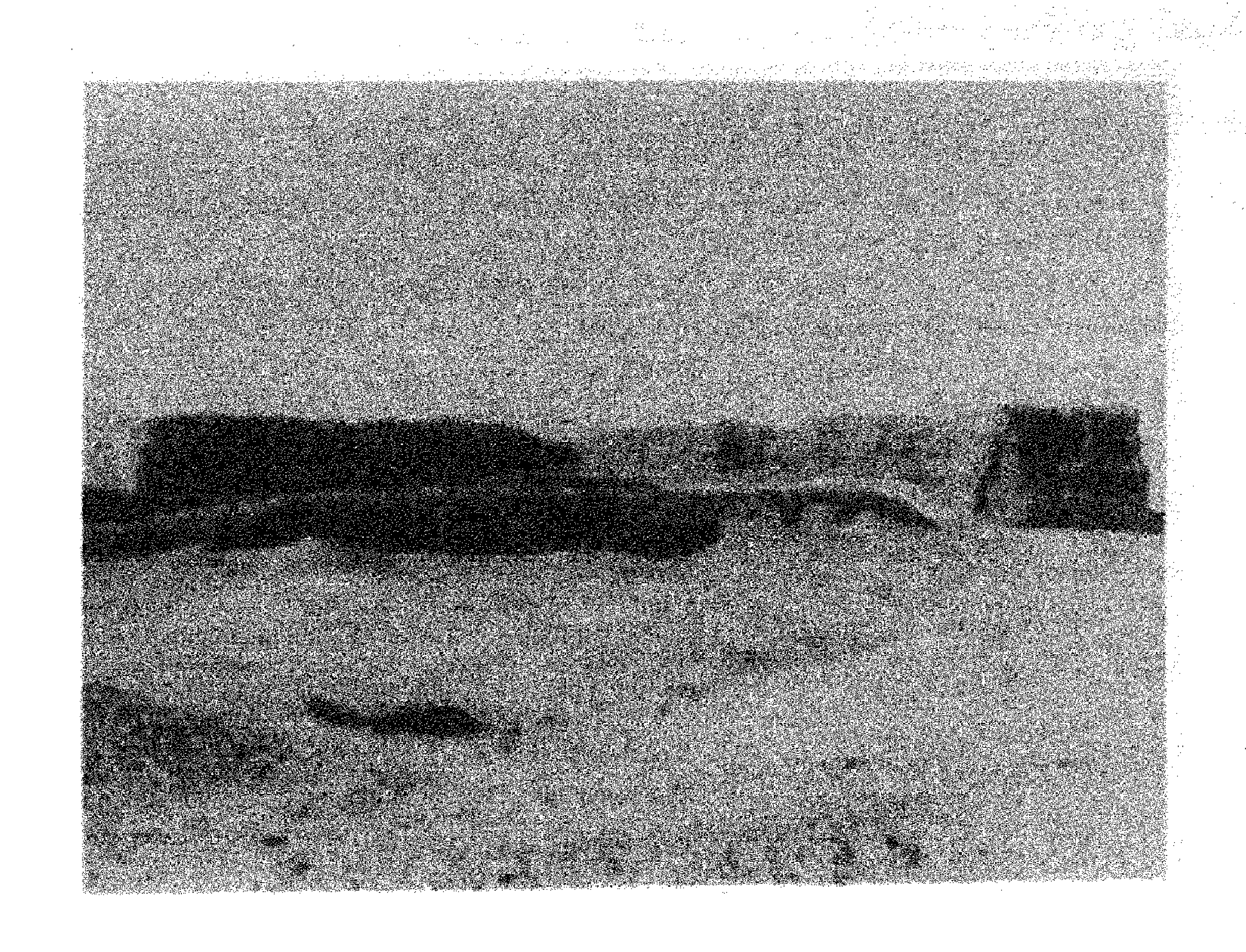
ربما كانت هناك فترة تقاسم خلالها العرش ملكان، وهى حقيقة يؤكدها بناء الملك "حورس خاسخم" "بهراكنوبوليس" لمجمع مسور على نفس طريقة مثيلاتها بأبيدوس بنية دفنه هناك. ربما كانت هيراكنوبوليس الوطن القديم للملكية المصرية. وربما كان بناء الآثار الجنائزية الملكية هناك بسبب عدم وجود أى جبانات أخرى شمالا. كما يوجد تمثالان للملك من الموقع نرى على قاعدتيهما جثثا مذبوحة تشير للأعداء ٤٧,٢٠٩ الشماليين. وهناك تسجيلات أخرى تشير إلى حدوث معركة فى مقاطعة "هيراكونبوليس".

وغير مؤكد إن كان عدو "خاسخم" هو "ست بربسن" أو أى شخص آخر فبفضل الأخير يعتبر "ست بربسن" ملكًا شرعيا فى نظر الأجيال التالية. وفى كل الأحوال ضمن "خاسخم" النصر وكان كرمه المبالغ من شيم العصر. وصاحب

ذلك الشكل الجديد الذى تبناه الملك فى اللقب سرخ ، بدلا من "حورس خاسخم" (ظهور القوة)، وأصبح هو حورس وست خع سخم واي" (ظهور القوتين) وتضاف له أحيانا صفات "نبوي-هتب-إم-إف" (السيدان داخله فى سلام). والملك بهذا اللقب يرمز إلى انتهاء الصراع.

بعد إعادة توحيد البلاد هجر الملك "حورس وست خع سخم واي" مجمعه الجنائزى المسور فى هيراكنوبوليس. لكن بدلا من العودة إلى مكان الدفن بسقارة للملوك الأوائل لعائلته، بنى مقبرته الخاصة فى "أم الكعب" مع سور جنائزى بجوار أراضى ملوك الأسرة الأولى و الملك "ست بربسن".

يعتبر الأثران من أكبر نوعيهما بالمنطقة. والمقبرة تحت الأرض لا تقل عن ٦٨ مترًا طولا و ١٢ عرضا، مرتكزة على حجرة دفن حجرية، على الرغم من عدم تناسب هذه المقاييس عند مقارنتها بمقابر مؤسسى الأسرة بسقارة "حورس حتب سخموي" التى شغلت مبانيه الثانوية مساحة حوالى ١٢٣x٤٩ مترا. نجت كميات كبيرة من محتويات الحجرات الستين الحجرية وزوج من هياكل عظمية للخدم وهما آخر من نفذوا عادة قتل الخدم مثل الأسرة الأولى التى حوت مقابرها المئات منهم. جدران حجرة الدفن من الحجر الجيرى هى الأولى من نوعها مع عدد من العناصر الجرانيتية القوية الضخمة من مواقع أخرى تشهد أن الملك هو من أقام هذا العمل البنائى.



الشكل ٦. شونة الزبيب، الأرض المسورة لحورس وست خع سخم واى بأبيدوس.

أرض الملك الجنائزية المسورة المعروفة اليوم باسم "شونت الزبيب" (مخزن التمر) وهى أفضل بناء محفوظ فى أبيدوس بجدرانه المزخرفة ومازال واقفًا فى الصحراء. بعثات الحفائر الحالية تخبرنا الكثير عن المبانى التى احتوتها، أهمها تل الرمال، والأنقاض المغطاة بغطاء من الطوب الطينى، وقد يكون الأول من نوعه لما تطور بعد ذلك ليصبح الأهرامات.

زوجة الملك "خع سخم واي" هى "نماثاب" وهى أم خليفته المباشر الذى اعتبر فيما بعد مؤسس أسرة جديدة. وتبعا لذلك نكون بالملك "خع سخم واي" وصلنا لآخر الحقبة الأولى فى العصر القديم، وننتقل إلى أول العصور العظيمة فى تاريخ مصر، وهى ما نسميه بالدولة القديمة.

الفصل الرابع

أول بناة الأهرام

زوسر ٢٦٦٣- ٢٦٤٣ ق.م.

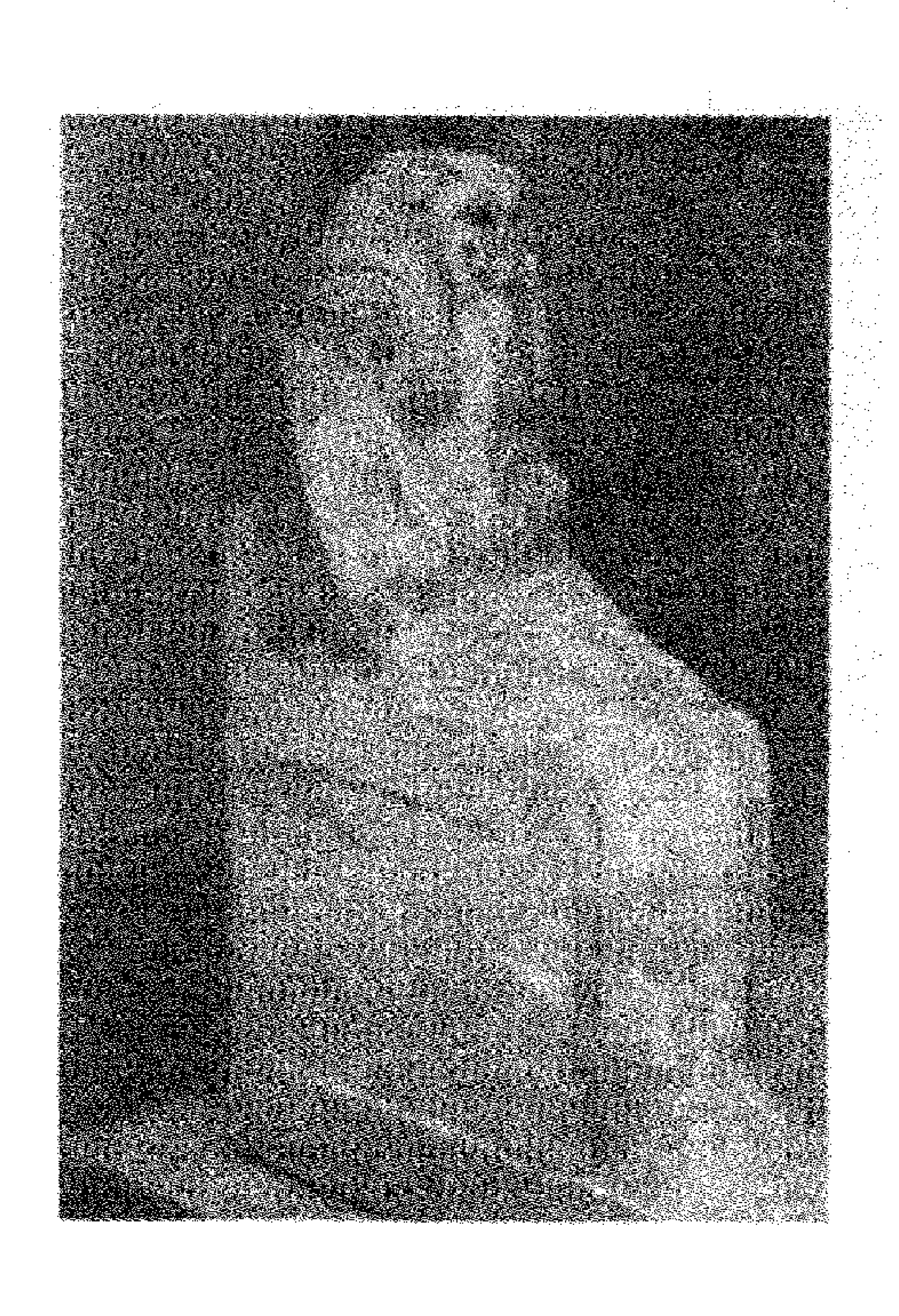
أيا كان الخلل الذى صاحب بداية الأسرة الثانية وانتهى قبل قيام الأسرة الثالثة القديمة بقيادة "حورس نتجر يخت" الشهير باسم زوسر، وربما كان اسمه الشخصى فإن كل ما وجد على الآثار التى يعود تاريخها لبعد وفاته بكثير(١). اكتشاف أختامه فى مقبرة "خع سخم واي" فى أبيدوس، أثبت لنا أنه مؤسس الأسرة ولم يسبقه ملك آخر. حكم زوسر يعد نقطة مهمة فى تاريخ مصر، مخطوطات الدولة الحديثة تظهراسمه مكتوبًا – استثناء – بالحبر الأحمر فى قائمة ملوك تورين وهى وثيقة كتبت فى عصر "رمسيس الثاني".

والدا زوسر غير معروفين، لكنه يمكن أن يكون ابن الملكة "نماثاب" والملك "حورس وست خع سخم واي". عرف القليل عن أحداث حكمه كما هو الحال مع كثير من الملوك الأوائل. للملك تصوير فى سيناء أثناء أعمال البناء فى هليوبوليس الذى تثبته بعض كسرات مقصورة هناك ويظهر الملك فيها مع ثلاث من نسائه، أمه؟؟ وابنتيه، "هتفرنبتي" وأنتكاس".

---

(١) زوسر هو الاسم الذى أطلق عليه فى الدولة الوسطى، أما اسمه الأصلى " نتجريخت" يعنى الجسد الإلهي. (المترجم)

من أعمال فترة حكمه حملة إلى مناجم سيناء، وهى موثقة بنقوش فى وادى المغارة. وأصبحت سيناء فيما بعد مصدر النحاس، لكن فى العصور المبكرة، معظم الأعمال هناك كانت تهدف لاكتساب الحجر نصف الكريم غالى السعر وهو الفيروز. نقوش زوسر هى أول الآثار التى تسجل هذا العمل، لكن نقوش الحكام الآخرين كثيرة جدا بما فيها تصوير خليفته المباشر "حورس سانخت وسخمخت".

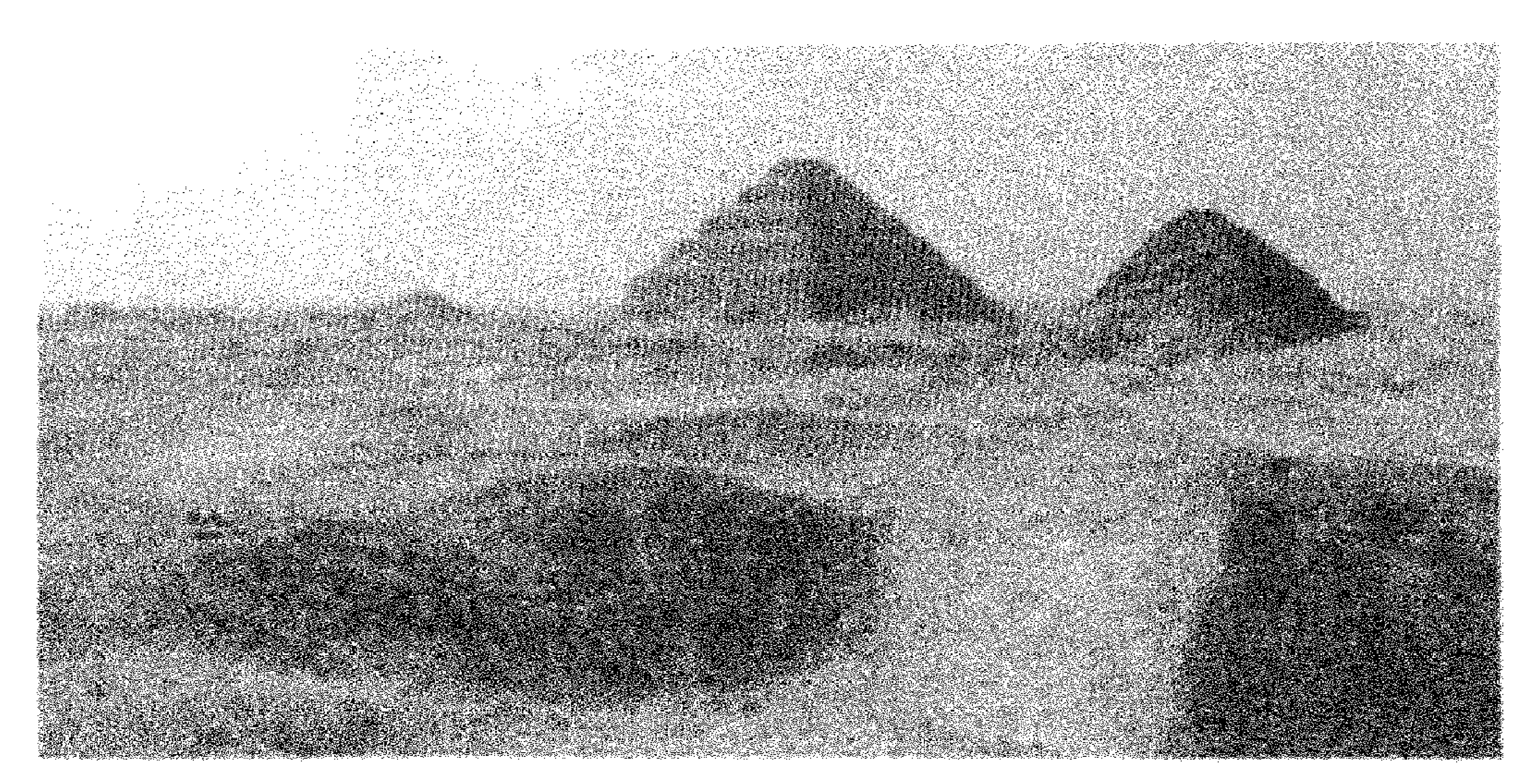


الشكل ٧.تمثال الحجر الجيرى للملك زوسر من الغرفة المغلقة (السرداب) لمعبده الجنائزى بهرمه بسقارة.

توجد لوحة جدارية بطلمية فى "سهل" بالقرب من الشلال الأول تدل (إن كان لنا أن نصدقها) فقد شهدت فترة حكمه مجاعة انتهت بتكريس الأرض فى المنطقة لعبادة الإله "خنوم". على الرغم من أن الأسطورة وضعت لأهداف إعلامية فى فترة حكم بطليموس الخامس، بعد موت الملك بألفيتين والنصف، اهتم النص بظهور "إمحوتب" ناصحًا لزوسر.

وقد كان "إمحوتب" واحدًا من القلة المصرية (العامية) الذى اكتسب مكانة مقدسة بعد وفاته وقد عرف بحكمته. ثم تحول إلى إله طب فى العصر اليونانى وادعى انه ابن إله ممفيس "بتاح". أيا كان أصله فهو ممتد إلى عصر سيده زوسر وهو مذكور على قاعدة تمثال لهذا الملك حيث اسم وألقاب الناصح إمحوتب، ويقف إمحوتب فى مواجهة تماثيل زوسر فى حالة استثنائية لأى رجل عامى فى أى عصر. لاشك أن مزاياه العديدة هى التى وضعته فى هذه المكانة من الملك. وعبقريته المعمارية لها الفضل فى بناء أول مبنى حجرى ضخم وصلب فى العالم.

استُخدم الحجر لعناصر معمارية متنوعة خلال الفترة القديمة، لكن المبانى نفسها بصرف النظر عن ضخامتها كانت من الطوب الطينى. وبعد أعوام قليلة أنشئ على أرض الصحراء التى ترتفع فوق موقع العاصمة القديمة ممفيس بناء أكثر من ٦٢ م طولا و١٢٥م عرضا ومحاط بسور ضخم مع مجمع مبانى (محير) كلها مبنية من الحجر المنحوت.



الشكل ٨. جبانة سقارة، الهرم المدرج للملك زوسر فى الوسط. الأهرامات التى حوله هى آثار الأسرة الخامسة ل"أوناس و أوسركاف": وهما معا يوضحان تطور واضمحلال مراحل بناء الأهرام خلال ثلاثة قرون.

في البداية كان هذا البناء مقدرا له أن يكون نسخة أكبر لشونة زبيب " خع سخم واي" مستخدما الحجر الجيرى لتقليد الطوب. المبنى المركزى الضخم بدلا من أن يكون مثل طوبى بسيط صنع بشكل أكثر جدية ورسمية كمبنى مربع. تمت توسعته تدريجيا قبل قرار نقله داخل مبنى مدرج. كان المبنى المدرج أول الأمر مكونًا من أربع أدراج، الأخيرة تشكلها ست أدراج عميقة ربما تمثل سلمًا إلى السماء. ومن هنا ظهرت فكرة الهرم الأول. وهى سلسلة ستنتهى بعد ثلاث ألفيات تالية.



الشكل ٩. قاعدة تمثال من الحجر الجيرى للملك زوسر، عليه أسماء وألقاب الملك على اليمين وأسماء مستشاره ومهندسه المعمارى إمحوتب على اليسار.

الأرض المسورة كانت مجهزة بكل أنواع المبانى الحجرية تقليدا للمبانى الخشبية التى احتوتها الأراضى المسورة الجنائزية للعصور الغابرة. وهى تمثل القصور والصروح الطقسية التى سيستخدمها الملك المتوفى، وتحتوى على عناصر خاصة بالاحتفال اليوبيلى الذى كان متوقعا حدوثه فى العالم الأخر.

شيء واحد اختلفت فيه أسوار المجمعات عن مثيلاتها فى أبيدوس، فبدلا من وجودها سابقا على بعد كيلومترات من غرف المقبرة كانت توجد تحت الصرح المركزى المعروف اليوم بالهرم المدرج. وغرفة الدفن تقع فى قاع ممر طويل، وعند فحصه عام ١٩٣٠ وجدت به بقايا مكسورة من مومياء زوسر. من القطع الباقية: القدم اليسرى والذراع اليمنى والكتف، أجزاء من الصدر ومن الحوض. البقايا ملفوفة جيدا فى كتان جيد ثم غطيت بالبلاستر وتعفنت فى شكل الجثة المستلقية. بما أننا لم نستطع فحص الغرفة جيدا، فمن المحتمل أن باقى الجثة مازال تحت الهرم.

معرفتنا بالخليفة الملكى بعد زوسر مبهمة. فقد تلاه غالبا "سانخت" الذى ظننا أولاً أنه مؤسس الأسرة، وعلى ما يبدو أنه أول ملك استخدم الخرطوش لاسمه الشخصى. ثم تلاه "سخمخت" الذى بدأ بمجمع مقابر جنوب غرب الهرم المدرج ربما بناه "إمحوتب" نفسه، لكن ترتيب الملكين أو الثلاثة التاليين مازال موضع نقاش. قوائم الملك القديمة تشير إلى وجود فجوة فى التسجيلات الرسمية.

سنفرو

٢٥٩٧ – ٢٥٤٧ ق.م:

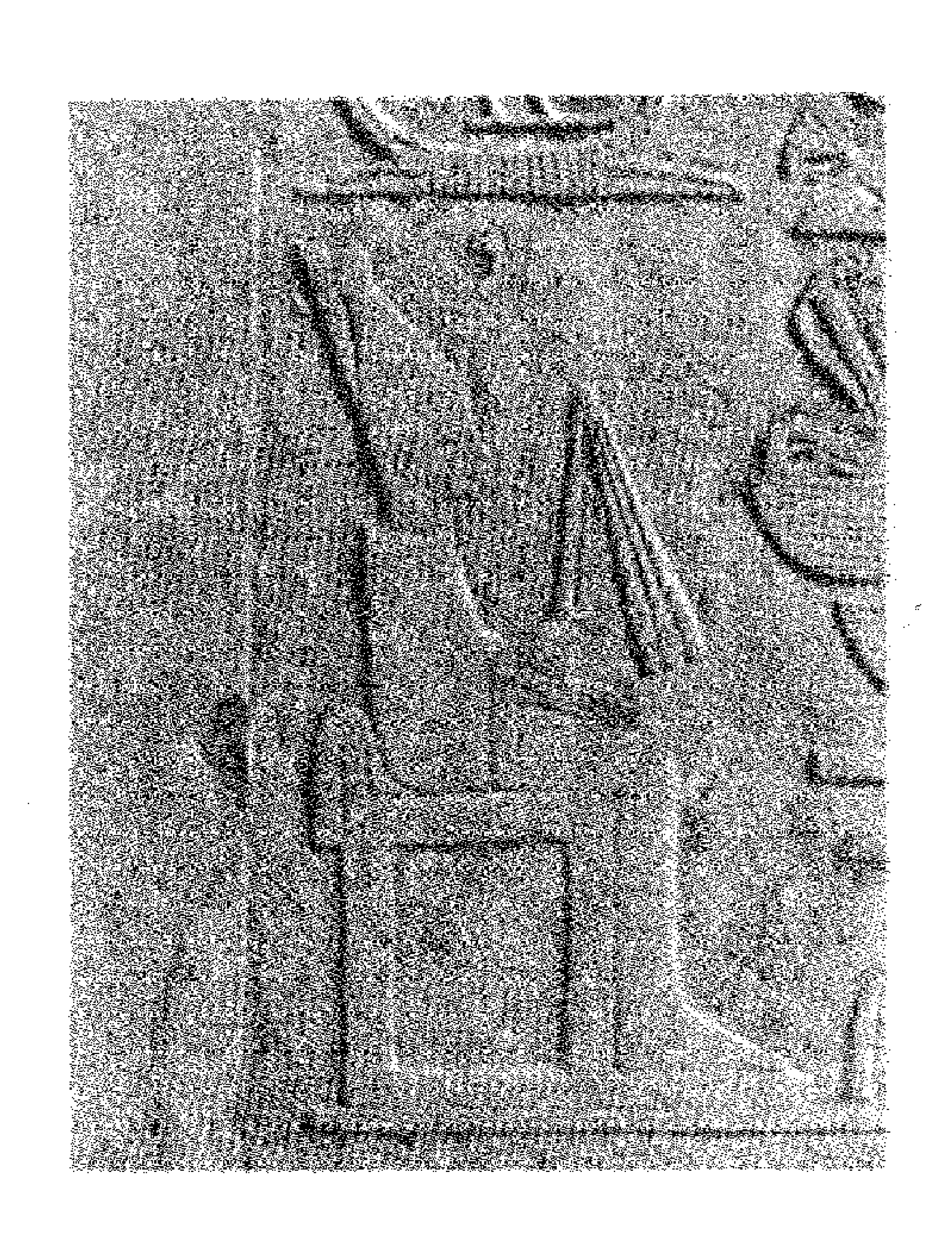
كان "هني" آخر ملوك الأسرة الثالثة ومدفنه غير مؤكد، لكنه ربما يكون الهرم الطوبى فى "أبو رواش" ٢٥كم شمال سقارة. ثم تليه "سنفرو" ابن "مرسانخ الأولى" وهى زوجة الملك هنى. كانت عائلة سنفرو كبيرة جدا، فولده البكر "نفرمات" أصبح وزيره لكنه مات فلم يكن خليفة سنفرو، ثم تليه فى الوزارة شقيقه الأخر "كانفر" الذى استمر فى عمله حتى فترة الحكم التالية، وعرف له ابنتان على الأقل إلى جانب كثير من الأبناء.

تذكر الأحداث المسجلة عن فترة حكم سنفرو حملات ضد ليبيا والنوبة، أسر فى الحملة الأخيرة حوالى ٧٠٠٠ سجين. بالإضافة لأعمال مناجم الفيروز بسيناء، وهى مؤكدة بصور من وادى المغارة تظهر الملك، وهو يبطش بعدو محلى. كما تم استيراد أربعين سفينة محملة بخشب الأرز فى سنة واحدة، يبدو أنها مصدرة من ميناء "بيبلوس" فى لبنان التى بقيت لقرون أهم شريك تجارى لمصر فى المنطقة.

أحد أسباب استيراد الخشب هو بناء مدفن الملك المرجح، الهرم المنحنى بعد دهشور ببضعة كيلومترات جنوب الهرم المدرج. لم يكن الهرم المنحنى هو الهرم الوحيد الذى بناه سنفرو، فقد بنى ثلاثة أخريات منقوشة كما قام ببناء بعض إن لم يكن الهرم الرابع بالكامل. وبعد ذلك قام ببناء هرم "ميدوم" الذى بدأ كهرم مدرج، لكن تحول أثناء البناء إلى أول هرم مستقيم الحافة؛ لذلك تغير رمز السلالم من الجنة إلى رمز لأشعة الشمس. من الواضح أن كثيرًا من أعمال الموقع تمت فى أعوام سنفرو الأولى، لكن لا نستطيع تحديد إن كان العمل قد بدأ من أجله أم أنه بدأ ببناء مقبرة سلفه "هني" التى أخذ على نفسه عاتق إكمالها.

أعماله بدهشور ليست محل نقاش. الهرم المنحنى كان مرجحا لأن يكون هرمًا حقيقيًا واكتمل نصفه لكن حدثت كارثة. وضع أساسات المبنى سبب شرخًا كبيرًا للمبنى الذى تحت الأرض، والغلاف أعيد تصميمه لتقوية غلاف الهرم مع عدد من الغرف بالإضافة لزيادة فى الارتفاع بحد الزاوية العليا، مما أعطى الأثر اسمه الحديث.

لكن أيا من هذه الجهود لم تقنع الملك بأن هذا الهرم مكان آمن لقضاء الخلود. فأمر ببناء هرم جديد يبعد ٢ كم شمالا. ووجدت أجزاء من مومياء الملك عام ١٩٥٠ فى الهرم الأحمر حيث دفن هناك. والجثة لرجل تخطى منتصف العمر قليلا، مما يقترح تولى الملك للعرش فى شبابه لوجود دليل فى نقوش الأهرامات تشير إلى أن فترة حكمه قاربت النصف قرن.



الشكل ١٠. سنفرو مصور على لوحة من الحجر الجيرى من الهرم المساند للهـرم المنحنى بدهشور.

الهرم الأخير لسنفرو كان صغيرًا وينقصه بناء تحت الأرض، وهو الهرم المدرج بـــ "سيلا" عشرة كيلومترات غرب "ميدوم". وجد فى إحدى المقاصير كسرات من تماثيل ومخدع لتمثال الإله و طاولة صب الخمر ولوحتان جداريتان واحدة منهما عليها اسم سنفرو، هدف هذه الأهرامات المصغرة غير واضح على الرغم من وجود البعض وكلها تعود لنهاية الأسرة الثالثة أو بداية الأسرة الرابعة.

الأدلة المصاحبة لأعمال بناء أهرامات سنفرو (هرما دهشور هما ثالث ورابع أكبر أهرامات بنيت على الإطلاق) تؤكد أن الملك ظلت تذكره كل الأجيال التى تليته. فى عدد من الأعمال الأدبية يصور الملك كحاكم يخاطب رجلاً عاديًا بكلمات مثل "صديقى وأخى أو رفيقي" ولم يكن يأنف من توجيه ملاحظات لنفسه، وكان يشار إليه ب "الملك المظفر" وهى صفة لم تستخدم لأى ملك قديم، هذه

المشاعر تتضح من قيام العامة بتقديسه وعبادته بعد وفاته، وقد استمر ذلك فى بعض الأماكن لمدة ثلاث ألفيات كاستثناء عن أى ملك أخر فى هذه المنطقة.

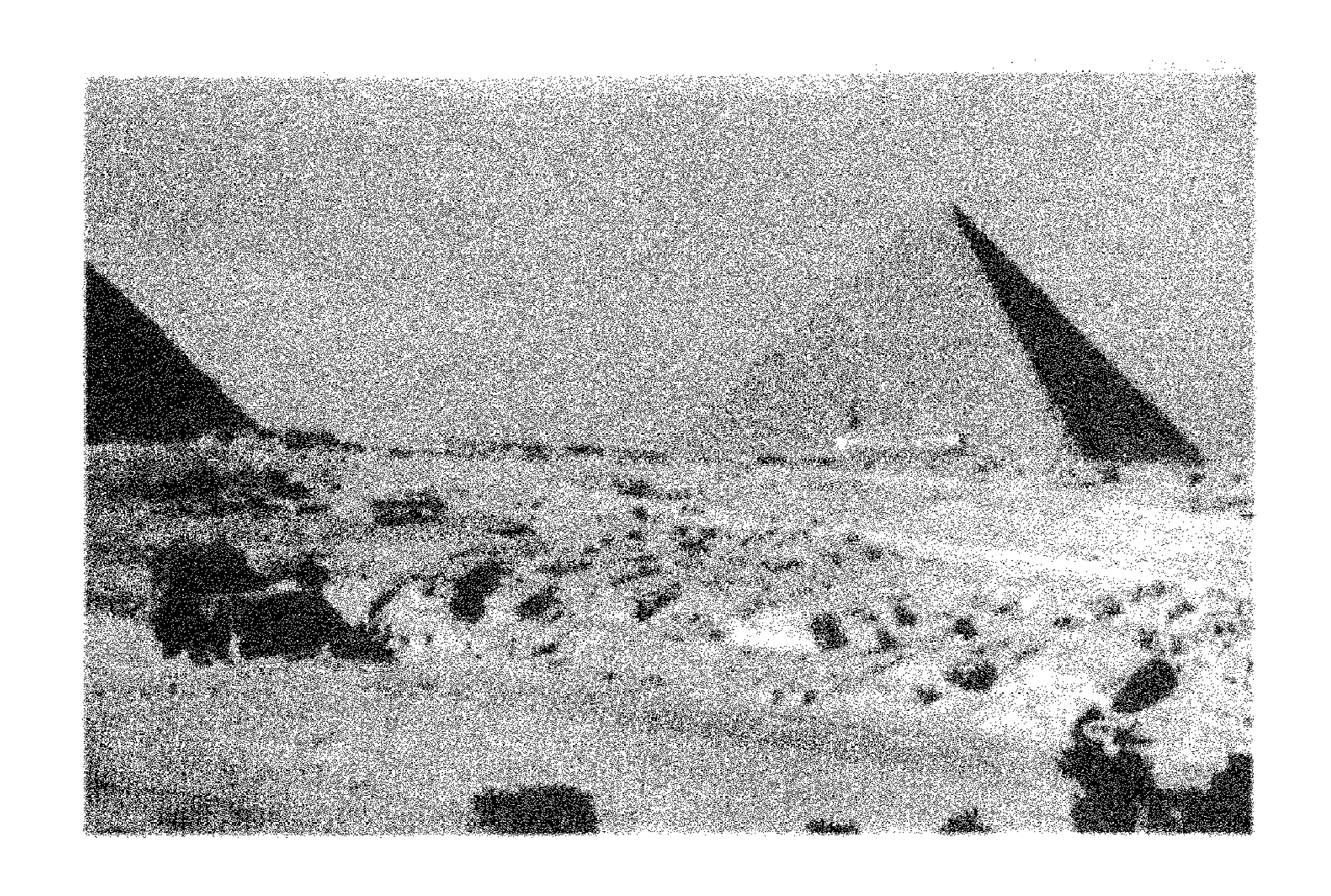
منذ العصر القديم حدث تطور فى الفنون التشكيلية على الرغم من عدم ظهور إلا الكسرات القليلة فى كثير من الحالات. فلدينا عدد من قطع منحوتة جيداً بالبعد الثانى والثالث من عصر سنفرو. من بينهما التمثال الأخير لابنه "رع حتب" ناصر الواقعية. لدينا أيضا مجموعة الأثاث الخاصة بمقبرة زوجة سنفرو "حتفرس الأولى" وهى مكسوة بكسرات ذهبية لكنها بسيطة وتصميمها جميل إلى جانب كثير من أغراض الاحتفال فى العصور المتأخرة لكنها فى صناعتها غير متقنة.

خوفو:

٢٥٤٧-٢٥٢٤ ق.م.:

على الرغم من السمعة الكبيرة التى نعم بها والده، عانى خوفو بن سنفرو ووالدته "حنفرس" من ضغوط العادات الشعبية، وتسجيلات هيرودتس فى العصور المتأخرة تعطينا صورة واضحة عنه:

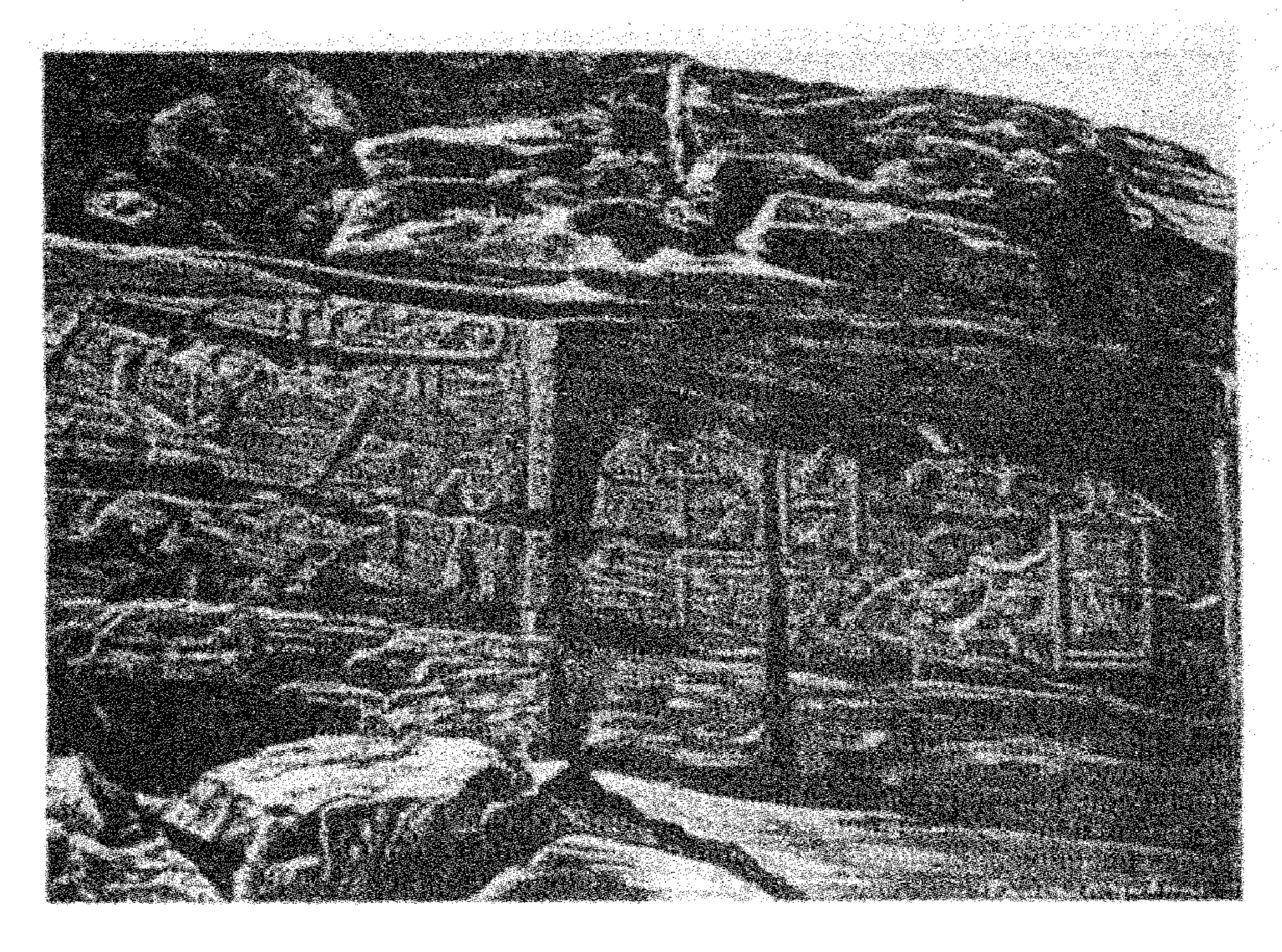
"......... جلب خوفو على البلاد كل أنواع الشقاء. أغلق المعابد ومنع أصدقاءه من تقديم الاضحيات ودفعهم بلا استثناء للعمل عنده. يتذكره المصريون بصعوبة شديدة لأن كرههم له كان كبيرًا جدا......". القصص المكتوبة فى عصره تظهر شخصيته قليلا خاصة عند الإشارة له فى أعمال والده نفسها.



الشكل ١١. الهرم الأكبر بالجيزة، تحت الأرض مقابر خاصة، وفى القاع يسارا مقبرة الملكة "خنتكاوس الأولى".

ومن المستحيل معرفة مدى التوافق بين هذه المقولة والحقيقة. ويعتقد أن قرار إغلاق المعابد يعود إلى الملك الزنديق المتأخر صاحب الأعمال العقيمة "إخناتون" (سنذكره فيما بعد) كما تذكره الذاكرة الشعبية. لكن الأسباب الجذرية للاعتقاد أن خوفو ملك ظالم وجبار ليست معروفة.

أثره الضخم بالجيزة – الهرم الاكبر– ظل لفترة كبيرة أضخم مبنى فى العالم ولا يزال أحد الأعمال البشرية العظيمة المذهلة، وهو حوالى ٢٣٠ مترًا مربعًا وارتفاعه حوالى ١٤٧ مترًا. هذه الأرقام الهائلة بلا شك هى التى أثرت على الرأى الشعبى للبانى متجاهلين حقيقة أن مجموع أعمال سنفرو فى دهشور ومديوم وسيلا يفوق بكثير هرم خوفو بالجيزة.



الهرم ومبانيه الملحقة تتبع القاعدة الأساسية لآثار سنفرو. الأرض المسورة والمباني العظيمة التى أخذها زوسر وخلفاؤه من بنايات "أبيدن" فى العصر القديم وأحل محلها أشياء أبسط. فى مواجهة الواجهة الشرقية للهرم يقف المعبد الجنائزى ومنه طريق يقود شرقا إلى "وادى المباني" على حافة الصحراء، وهو متصل بالنيل بقناة، إلى جانب هذه العناصر يوجد هرم صغير مساند (فى حالة خوفو عين الموقع مؤخرا فقط) وله أهمية طقسية غير محددة. وسلسلة من الحفرات كمكان لوضع القوارب فى الطقوس الجنائزية.

الهرم الأكبر نفسه مر بعدد من العمليات البنائية ونتج عن قرار متأخر لتوظيف ناموس حجرى. هذا يعنى أن حجرة عميقة تحت الأرض متصلة بممر طويل وعرضه متر مربع هجرت تماما من أجل أماكن دفن عالية فى جسم الهرم نفسه. هناك يمكن أن يوضع الناموس فى مكانه وبنيت غرفة الدفن حوله، الأهرامات التالية لها مبان تحت الأرض وغرفها الرئيسية متروكة مفتوحة على السماء حتى بنيت مجارى الهرم السفلية فوقها.

وبالنسبة لحقيقة خوفو بقيت مبهمة رغم إثبات أعماله فى سيناء ومحاجر الديوريت[١] الواقعة فى أعماق صحراء النوبة شمال غرب أبو سمبل. وظلت الوزارة فى يد نسيبه "همون" ابن "نفرمات" لفترة طويلة من حكم خوفو. كثير من أعضاء الأسرة الملكية معروفون من جبانة المصطبة الضخمة ومكانها حول الهرم الملكى. كان وريثه "كاواب" من الزوجة الأولى "مريت يوتس"، وقد دفنت فى أحد الأهرامات الثلاثة الصغيرة المبنية لأم الملك وزوجاته جنوب المعبد الجنائزى للهرم الرئيسى وغرب الهرم الجانبى المقشور مؤخرا. كان هناك أبناء آخرون من بينهم "خوفو خاف" و"منخاف" و "دجد فور" إلى جانب الملكين "دجدفرع" و"خفرع" . يعتبر "دجدفور" من الحكماء كما تشهد لنا كسرة من كتاباته الباقية، عدد من أبنائه كانوا رواة قصة فى سلسلة من القصص عن بلاط خوفو عرفناها من بردية "وستكار".

خلف خوفو "دجدفرع" الذى عرف "بالمغتصب" لكن بلا دليل. فقد أكمل طقوس والده الجنائزية واسمه موجود على الكتل الغطائية واضحا فى إحدى حفر القوارب الجنائزية السالف ذكرها. بعد فترة حكم قصيرة بنى خلالها هرم فى أبو رواش خلفه أخوه "خفرع"، ويقال إنه كان هناك حاكم آخر بينهما ربما كان ابن دجدفرع لكن الأدلة غير يقينية.

---

(١) Diorite = الفاصول هو صخر نارى متبلور ومغبر – أخضر قليلا- يحتوى على حجر الصفاح. (المترجم)

منكورع

٢٤٩٣- ٢٤٧٥ ق.م:

عانى خفرع من نفس سمعة خوفو لأنه أغلق المعابد لتوفير العمالة لهرمه الثاني بالجيزة، والذى يقترب من هرم والده الأول فى الحجم. على النقيض سجل لنا هيرودت عن ابنه منكورع:

"**.... من كل الملوك الذين حكموا مصر، أعظم من عرف بالعدالة، ولذلك مدحه المصريون أكثر من أى ملك آخر...". يعتقد أن سمعته هذه أساسها حجم هرمه الثالث الأصغر بالمقارنة مع هرمى خوفو وخفرع.**

هناك أدلة أخرى على وجود ملك أو اثنين بين خفرع وولده غالبا كاستمرار القوة الكفاح التى تليت موت خوفو منذ ثلاثة عقود سالفة. أيا كان، فالأدلة لا توفر تأكيدًا لوجود مثل هذا الملك ويبقى من المحتمل أن منكورع خلف خفرع مباشرة.

عرف القليل عن أحداث حكم منكورع. عرف عدد من أعضاء الحاشية من بينهم الوزير "إنمن" و"نبماخت" أشقاء الملك مع أخوة آخرين من بينهم "سخمكارع" الذى عاش فى خدمة ما لا يقل عن خمسة فراعنة.

تزوج "منكورع" من شقيقته "خامر رنبتى الثانية" وأنجبا على الأقل طفلين الأمير "خونر" و"شبسكاف" وهو خليفة منكورع المباشر لان خونر الوريث الشرعى للعرش مات قبل والده ودفن فى مقبرة صخرية MQ 1 جنوب شرق هرم والده. لم تدفن الملكة جوار زوجها لكن دفنت قرب وادى المبانى للمجمع الجنائزى لوالدها خفرع. كان لمنكورع زوجتان أخريان على الأقل، وكان لهما هرمان صغيران إلى جوار مجمع الملك واحد من هذه الأهرامات يحتوى على هيكل عظمى لسيدة شابة.

عندما توفى الملك لم يكن مجمعه الجنائزى قد انتهى. كثير من الجرانيت المستخدم لتغطية الربع السفلى للهرم لم يكن قد غلف. بينما المعابد لم يكملها إلا الملك الجديد "شبسكاف" بالطوب. غرف الهرم مثل غرف الهرم الأكبر عولجت بشكل ملائم قبل دخول منكورع فى ناموس رائع من البازلت مزخرف بتفاصيل وتقسيمات ظهرت أولا فى مصاطب الأسرة الأولى بسقارة.

لا يعرف كم من الوقت مضى عليه مدفونا هناك لكن بعد ألفيتين من جنازته دخل كهنة الأسرة السادسة والعشرين ووضعوا ما تبقى من مومياته فى تابوت خشبى جديد. ثم وجد هذا التابوت مرة أخرى عام ١٨٣٧ بعد الميلاد محطمًا ومدفونًا تحت أنقاض كبيرة فى الحجرة الداخلية للهرم وإلى جواره الأرجل والجذع السفلى لجثة رجل مع قدم وقفص صدر وغضروف كلها داخل جلد سميك وقطع قماش بالية.

على الرغم من أن الأدلة الأثرية تشير إلى أنها نهاية منكورع المؤسفة فاختبارات الكربون الإشعاعى تؤكد أن المومياء تعود على الأكثر إلى ١,٦٥٠ سنة فقط . لذلك هناك احتمال حدوث تلوث أثناء السرقة الأخيرة للهرم أو عند الاكتشاف، تاركاً باب النقوش مفتوحا. والبقايا الآن موجودة بالمتحف البريطانى إلى جانب "التابوت السيتي" لكن الناموس يستلقى الآن فى قاع البحر عند الساحل الأسبانى حيث غرقت السفينة التى كانت متجهة به إلى إنجلترا.

الفصل الخامس

فاتحو الطريق

"ساحورع"

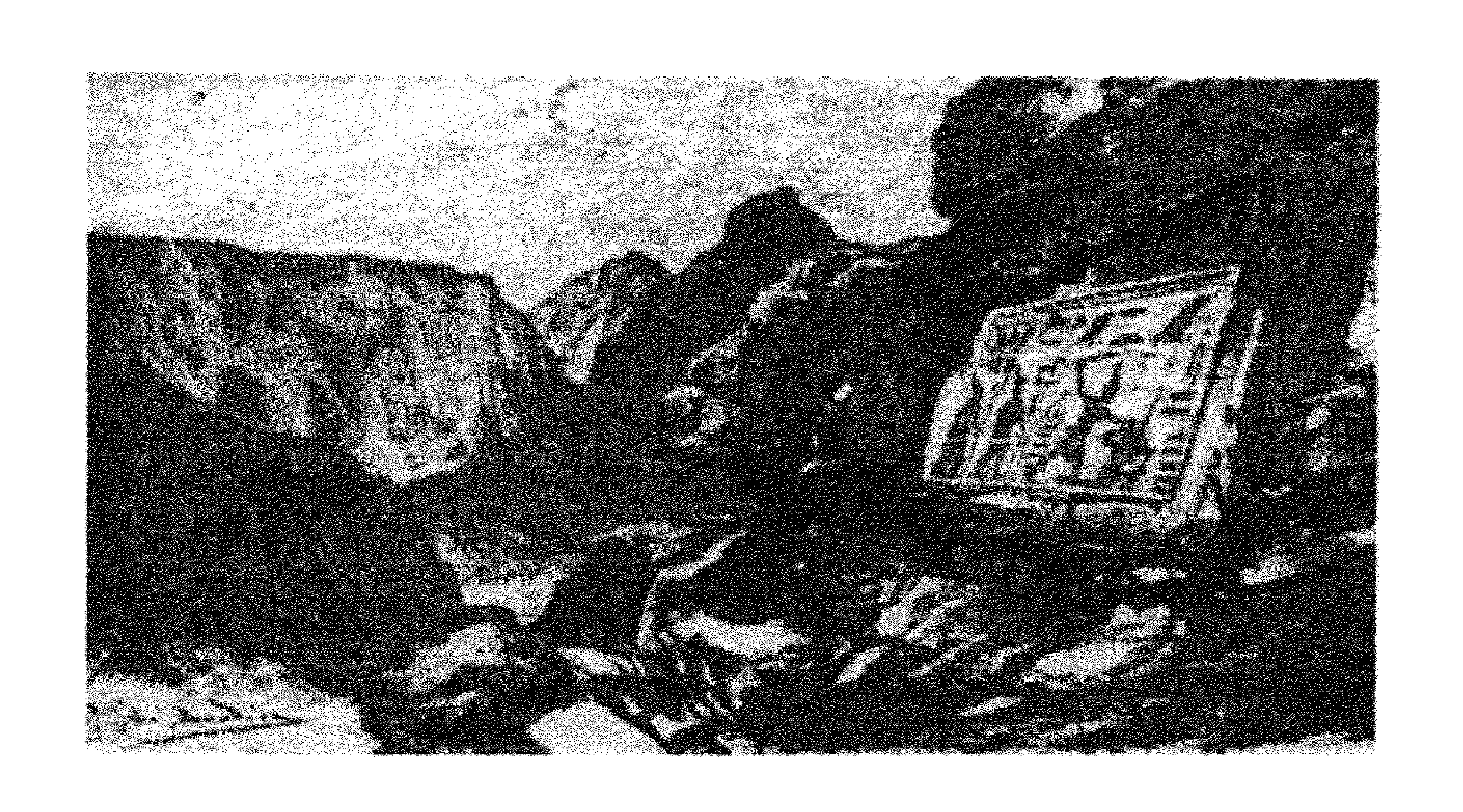
٢٤٦٤- ٢٤٥٢ ق.م:

"كان الملك "شبسكاف" آخر ملوك الأسرة الرابعة. حكم سنوات قليلة وشيد هرمًا مستطيلاً منخفضًا جنوب سقارة عرف باسم "مصطبة فرعون"، خليفته المباشر كان "أوسركاف" المعروف بأنه مؤسس الأسرة الخامسة وحفيد الملك "دجدفرع" من ابنته "نفرحتب".

تليه على العرش الملك "ساحورع" الابن البكر من ولدين للملكة "خنتكاوس الأولى". من المسلم به أن الملكة كانت زوجة لأوسركاف، لكن ذلك لم يشر إليه فى المقبرة غريبة الشكل التى بنتها فى الجيزة وتبعد عشرين كم عن هرم أوسركاف بسقارة. وتصور فى أحد النقوش مرتدية لحية وثعبان اليوريا الملكى، مما يعطينا فكرة أنها ربما حكمت فترة. هذه الظروف يمكن أن نستخلص منها أن "خنتكاوس" كانت سليلة لفرع من الأسرة الرابعة بناة الأهرام بالجيزة "خفرع ومنكورع". وربما اتحادها مع حفيد دجدفرع أنهى انقسامات الأسرة التى لازمت ورثة خوفو.

نلاحظ أن أساطير الدولة الوسطى تتحدث عن أول ثلاثة ملوك للأسرة الخامسة، أبناء إله الشمس رع من السيدة "رجدت" زوجة "روسر" كاهن رع. بينما لا يمكننا ضم ذلك مع الأدلة الوقتية إلا أن الملامح المادية للملك تؤخذ من الإله العظيم، وهى ميزة سنقابلها مرة أخرى فى الدولة الجديدة.

الأسرتان الخامسة والسادسة كانتا فترتى امتداد للدولة خارجيا، سلميا وعسكريا. لدينا تصوير من حكم ساحورع عن عودة السفن من رحلة بحرية من ميناء بيبلوس بلبنان حيث مصادر الشعير كما يظهر فى نقش أخر. ولدينا أيضا أول تسجيل لحملة لبلاد "بونت" فى العام قبل الأخير لحكم الملك وحصل فيها على كميات كبيرة من نبات المر.



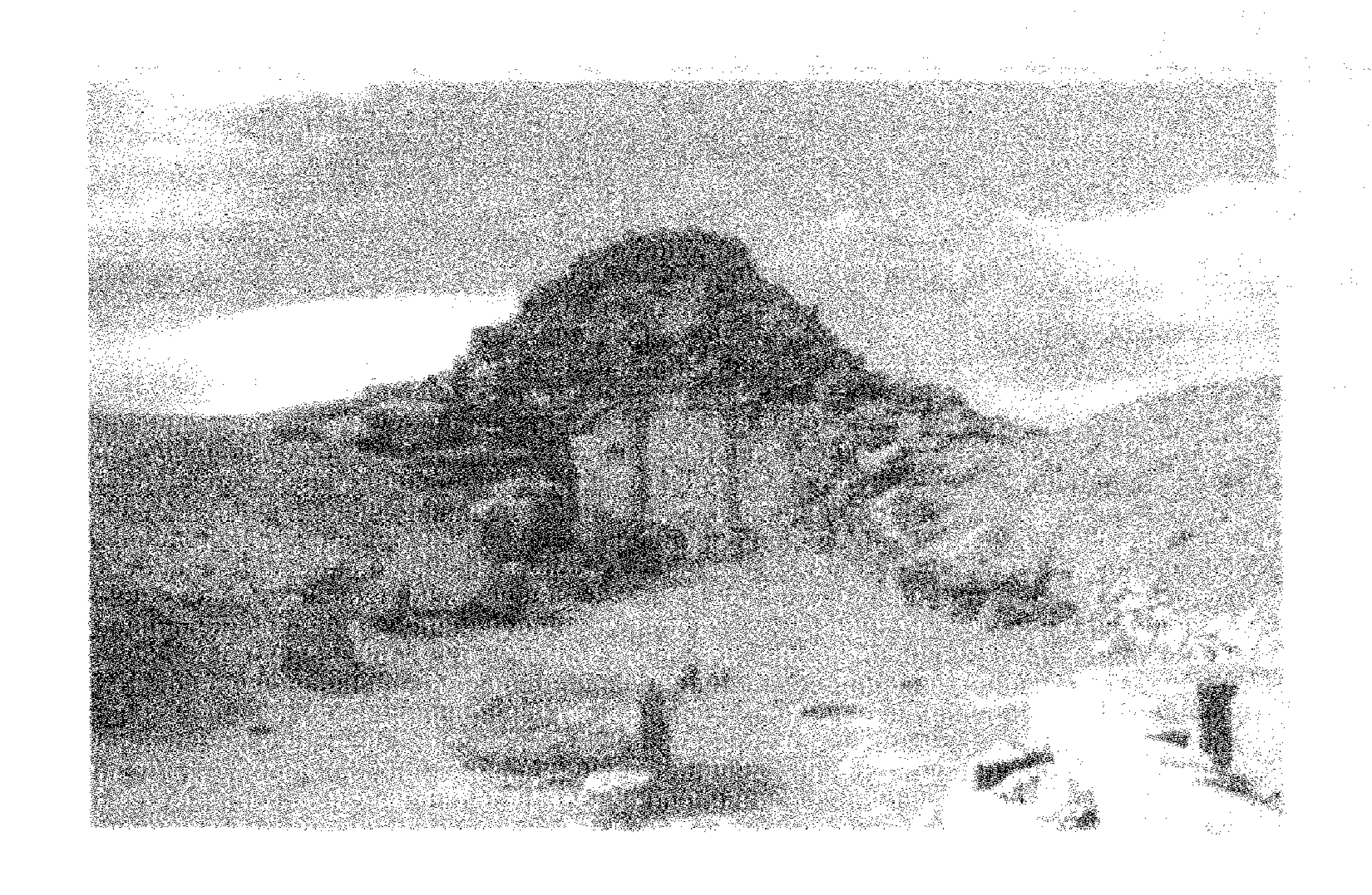
الشكل ١٣.الملك ساحورع يحطم عدوه. نقش حجرى من وادى المغارا بسيناء.

تقع بونت على ساحل البحر الأحمر مغطية أجزاء من السودان الحديثة وإرتريا وإثيوبيا. وتطلب الوصول إليها بناء سفن على ساحل البحر الأحمر المصرى ثم الإبحار لآلاف الكيلومترات جنوبا. وفى رحلة العودة فور الوصول إلى المياه المصرية تُفرغ البضائع وتحمل خلال الصحراء الشرقية حتى الوصول إلى النيل. فى عصور الدولة الحديثة وجد مثل هذا النقل السفنى خلال وادى الحمامات، لكن يقال إن هذا النقل فى الدولة القديمة قد اتخذ مكانا أبعد شمالا ربما إلى السويس.

ترك ساحورع مثل كثير من أسلافه نقوشا فى محاجر الفيروز بسيناء ومحاجر الديوريت بالنوبة تابعا مثال الملوك القدماء حتى خوفو. فى منظر بأحد المعابد تذكار لحملة إلى ليبيا جلبت أحجارًا كريمة متنوعة، ويظهر الملك يبطش بالحاكم المحلى الذى يقف فى طريقه. استخدم المشهد فى المعبد الجنائزى للملك "بيبى الثاني" وفى معبد "تاوا" لملك "طهرقا" بعد ألفى عام لاحقة بنفس أسماء الحاكم وعائلته بين أقواس، مما يجعل الجزم بحدوث الواقعة لساحورع أمرا صعبا أى انه نفسه يمكن أن يكون قد نسخها عن ملك سابق؟!.

خلال الأسرة الرابعة كانت الوزارة فى أيدى الأمراء الملكيين، لكن فى الأسرة الخامسة لم يكن الحال كذلك فمنذ حكم "سخم كارع" ابن خفرع وحتى بداية عصر ساحورع والوظائف فى يد سلسلة من العامة متصلة بالبيت الملاكى. الكاهن الأعلى لبتاح "بتاح شبس" تزوج من ابنة "شبسكاف". ولم يتول أبناء الملوك أى وظائف إدارية رئيسة، وهو الوضع الذى استمر حتى الدولة الحديثة.

أهم سمات الأسرة الخامسة معابد الشمس والأهرام. المعابد تحتوى على مسلة ضخمة، مقصورة وممر. المثال الأول الخاص بأوسركاف مقام فى أبو صير حوالى أربعة كيلومترات شمال الهرم المدرج. أثر ساحورع واسمه "سخت رع" (أرض رع) لكن موقعه مازال غير مؤكد، ربما كان شمال أثر أوسركاف. معبد خليفة ساحورع الثانى يقع على بعد كيلومترات شمالا فى أبو غريب.



الشكل ١٤. هرم الملك ساحورع فى أبو صير ومشهد علوى للمر إلى مدخل المعبد الجنائزى.

واختار ساحورع أيضا منطقة أبو صير من أجل هرمه. ويميز أثره بداية الانحطاط الحقيقى فى بناء الأهرامات من ناحية الحجم والجودة. وقد حاول تعويض ذلك بزيادة حجمه ووصله بمعابد جنائزية. الهرم الأكبر لخوفو كانت مساحته ٢٣٠ مترًا مربعًا وهو مبنى من الحجارة الضخمة . مقبرة منكورع بنيت بنفس الطريقة على قاعدة مساحتها ١٠٨ ، لكن مقبرة ساحورع كانت أصغر وشكل حجارته أسوأ ومساحتها تبلغ ٧٨ مترًا مربعًا فقط. ولا تحمل اليوم إلا ممرًا مماثلاً لشكل الهرم. وتم نقل الغطاء الحجرى الجيرى الجيد لإعادة استخدامه، وقد دمر اللصوص محتوياته بالكامل. لذلك نزحف اليوم بصعوبة داخل التجويفات التى كانت يوما ما جزءًا من حجرة الدفن.

خلف "كاكاى" (نفريركارع) أخوه ساحورع، وكان أول ملك يوظف اسم ولقب منفصلين وقد دفن فى أبو صير. ثم خلفه مباشرة ولده "نفرر" وولد آخر "نوسر". أصل الملك "شيسكارع" غير محدد، وربما كان خليفة نفرفر الذى بدأ بالكاد هرمه فى أبو صير. خلفاؤهم هم "منكاوحور" و"إزيسي" و"أوناس" وجميعهم عادوا إلى سقارة وأخرهم يقدم نصوصًا دينية على جدران غرف الدفن الملكية.

استمر تفجير مناجم سيناء إلى جانب الأعمال الملكية الأخرى لكن حدثت تغيرات طفيفة منذ عهد "إزيسى" إلى ما بعد. أهمها نهاية بناء معبد الشمس، لكن هناك تبادلات أيضا فى نظام الألقاب الرسمية الممنوحة للنبلاء. بالإضافة لنهاية استبعاد أبناء الملوك من الإدارة الرئيسية. والأكثر أهمية تمثيل الأقاليم بقرار أكثر من وزير، أحدهم وضع جنوب البلاد.

الجزء الآخر من الدولة القديمة يميزه زيادة عدد المقابر الجيدة التى بناها الحكام المحليون فى مراكز الأقاليم، خاصة رؤساء الحكومة أو الملوك. هذا العامل أصبح ملحوظا فى الأسرة السادسة التى تعرف بدايتها بموت الملك "أوناس". على الرغم من عدم وجود دليل على انقطاع الخط الملكى عند هذه النقطة. هناك نقطة مهمة محتملة أيضا يوجد منظر- بالمجمع الجنائزى الملكى "لأوناس" – تصوير لأشخاص فى مجاعة، إذا كانوا مصريين فإن حالتهم تدل على التأثر بالاضطرابات داخل الدولة التى ربما أثرت على تغير الأسرة. من الناحية الأخرى النقش ربما يصور أجانب يكرمهم الفرعون بالإعانات: ومع كل هذه الأدلة عن التاريخ المصرى مازلنا نجهل الكثير.

ببيى الأول

٢٣٤٣ - ٢٢٩٧ ق.م:

كان أول ملوك الأسرة السادسة هو الملك "تيتي" الذى خلفه ولده "ببيى الأول" على العرش من الملكة "إيبوت الأولى". من المحتمل أن الملك "أوسركارع" حكم فترة قصيرة بين الاثنين لكن لا توجد أدلة غير قوائم الملك.

استخدم ببيى الأول فى النصف الأول من حكمه لقب "نفرساحور" ثم غيره بعد ذلك إلى "مرى رع"، ومثل هذه التغيرات كانت دارجة فى تاريخ مصر (مثل "منتوحوتب" الثانى، "سبتاح"، "رمسيس الرابع") لكن أسبابها غير معروفة. شهدت فترة حكمه الطويلة عدة حملات أرسلت إلى الجنوب وإلى الشرق فى مناجم سيناء ومناطق أخرى فى جنوب فلسطين. وكان قائد هذه العمليات "أوني" أحد سكان منطقة الكعب وهى أول التسجيلات المؤكدة لدخول هذه المنطقة. وقد عسكرت الفرق عند البحر قبل بلوغ الأرض المرتفعة حيث يسكن الشعب، أهداف هذه الحملة تأديبية.

سجل "أوني" فى سيرته الذاتية بأبيدوس أنه كان مسئولاً عن اتهام زوجة الملك (لم يذكر الاسم) ولم يذكر شيئًا آخر عن هذا الموضوع. من الملاحظ أن الولدين اللذين تليا الملك ببيى الأول على العرش أنجبتهما سيدتان تزوجتا الملك خلال عقدين فى فترة حكمة. قد تكون مكيدة (إثارة) حريم قد حدثت أثناء سقوط نسل الزوجة المتهمة الأولى وحرمانهم من وراثة العرش بل وأسوأ من ذلك... هناك ضحية أخرى وهو الوزير "ريور" لأن أسماءه محيت من فوق مقبرته ومن فوق أحد النقوش الملكية.

أولى زوجات الملك الجدد كانت "أنخنسمرى رع الأولى" ومن اسمها نعرف أنها إما ولدت خلال فترة حكم زوجها أو أنها سميت باسمه. الملكة شقيقة "دجو" وهما من نسل نبلاء منطقة أبيدوس. وقد عين دجو فيما بعد رئيس وزراء الجنوب. أصبحت الملكة أم ولى العهد "الأمير المتوج" "نمتيمساف" لكنها توفيت قبل الملك ببضعة أعوام وأحلت أختها محلها "أنخنسمرى رع الثانية". وهى التى أنجبت لبيبى الأول ولده الأصغر بيبى قبل أو حتى بعد موت الملك بفترة قصيرة! كما عرفنا سلسلة أخرى من الزوجات فى اكتشاف عام ١٩٩٠ لعدد من الأهرامات الصغيرة بالقرب من هرم الملك نفسه.

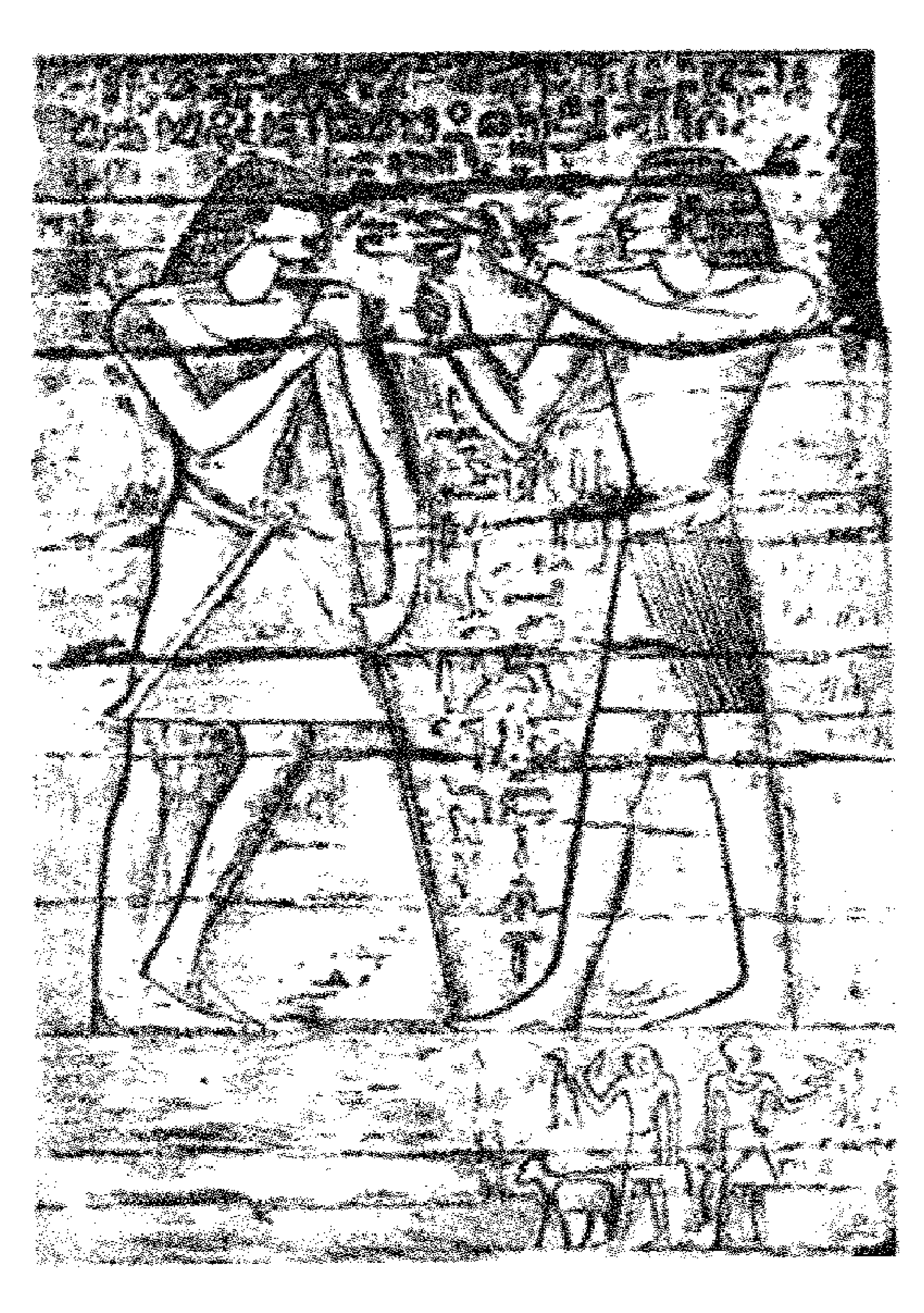
أعمال الملك البنائية تنتشر فى عدة مواقع مثل أنقاض المقصورة الباقية فى "بوباستس" مع آثار أخرى فى أسوان (الفنتين) وأبيدوس. كما يقترح نقش فى حجرة تحت الأرض بمعبد بطلمى "بدندرة" أنه شيد أعمالاً هناك أيضا. يوجد تمثال عظيم من النحاس للملك بيبى الأول فى "هراكنوبوليس". وهذا يشهد على وجوده هناك، ورأس صقر ذهبية رائعة فى المكان نفسه وهى صورة من عبادة الإله حورس وتعود كلها لفترة حكمه.

بنى بيبى الأول هرمه جنوب سقارة مثل أهرامات "أوناس وتيتي" وقد زخرفت بنصوص الأهرامات السحرية بنية تمهيد طريق الملك المتوفى للخلود. بعض أعمال الإزالة لاسمه تظهر له مشاعر كره وعداء بعد الوفاة. لكن أسوأ أعمال التدمير للمقبرة قام بها لصوص الأحجار فى العصر الوسيط عند دخول "فلندر بيتر" إلى المقبرة عام ١٨٨٠، كان كل ما تبقى من مومياء الملك قليلاً من القماش (الضمادات) ويدًا واحدة.

ببيى الثانى

٢٢٩٠ -٢١٩٦ ق.م:

خلف ببيى الأول ولده البكر "نمتيمساف الأول" الذى كان نائبا لوالده لعدة سنوات. وقد شهدت سنوات حكمه القصيرة أعمالاً أكثر من أعمال والده وساعده "أوني"، وقيام أول سلسلة حملات إلى أفريقية بقيادة "حارخوف" حاكم أسوان. اهتمام الفراعنة فى ذلك الوقت بالجنوب تظهره زيارة "نمتيمساف" إلى أسوان فى عام حكمه التاسع لاستقبال مجموعة من زعماء الجنوب.



الشكل ١٥. حارخوف وولده على رأس إحدى الحملات إلى أفريقيا، وقد كسب رقصة "دنج" التى أسعدت الملك الصغير ببيى الثاني: مقبرة أ.٨. بأسوان (قبة الهاوا).

مات الملك الشاب "نمتيمساف" فجأة فخلفه أخوه بيبى الثانى على العرش وكان لا يزال طفلا صغيرا، فوقعت السلطة فى يد الملكة والدته والخال دجو رئيس الوزراء فى الجنوب. وتحت قيادتهما استمر حارخوف وزعماء أسوان فى غزواتهم الخارجية متوغلين فى القارة الأفريقية للبحث عن الأغراض التجارية.

زار حارخوف أرض "يام" فى ثلاث مناسبات، وربما تقع هذه المنطقة جنوب الخرطوم الحديثة. رحلته الرابعة بعد فترة قليلة من تتويج "بيبى الثاني" وخلالها استمتع بمشاهدة رقصة "الدنج" التى يقدمها الأقزام. وقد ذكر ذلك فى تقرير أرسل إلى مصر بينما بدأ هو رحلته الشمالية عائدا إلى مصر. فكرة رقصة الدنج أعجبت الملك الصغير كثيرا فأمر حارخوف:

"..........أحضر فورا شمالا إلى الوطن. يجب أن تحضر معك رقصة الدنج. الرقصة الحية الناجحة والرائعة من أرض سكان الأفق، لأن الرقص للإله يسعد قلب الملك نفركارع (بيبى الثاني)....... عندما يذهب معك إلى السفينة عين له من يرعاه حتى لا يقع فى الماء. عندما ينام ليلا عين له من ينام فى خيمته وتفتيشها عشر مرات ليلا.. فإن رغبتى فى مشاهدة الرقصة أكثر من رغبتى فى الحصول على كل غنائم سيناء وبونت...."

أكمل حاركوف مهمته وسعد كثيرا بخطاب الملك حتى أنه أشار إليه فى سيرته الذاتية التى يزين بها واجهة مقبرته فى "قبة الهاوا" – أسوان.

أحد رحالة صحراء أسوان "سابني" الذى رحل إلى النوبة للكشف عن جثة والده "مخو" وهو واحد ممن لقوا مصرعهم أثناء البحث عن غنائم الجنوب الثمينة. "بيبى نخت" واسمه كذلك "هكايب" أقام حملتين عسكريتين فى النوبة قبل إرساله إلى

الصحراء الشرقية للكشف عن جثة زميل قتلته القبائل المحلية أثناء بناء قارب عند البحر الأحمر للإعداد لرحلة إلى بلاد بونت. وقد نجح فى مهمته وعاقب المسئولين عن القتل، ولسبب خاص تحول "هكايب" بعد وفاته إلى إله وعبد فى مقصورة بجزيرة الفنتين التى جذبت الرؤساء الملكيين لعدة أجيال.

عاش "بيبى الثاني" طويلا كما اعتلى العرش صغيرا، ويقال: إنه حكم ما لا يقل عن ٩٤ عاما أو ٦٤ كما يقترح البعض. وخلال هذه الفترة خدمه عشرة من رؤساء الوزراء وتزوج على الأقل أربع زوجات "نيث"، "أيبوت الثانية"، "أدجبتن" و"أنخنسبيبي" وجميعهن دفن حول هرم الملك جنوب سقارة آخر المقابر الملكية الفخمة للدولة القديمة. خلف الملك ولده "نمتيمساف الثاني" المذكور بولى العهد فى لوحة جدارية من مجمع أهرام الملكة "نيث". حكم الفرعون الجديد كان قصيرا وبعد فترة قصيرة دخلت مصر فترة اضطرابات وحروبًا أهلية.

الفصل السادس

الانهيار والتحسن

نيتوكريس (الملكة الحاكمة)

٢١٩٠ ق.م.

الأعوام التى تليت موت بيبى الثانى هى من أكثر الأعوام غموضا فى تاريخ مصر. منذ فترة حكم "نمتيمساف الثاني" القصيرة، تبعه سلسلة من الحكام غير محددى العدد أو الترتيب. أرملة بيبى الثانى "أنخنسبيبي" المعروف أنها والدة "نفركارع" التى ماتت فى عهده أو فى عهد شخص آخر ودفنت فى إحدى غرف التخزين فى مقصورة الملكة "إيبوت الثانية" الجنائزية. هذا المكان كان معتادًا للدفن فى هذا الوقت كما توضح مومياء الأمير "بتاح شبس" الموجودة بناموس قديم ومستعمل فى معبد الوادى "لأوناس".

كان الملك الأسطورى "نيتوكريس" من ضمن هؤلاء الملوك الغامضين، وهو كما نعرف الملكة الثانية (بعد مريت نيث) التى حكمت مصر كملك. ويحكى لنا عنها هيرودت.........:

"قتلت مئات المصريين انتقاما لقتل الملك أخيها، الذى قتله أتباعه وأجبروها على تولى الحكم من بعده. فبنت غرفة ضخمة تحت الأرض وعزمت كل المسئولين على قتل أخيها على عشاء رسمى ، وبعد انتهاء الوليمة فتحت أبواب النهر عليهم من مواسير خفية. بعد هذا الانتقام المريع ألقت نفسها فى غرفة مُلئت بالجمر لتهرب من العقاب.........."

ولسوء الحظ لا توجد أدلة حقيقية على وجود هذه السيدة خارج القصص الخرافية، لكن لا شك أن هذه القصة الخرافية بما فيها من احتيال لإخفاء حقائق تعكس بوضوح ما يقع خلف تغيرات الملوك السريعة التى تميز هذه الفترة وفترات مشابهة فى تاريخ مصر. فى إحدى النصوص المؤلفة فى هذه الفترة (عقاب إيبور، يعود للدولة الوسطى)، نفهم من الأحداث أن الاغتيالات والفوضى كانت مسيطرة على البلاد:

"......أه الوجه شاحب، ، رماة السهام مستعدون،

الجريمة فى كل مكان، لم يعد رجل من الماضى،

أه فيضان حابى، لن يحرث له أحد،

الكل يقول : لا نعرف ماذا حدث للأرض،

أصبح الفقراء رجال ثروة،

من لم يكن يستطع شراء نعل أصبح من الأغنياء،

العنف ملء القلوب .... العاصفة مسحت الأرض،

الدماء فى كل مكان والموتى كثير،

أه دفن الكثير فى النهر،

النهر هو القبر والقبر هو النهر.

كل النبلاء ينوحون والفقراء يهنئون،

كل مدينة تقول : هيا نطرد الحكام،

انظر الآن..... يثور الرجال على الثعبان،

سرق تاج رع، الذى وحد (سلميا) الأرضين،

انظر السكن الملكى خائف ممن يريده،

الفرق التى أعددناها لنا أصبحت رماة سهام

مستعدة للتدمير!..........."

هناك نص آخر (نبوءة نفرتى فى عهد أمنمحات الأول)، وهو يصور لنا صورة مشابهة لقرن أو قرنين تاليين من سقوط الأسرة السادسة.

"........أنا أريك أرض الفوضى،

الذراع الضعيف هو صاحب السلاح القوى،

نحن نحى من يحيينا،

سيكسب المتسول ثروة،

وسيعلو شأن العبيد......."

تعتبر نيتوكريس آخر حكام الأسرة السادسة أو أول حكام الأسرة السابعة/الثامنة وفى كل الحالات تعد حالة فردية. كثير من ملوك هذه الأسرة يعرفون من قائمة الملك فى معبد "سيتى الأول" بأبيدوس. الملك "إبي" كان ضمن من لهم شواهد مستقلة فله هرم بسقارة. وهو مزخرف بنصوص الأهرام. ويعد هذا الهرم ظلاً باهتًا لأهرامات الدولة القديمة، مساحته تبلغ ٣١ مترًا مربعًا فقط. ومازالت أنقاضه فى الصحراء تقع عند نصف المسافة أسفل الممر المؤدى لمجمع أهرام بيبى الثانى.

عرف أخر الملوك الثلاثة للأسرة من المراسم التى أقاموها على شرف "شيماي" وولده "إدى" فى "كبتوس". مصطلحات هذه الوثائق تعكس قوة الأقطاب المحلية التى تزايدت منذ عصر الأسرة الخامسة فقد حصلوا بنجاح على شرف اللقب: حاكم مصر العليا والوزير. ثبت "شيماى" مركزه بزواجه من ابنة الملك "نفركاحور".

كانت البلاد تحبو على حافة الهاوية، نتيجة ما يقع فى قلب الأرض، من المحتمل أن سلسلة من الفيضانات الناقصة قد أثرت على الدخل القومى. وقد أدت هذه الأحداث إلى سقوط الأسرة السادسة بعد عدة سنوات قليلة، وأصبحت سلطة فراعنة ممفيس أكثر من اسمية قليلا فى كثير من أجزاء البلاد. تطورت القوة فى جنوب مصر على الأقل إلى مستوى المقاطعة. كانت فقط مسألة وقت قبل أن يشعر أحد زعماء الاقاليم (الرؤساء) بقدرته على تحدى ممفيس من أجل العرش.

ختى الأول إلى الخامس:

٢١٦٠ – ٢٠٤٠ ق.م:

كان تحدى "ختي" ناجحا بكل المعايير. حاكم "هيراكلوبوليس" جنوب أرض الفيوم الخصبة على بعد ٩٠ مترًا من ممفيس. العنف الذى استخدمه للوصول إلى الحكم يعكسه وصف "مانثيو" له بأنه " رجل رهيب أكثر من أسلافه، ممن صنعوا أعمال الشر لكل المصريين".

كسب ختى قوة امتدت حتى أسوان جنوبا. ويبدو أنه تطلع للأرض شمال أبيدوس. تجمعت كل محافظات الجنوب تحت قيادة طيبة. رغم أن سلطة الأسرة التاسعة/العاشرة لختى وأتباعه كانت اسمية والحكم الفعلى لوادى النيل كان فى يد الإقطاعيين والحكام المحليين المتسابقين بانتظام على السلطة. أعلن البعض ولاءه رسميا للبيت الملكى، لكن بعض الملوك ذهبوا بعيدا لتأريخ الأحداث بسنوات توليهم الخدمة وليس بسنوات حكم ملكهم.

فى عهد خليفة ختى وهو "تفركارع" عسكر "أنختيفي" حاكم أقليم"هيراكنوبوليس عند "موالا" ثلاثين كيلومترًا جنوب طيبة. ورأس اتحادًا خاصًا به مع محافظات إدفو ضد الطيبيين. ربما كان هذه هجمة مسبقة ضد سياسة التحدى تجاه حكام "أنختيفي" من أجل السيطرة.

كانت هذه هى الحلقة الأولى من الصراع الذى استمر مع بيت ختى. بعد عدة قرون يخبرنا حاكم أسيوط "تفيبي" كيف حارب ضد الطيبيين وحلفائهم، ربما الحملة ذاتها التى أشار إليها ختى الخامس فى أمر يخاطب به وريثه. وفيه يندم أن قواته اكتسبت أرض أبيدين منه وتسببت فى نهب الجبانة القديمة.

نجاح الهيراكلوبوليتين لم يدم فترة طويلة. استعاد الطيبيون الأرض ووافقوا على نوع من المعاهدة أثناء تولى العرش لابن ختى الخامس "ميركارع". بقى التحالف مع أسيوط قويًا، وحضر الملك بنفسه تتويج "ختي" ابن "تفيبي". ثم وقع القتال مرة أخرى حول أبيدوس مع سقوط مملكة هيراكلوبوليس بعد فترة قصيرة من موت ميركارع ودفنه فى هرم بسقارة غير معروف، عرف فقط من خلال المراجع النصية.

إنتف الثانى

٢١٢٣ – ٢٠٧٤ ق.م.

نظام الحكم الطيبى الذى عارض ملوك الأسرة التاسعة والعاشرة، تعود أصوله للحكام المحليين لمدن مصر العليا فى الأسرة السادسة أو حكام الأسرة الرابعة الأوائل منصبى زوج من المصاطب الحجرية الضخمة هناك. صحوة المدينة الحقيقية بدأت عند تولى الملك "إنتف" ابن "إكوي" حكم الاقليم فى بداية الأسرة التاسعة والعاشرة.

كان له أو لسلفه المباشر دور مبكر بالاشتراك مع كبتوس كحليفة للأسرة الثامنة القديمة. فلم يكن من الممكن مصادقة المملكة الهيراكلوبوليتية الجديدة. كما شاهدنا سرعان ما وجهت ضربات التحالف إلى الجار الجنوبى "أنختيفي". ودمرت المستوطنة الطيبية فى القتال لكن بعد عدة سنوات قليلة كان جنوب مصر بالكامل تحت سيطرة حاكم طيبة "إنتف" الذى أطلق على نفسه أعظم رئيس لمصر العليا.



الشكل ١٦. الملكان "إنتف" الثانى والثالث فى لوح تذكارى نصبه "منتوحتب الثاني" فى معبد تود.

العقود التالية توضح حدوث حروب ضارية اتحدت مع مجاعة مما نتج عنه فقر وبؤس فى البلاد. فى البداية كان الحكام الطيبيون سعداء بمنزلة بعض الحكام الكبيرة. لكن خلال فترة خدمة "منتوحتب الأول" أو خليفته "إنتف الأول" أصبحا ملكين حاملين ألقاب حورس وخراطيش واحدة على الرغم من أنها لم تكن بعد مسماة بلقب .

من الواضح أن "إنتف الثاني" هو شقيق إنتف الأول وهو المسئول عن إضافة محافظة "ثينيت" (أبيدين) إلى ميراثه.

" أنا صنعت حدودها الشمالية حتى مقاطعة "أفروديتوبوليس". لقد هبط فى الوادى المقدس (أبيدوس) وأسرت مدينة "ثينيت" كلها. أنا فتحت كل جبهاتها . أنا الذى جعلتها بوابة الشمال".

الحملات التى أدت لهذه النتيجة مذكورة فى سيرة أنصار "أنتف الثاني" السياسيين. "دجاري" يذكر كيف حارب مع بيت ختى حتى غرب ثينيت.

السنوات الأخيرة لأنتف الثانى كانت ضمن معاهدة مع هيراكليوبوليس تسمح للملك بمزاولة أعمال البناء والتجارة مع الشمال والجنوب. وبقى لنا جزء من سيرته الذاتية، الجزء السفلى من اللوحة الجدارية العظيمة الموجودة بمقبرته المبنية غرب طيبة بمكان معروف اليوم باسم "التاريف" فى مواجهة المعبد الصغير للإله المحلى آمون. هذه المقصورة فى الكرنك قد تصبح يوما ما أعظم بناء دينى فى العالم.

مقبرة الملك عبارة عن فناء عظيم حوالى ٣٠٠ x ٧٤ م محاطة بطرق مبوبة تؤدى الى مقاصير حاشيته المقربين. فى الخلف يوصل صف الأعمدة ذات التيجان إلى مقدمة القرابين المزينة ومحور المقبرة الخاصة بأنتف الثانى. المبنى بالكامل نموذجًا لمبنى سلفه الواقع على بعد مسافة قليلة فى الجنوب. اللوحة الجدارية الواقعة فى مبنى بواجهة الفناء ربما تكون نوعًا من مبانى الوادى. بالإضافة إلى نص السيرة الذاتية بها أيضا تمثال كبير للملك إلى جانب صور لخمسة من كلابه وأسمائهم. عرف المصريون بحبهم للحيوانات لكن من غير المعتاد أن تجد ملكًا واضعًا حيواناته المفضلة فى لوحته الجدارية الجنائزية. مما يوضح حبه للكلاب التى سترافقه إلى الجنة بعد خمسين عاما من حكمه وجاعلا طيبة قائدة البلاد، واستمرت قيادتها لمدة سبعة عشر قرنًا من الحضارة المصرية القديمة.

منتوحتب الثانى

٢٠٦٦ -٢٠١٤ ق.م:

خلف أنتف الثالث أنتف الثانى. وكانت فترة حكمه قصيرة حيث ذكرت هدنة مع "هيراكليوبوليس" ووفرت لها الإعانة خلال إحدى المشكلات ربما المجاعة التى حدثت فى أبيدين. ثم تبعه ولده منتحوتب الثانى على عرش طيبة وتم السلام فى عهده . فى عام حكمه الرابع عشر حاول الهيراكليوبوليتان أو حلفاؤهم استعادة محافظة "ثينيت" التى كانت تابعة لطيبة لعدة قرون.

وكان هذا خطأ فادحًا من جانب بيت ختى لأنه أدى إلى نهاية الأسرة التاسعة والعاشرة. وخلال أعوام حروب منتوحتب الثانى صعدت قواته إلى الشمال فقد وضح أن جيوش هيراكليوبوليس نهبت أثناء تراجعها. وأخذت أسيوط ثم هيراكليوبوليس نفسها ومن ثم كان التوجه إلى طيبة مسألة وقت ليس أكثر.

وجدنا ستين من جثث الجنود مدفونة فى الدير البحرى مقبرة MMA 507 ويعتقد أنها فرقة من جيش منتوحتب قتلت فى المعارك مع هيراكليوبوليس. فقد قتلوا جميعا فى أرض المعركة بالسهام أو بالضربة القاضية أثناء تقيدهم على الأرض بلا حراك. تأريخ هذه المعارك تتم مناقشته اليوم فربما يعود للأسرة الثانية عشرة. أيا كان فان وجودهم بمقبرة جوار مقابر شخصيات مهمة وعظيمة مثل مقبرة "سيوارد هينو" العظيم والوزير "إبي" والمستشار الملكى، كل ذلك يدل على أهميتهم وأهمية هذه المعركة غير المعروفة الاسم سواء كان العدو هيراكليوبوليس أم عدوًا أخر.



الشكل ١٧. تمثال من الحجر الرملى المطلى للملك منتوحتب الثانى فى عيد اليوبيل من نصبه التذكارى بالدير البحرى. المقبرة الصورية معروفة باسم "باب الحصان"، بعد أن اكتشفها رئيس الأثريين "هوارد كارتر" حينما تعثر فوق مدخلها.

لتميز هذا النصر أعطى منتوحتب نفسه لقب واسم حورس جديدًا، واستخدمه حكام طيبة كمحتوى للخراطيش. وقد روجعت ألقابه مرة أخرى بعد عدة أعوام وأصبح اسم حورس"سيما تاوي" (موحد الأرضيين). مناسبة هذا التغير قد تكون أخر تعريف للملك كحاكم مستقل لمصر كلها لمدة ثلاثين عاما. هذه الإنجازات تذكرها جيدا الأجيال التالية له في النقوش، حيث وضع منتوحتب الثاني إلى جوار منيس بما أنه موحد مصر الثاني.

بعد تأمين البلاد داخليا، بدأ الملك في تمديد قواه خارج الحدود وفرض سلطته على الصحارى المحيطة ثم امتد جنوبا إلى النوبة. بعض البعثات إلى أرض الجنوب تذكرها سلسلة من النقوش الرائعة في "شط الرجال" جوار جبل السلسلة. هناك أيضا عدد من النصوص تسجل العمليات العسكرية التي هدفت لاسترداد سيطرة مصر على المنطقة أعلى النهر من أسوان.

يبدو أن الفترة التالية شهدت ظهور شبه حكومة مصرية تمركزت حول منطقة أبو سمبل. وظهرت هناك أسماء عدد من الملوك مع تابعيهم من الأصول المصرية. تحركت قوات منتوحتب تجاه الجنوب واستعادت السيطرة على المنطقة جنوب الشلال الثاني وأرست قواعد حملة ملوك الأسرة الثانية عشر التالية. شهد العام ٤١ وصول أسطول ضخم إلى أسوان من جنوب النوبة بقيادة المستشار "ختي" مظهرا بذلك الاهتمام بإعادة فتح الطرق بين مصر والنوبة وما خلفهما.

في ذلك الوقت كان الملك يحتفل بيوبيله الثلاثين في الحكم، وهي مناسبة معتادة لكن غير ثابتة. كجزء من الطقوس تقام مقبرة صورية (غير حقيقية) جوار مقبرة الملك المقصودة ويلف تمثال للملك منتوحتب الثاني- مرتديا زى اليوبيل- في كتان ويوضع إلى جوار تابوت في نهاية ممر طوله ١٥٠ م ومنحدرا بسلم إلى حجر الأساس المعروف الآن باسم "باب الحصان". تحت هذه الغرفة يوجد بئر (طريق) عمقها ٣٠ م توصل إلى قبو أخر يحتوي على نماذج قوارب.

بنى منتوحتب الثانى مبانى فخمة خاصة بمملكة طيبة الأصلية. بقيت لنا كسرات من أعماله فى عدة مواقع، لكن أروع آثاره المعبد الجنائزى الذى أقامه فى الدير البحرى غرب طيبة. يبدأ المجمع بممر طويل من حافة الصحراء محاطاً عند نهايته العلوية بأشجار وتماثيل للملك. فى نهايته توجد بناية متلاصقة ومعروفة الآن بأنها رمز متشابه للتل الأزلى الذى انحدرت منه كل المخلوقات. المعبد مزين بصفوف أعمدة ذات تيجان وصالات أعمدة. كما زخرفت بفخامة بمناظر دينية وحربية رائعة ومنها تعرفنا على كثير من عائلة الملك.



الشكل ١٨. الملك منتوحتب الثانى، يضمه الاله رع من مؤخرة مقبرته بالدير البحرى.

زوجة الملك الرسمية اسمها "تيم" وهى مدفونة بالقرب من زوجها، وكان لديه أيضا عدد قليل من الزوجات الأخريات. منهن من توفين صغيرات فى النصف الأول من حكمه وواحدة اسمها "هنهنيت" ماتت عند إنجابها. وقد دفن جميعهن تحت مقاصير خلف تل معبد الملك المركزى والذى لم يبق منه سوى الكسرات. هناك زوجة رئيسية أخرى للملك اسمها "نفرو" وهى أم وريث العرش ولها مقبرة مزينة خارج المعبد والتى بقيت محط أنظار السائحين فى الدولة الحديثة، بنى مدخل زوار خاص عندما تم إغلاق مدخل الباب الأصلى بالمبانى الحديثة التى أقامتها الملكة "حتشبسوت".

مقابر نبلاء حكم إنتف الأول والثانى صُفت على جانبى فناء مقابر الملكين. مقابر منتوحتب صفت على جوانب الصخرة العظيمة التى تحتوى على معبد الموتى الملكى. دخل الملك نفسه فى نهاية ممر آخر طوله ١٥٠ م لكن هذه المرة كان فى الفناء الخلفى لمعبده. غرفة المقبرة مزودة بمقصورة ضخمة من الالباستر وقد نهبت آثارها. ووجدت بعثة حفائر المتحف البريطانى شقفات من التابوت، ونماذج كانوبية وخشبية وقطعًا من الجمجمة ونصف الفك السفلى للحاكم .

بعد فترة حكم قاربت نصف القرن خلف الملك ابنه ولقب نفسه منتوحتب الثالث وقد أتم عمل والده قبل أن يتبعه الملك منتوحتب الرابع وهو الذى أنهى الأسرة الحادية عشرة. بعيدا عن إعادة توحيد البلاد فإن هذه الفترة كانت مهمة جدا لأنها رفعت شأن مدينة طيبة من مجرد إقليم صغير إلى منزلة الإقامة الملكية. كما ميزت علو شأن الإله آمون من معبود محلى إلى منزلة أعظم ملك للآلهة وهى عملية لم تكتمل إلا بعد أربعة قرون.

الفصل السابع

حكام الأرضيين (المستولين)

أمنمحات الأول

١٩٩٤- ١٩٦٤ ق.م.

كان رئيس الحكومة ووزير مصر العليا فى عهد منتوحتب الرابع هو "أمنمحات" (آمون هو الأول). فى العام الثانى من حكم الملك قاد أمنمحات حملة كبيرة إلى وادى الحمامات الواقع بين كبتوس والبحر الأحمر لجلب الأحجار من أجل ناموس الملك. وتسجل نقوش الوادى كثيرًا من أحداث الحملة:

".. ثم حضرت غزالة عظيمة ومعها صغيرها. كانت تركض سريعا ووجهها أمامها وعيونها تطالع خلفها.. لم تلتفت، لكن وصلت فى هذه اللحظة الحاسمة إلى الكتلة التى مازالت فى مكانها. وكانت هذه الكتلة الصخرية مكان الناموس. ألقت بصغيرها فوق الكتلة والجيش يشاهدها ثم ضحينا بها فوق الصخرة وأشعلنا النار.."

كانت هذه النبوءة هى الحافز على اختيار الصخرة فبدأت رحلتها بأمان إلى طيبة. كانت الصحراء الشرقية من الأماكن الجافة، فلا وجود للمياه إلا فى بعض الآبار القديمة على مسافات بعيدة. لذلك حدثت معجزة أخرى تستحق أن تذكر:

".. أثناء العمل فى صخرة الناموس كنا نتعجب!! نزل المطر وظهر شكل الإله رأى الرجال شعلته.. غرقت الأرض العليا فى بحيرة.. وجدنا بئرًا فى منتصف الوادى بمقاس ١٠ X ١٠ كيوبيت (٥،٢ م) على كل جانب. وكانة ممتلئة لحافته بالماء النقى النظيف لم تمسه الغزلان أو البرابرة.. الجنود والملوك القدماء مروا جميعا عليه ولكن لم ترها أى عين قبل ظهورها الآن.."

منصب الوزير هو أعلى المناصب التى يمكن أن يصل إليها أى رجل مصرى ليس من الأسرة الملكية. بعد خمسة أعوام من بعثته إلى الحمامات أنجز أمنمحات أكثر وأكثر حتى أصبح الفرعون "أمنمحات الأول".

الطريقة التى وصل بها أمنمحات الأول إلى الحكم خلف منتوحتب الرابع مازالت غير معروفة. ربما يكون ترقى واقعيا أو قد يكون مثل بعض الأمثلة التاريخية التى تنتخب عندما يتوفى ملك ليس له وريث. الخيار الأول قد يكون أفضل إذا كان هناك سلسلة من النصوص تصف مجاعة أو مشكلة كبيرة عولجت فى هذا الوقت. أُخذت نقوش من جبانة "دير البرشا" ومحاجر الالبستر فى "هاتنب" وتم نقشها خلال حكم الملوك أصحاب لقب "حار".

والد أمنمحات الأول هو سنوسرت ويذكر فى عدد من النصوص المتأخرة بلقب "العراب (الأب الروحي)". وهى عادة تستخدم للتفرقة بين الملوك من السلالة غير الملكية وفى مناسبات أخرى لتعريف والد الملكة. وكانت والدته "نفريت".

أمنمحات الأول مؤسس الأسرة الثانية عشرة فى الدولة الوسطى تقلد كل مراسم السلطة أثناء إعادة توحيد منتوحتب الثانى لمصر. على الرغم من ذكر الملك منتوحتب الثانى بفخر فى الدولة الحديثة لكن الدعاية الرسمية لأمنمحات الأول تظهره فى دور الموحد الحقيقى للبلاد. ثم شاعت مجموعة من النبوءات، وبالأخص واحدة على لسان "نفرتي" فى قاعة سنفرو قديما فى الأسرة الرابعة عند التعليق على حالة تحول الاضطراب والفوضى التى أصابت الأرض، وتعلن النبوءة:

"سيأتى ملك من الجنوب،

اسمه أمينى (أمنمحات أو أمينيس)

ابن سيدة نوبية، طفل من مصر العليا،

سيأخذ التاج الأبيض،

سيرتدى التاج الأحمر،

هنيئا لكم يا شعب هذا العصر،

لأن هذا الرجل سيخلد ذكراه إلى الأبد،

الأشرار والخونة

سيصمتون خوفا منه،

ويسقط الآسيويون تحت سيفه،

ويسقط الليبيون أمام شعلته،

واحدا سيبنى أسوار الحاكم،

ليمنع الآسيويين من دخول مصر،

سيشحذون الماء،

ويعود الحق لموضعه...."

أهم أعمال الملك هو نقل العرش الملكى من "طيبة المدينة" الملكية لأنتف ومنتوحتب إلى موقع جديد فى الشمال. لأن أمنمحات كان رجلاً جنوبيًا يحمل دماء نوبية أيضا، فقد صعب عليه حكم الدلتا من أعالى النهر، كما كان الدفاع عن جبهتى الشمال الشرقى والشمال الغربى صعبًا أيضا. "أسوار الحاكم" التى ذكرتها

"نفرتي" هى سلسلة من القلاع لحماية الأرض الشمالية للسويس. لذلك تأسست مدينة "إتى تاوي" (المستولى على الأرضيين) فى الأرض الجديدة "ليشت" لتبقى المقر الرسمى للفرعون لأربعة قرون تالية.

كان هناك تسجيل لكل حكام الأقاليم التى وحدها منتوحتب الثانى مع حكام هيراكليوبوليس الأوفياء، والتى أخذ مكانهم المقربون من الحكم الجديد. لقد ظلت الأقاليم أهم وحدات بنائية فى الدولة. رغم أنها الآن تنظم لتفادى علو شأنها مرة أخرى أو حرب العصر المتوسط الأول. من أشهر حكام المحافظات، حكام إقليم "أوريكس" وقد دفنوا فى سلسلة من المقاصير المقابر الرائعة فى "بنى حسن". إحدى سلالة هذا الخط "خنوم حوتب الأول"، وقد رافق أمنمحات الأول فى رحلة نيلية بأسطول صغير مكون من عشرين سفينة، بهدف إقرار السلطة الملكية لكل من يحاول معارضة نظام الحكم.

فى عام حكم الملك العشرين عين الملك ولده "سنوسرت الاول" نائبا له، وكان أمنمحات بلا شك كبير السن وفى حاجة إلى عون وريثه لتحمل بعض أعباء الحكم. ومن هذه الأعباء قيادة البعثات العسكرية خاصة إلى النوبة التى عادت كاملة إلى السيادة المصرية. امتدت بعض النشاطات العسكرية إلى سيناء والصحراء الغربية. توفى الملك أمنمحات الأول أثناء عودة الملك سنوسرت الأول من حملة ضد الليبيين بعد عشرة أعوام من توليه النيابة. الملك وحده من يقرر ماذا سيحدث للقب ولده بعد الموت:

".. أخذت ساعة للراحة بعد وجبة المساء عندما أتى الليل. استلقيت على الفراش لأنى كنت مرهقا، وشرعت فى النوم فتحولت ضدى الأسلحة المخصصة لحمايتى، بينما زحفت أنا مثل الثعبان فى الصحراء. استيقظت على الاضطراب واكتشفت أنه هجوم من الحراس الخاصين. هل أنا قادر على حمل السلاح؟ لقد جعلت الجبناء يفرون لكن لا أحد يقوى ليلا، لا أحد يستطيع أن يحارب وحده . لا أمل فى النجاح بلا مساعد.

لذلك أريقت الدماء وأنا بدونك، قبل أن يسمع القضاة أنى سلمتك كل شيء قبل أن أجلس وأتحدث معك. لأنى لم أكن مستعدًا لذلك لم أفكر فى ذلك أبدا ولم أر خيانة الخدم."

مات الملك على أيدى مغتالين. وحضر رسول إلى الملك سنوسرت على حدود الصحراء. وخوفا من الخيانة عاد الملك مسرعا إلى "إتى تاوي" بدون علم قواته لتأمين العرش. ربما تورط بعض الأمراء من البعثة فى المؤامرة لأن هناك مناقشة ضمت أحدهم كانت مقدمة نص "طيران سنوحي" الذى يعد أساسًا أحد أعظم الأعمال الأدبية المصرية.

نجح سنوسرت فى منع أى تمرد وعصيان ثم دفن والده فى هرمه فى "ليشت" وهو أثر ربما بدأ بناءه فى فترة متأخرة من الحكم. ويبدو انه احتل مكان أثر أقدم منه فى طيبة تابعا سلفه الملك منتوحتب الثانى. من صدى أعمال الدولة القديمة أثر أمنمحات الجنائزى الذى أحيط بمقابر تابعيه وعائلته. المقبرة الأولى تحوى زوجته "نفريتاتين" أم سنوسرت الأول وابنته "نفرشيربت". حجرة دفن الملك أمينميس لم يدخلها احد فى العصور الحديثة، لأن الغرفة غرقت فى المياه الجوفية وتحول الهرم إلى أنقاض متعامدة ليس لها شكل، فكأنه تذكار حزين لملك عظيم.

سنوسرت الثالث: ١٨٨١ - ١٨٤٠ ق.م:

كانت سنوات الأسرة الثانية عشرة سنوات تقدم وقوة عظيمة. شهدت فترة حكم سنوسرت الأول الطويلة احتلال النوبة جنوبا حتى "بوحن" مع التوغل لمناطق جنوبية أخرى. شيدت المبانى الضخمة مثل قلب معبد الكرنك وأعمال أخرى فى هليوبوليس. كان نائب سنوسرت الأول وخليفته هو "أمنمحات الثاني" الذى قاد بعثة إلى النوبة عندما كان أميرا وكل ذلك مسجل على النقش العظيم الذى أنتج خلال فترة جلوسه الطويلة على العرش.

الملك التالى هو سنوسرت الثانى وكانت شواهده قليلة لكنه كان المسئول عن التنمية الضخمة للفيوم منطقة الواحات ٧٠ كيلومترًا جنوب القاهرة الحديثة. حيث بنى هرمه وهو أول هرم من الطوب وليس من الحجارة، وقد استمر خلفاؤه فى بناء أهرامات طوبية أيضا. ثم تبعه ابنه سنوسرت الثالث الذى أصبح فيما بعد من أشهر الملوك وعبد كإله لعدة قرون بعد وفاته.

وجدت مواد تعود إلى فترة حكمه فى عدد من المواقع خاصة فى جنوب مصر. تتميز تماثيل الملك بشكل ملامحها الطبيعى أى ليست كالمثالية المبالغة فى الأعمال السابقة، فملامح التمثال تعطى انطباعًا أنها حقيقية. جفون الملك الثقيلة والخطوط الأخرى كلها مميزة، وهى التى تجعل وجه سنوسرت الثالث من أكثر الوجوه ومن ومن السهل التعرف عليها فى الفن المصرى. الأمثلة السابقة تظهر سأم وضجر متزايد خاصة عندما تنحت الصور فى الجرانيت، حبيبات الحجر تعمق الانطباع. هذا التحول عن العرف الفنى السابق له مفهوم عقائدى واضح، وعند ربطه بوصف للملك فى النصوص المعاصرة نرى محاولة جادة لتقديم الملك كصاحب فكر ومبدأ.

كانت فترة حكم سنوسرت الثالث هى الأخيرة التى نجد فيها أمثلة واسعة من آثار حكام الأقاليم فى مختلف المقاطعات. حيث أعُتقد لوقت طويل أن ذلك يعكس الوعى "بكسر" قوة الحكام، لكن الآن تبدو نتيجة غير مباشرة لزيادة التمركز الإدارى مما يؤدى إلى انزواء تدريجى لسلطة القضاء المحلى العظيم كما انتقل ورؤساؤه للعمل لدى الملك فى العاصمة الوطنية.



الشكل ١٩. سنوسرت الثالث. تمثال من الجرانيت من معبد منتوحتب الثانى فى الدير البحرى.

هناك دليل بسيط على النشاط العسكرى المصرى فى فلسطين خلال الدولة الوسطى. الاهتمام بعناصر من هناك يظهر فى وجود أسماء مدن وحكام مختلفين فى مجموعة عرفت ب "النصوص الملعونة". كان هناك قوائم لعناصر الشر والحقد مكتوبة على أوانى فخارية وتماثيل، هشمت هذه العناصر لجعلها عاجزة. هذا العمل كان يقام عادة ضد الأعداء الآسيويين ويظهر فى بعثة سنوسرت الثالث التى وصلت إلى موقع خلف القدس. تعود معرفتنا بهذه العملية إلى لوحة "سبكخو" الجدارية، وتسجل كبرياءه عند أسره لجندى من الأعداء.

اشترك الرجل نفسه فى بعثات سنوسرت الثالث الضخمة إلى النوبة وفرض سيطرة مصر الكاملة هناك. أول حملة نعرفها كانت فى العام الثامن للتحضير لها إعادة الملك بناء قناة جنوب أسوان ربما كانت موجودة فى عهد "نمتيمساف الأول".

سرعة الشلال الأول كانت دائما مانعًا رئيسًا لتوغل السفن جنوبا ووجود قناة بحرية كان سيسهل مرور الرجال والمعدات. هكذا استطاع سنوسرت قيادة أسطوله خلال الممر المائى الجديد آملا الوصول إلى "كوش" بنية تأسيس حدود جنوبية مناسبة لمصر وتنظيم مجرى النيل مع المقيمين بالجنوب.

عقد ذلك فى "سيمنا" حيث بنى مجمعًا كاملاً من القلاع أو أعيد بناؤها لتسكين رجال الحكومة أو الحراس. هذه المبانى الهائلة ضاعت الآن تحت بحيرة ناصر بما فى ذلك القلاع (الطوابي) ومبانى الدفاع الأخرى، كذلك مجمع كبير من المبانى العسكرية والمدنية. تحتوى أيضا كمخازن حبوب ضخمة لإمداد معسكرات الجنود الموجودة المؤقتين والدائمين فى المنطقة.

اللوحة الجدارية المنتصبة على الحدود توضح أن نوايا الملك تهتم بالعلاقة بين النوبة المصرية والمنطقة الواقعة جنوبا.

" أقيمت الحدود الجنوبية فى عام الثامن من حكم سنوسرت الثالث، لمنع أى نوبى من عبورها عن طريق البحر أو البر، بالسفن أو بالأفواج النوبية. ماعدا من يأتى للتجارة فى "مرجيسا" أو بتصريح سنقابله جيدا مع عدم السماح لأى سفينة نوبية بمرور سيمنا والنزول عبر النهر"

هناك تسجيل لمعسكر آخر عام ١٠ -١٦ -١٩ زيارة الملك قبل الأخيرة للنوبة نتج عنها إقامة لوحة جدارية ثانية على الحدود فى سيمنا مع تضعيف لقلعة أخرى "ؤرونارتي" وجزء منها يعبر عن مشاعر المصريين تجاه جيرانهم الجنوبيين:

" لقد أسست حدودى جنوبا أبعد من أبى،

لقد أضفت لما أعطى لى،

أنا ملك يتكلم ثم يفعل،

ما يحلم به قلبى تنفذه ذراعى،

الجبان هو من يفر عند حدوده،

إن النوبى يسمع الأمر وينفذه،

فإجابته هى أن تجعله يتراجع،

هاجمه فيتولى هاربا،

تراجع فيبدأ فى الهجوم،

إنهم أناس لا يستحقون الاحترام،

منبوذون جبناء القلب،

لقد شاهدت ذلك بعينى وهى ليست كذبة.."

اللوحة الجدارية بالإضافة إلى النص يوضحان فخر سنوسرت الثالث بما أنجزه فى الجنوب وأمنيته الغالية ألا أحد يستطيع إثناءه عن رغباته:

"...سوف يذكر ابنى حدودى التى صنعتها ، ولدى الذى أنجبته، الابن الحقيقى هو بطل والده، الذى يحرس حدوده. لكن من يهجر حدود والده، والذى يفشل فى الدفاع عنها ليس ابنى ولم أنجبه.

الآن انظر إلى صورتى عند الحدود ،لقد صنعتها كى تذكرها ولكى تحارب من أجلها...."

رغم إقامة القلاع فى "سيمنا" عند الشلال الثانى، ظل المصريون يشقون طرقهم بانتظام فى الأراضى البعيدة خلف الحدود. شواهد سنوسرت الثالث الجنوبية تسجل الفيضان العالى فى "دال" على بعد عدة كيلومترات من "سيمنا" فى العام العاشر من حكمه. لم يهتم الملك بالمساحة الداخلة، فرغم استراتيجيتها كانت أكثر الأراضى الجرداء وذلك يتضح من اسمها الحديث "بطن الحجر".

لم يقلد سنوسرت الثالث والده فى بناء مقبرته بالفيوم لكن عاد إلى دهشور حيث جبانة سنفرو في الدولة القديمة وأيضا أمنمحات الثاني. وهناك بنى هرمه الطوبى المتهدم حاليا فى أجزاء كثيرة. وهو مزود بكل المعدات الجنائزية المتنقلة وقد تهدم أثناء دخول الأثريين عام ١٨٩٠ أهمية المجمع تعود لكونه نسخة من هرم زوسر المدرج الحالى وهكذا يكون مختلفاً تماما عن كل أهرامات أسلافه. لتقوية الروابط مع الماضى أخذ زوجًا من النواميس من آثار الأسرة الثالثة وأدخله فى النهاية الشمالية للمقبرة. هناك طرق ومعارض أخرى تحتوى على جثث عائلة سنوسرت الثالث بمن فيهم زوجته "نفرحنوت" . وقد بقيت لنا مجموعة كبيرة من المجوهرات جوار نواميس لعدد من بنات الملك، وهى الآن موجودة فى متحف القاهرة وقد وجدنا الكثير فى المجمع خلال شتاء ٩٥/ ١٩٩٤.



الشكل ٢٠. "قرابين السمك" زوج من التماثيل، غالبا تمثل سنوسرت الثالث وأمنمحات الثالث مرتديين الزى الكهنوتى الأولى. وقد استولى الملك بسيونيس الأول من "تانيس" على القطعة فيما بعد.

بالإضافة لهرمه بنى الملك "نصب تذكارى" فى أبيدوس مكونًا من سلسلة من المقاصير، مصاطب صورية ومجمع مقابر مذهل تحت الأرض، وبه كل أنواع الخدع لعدم وصول اللصوص به على الرغم من أنه مجرد نموذج صورى. لكن وياللأسف نجح اللصوص فى الوصول لمكان الناموس ونهبوا ما كان بداخله.

عبادة سنوسرت الثالث التى حدثت بعد وفاته كانت قوية جدا فى النوبة. فى مدن القلاع التى بناها عند الشلال الثانى كرست معابد هناك لعبادته فى الدولة الحديثة. وفى عصور متأخرة امتزجت شهرته مع أحد محاربى الملوك ونتج عن ذلك شخصية البطل والفاتح العالمى سنوسرت عند الكتاب الكلاسيكيين. كما يقول هيرودوت، فقد أبحر فى المحيط الهندى ثم اتجه من سواحل البحر المتوسط إلى أوروبا وهزم قبائل "سكيثيانس" و "الثراكيانس". وياللأسف لا يوجد دليل على وصول أى ملك مصرى إلى هذا المكان رغم أن هيرودوت يسجل انه رأى بنفسه أمثلة من الأعمدة "اللوحات الجدارية؟" التى علم أنها تدل على تقدم سنوسرت إلى هناك. واستمرت البعثات فى إظهارما لم يكن متوقعا، وليس من المستحيل أن تظهر بعض الكسرات لتلقى الضوء على الأحداث الحقيقية التى وقعت خلف الأساطير.

أمنمحات الثالث:

١٨٤٢ - ١٧٩٤ ق.م:

أمنمحات هو الابن الاكبر لسنوسرت الثالث ويبدو أنه خدم كنائب ملك لفترة كبيرة قبل وفاة والده. بعض المنحوتات المزدوجة يعود تاريخها لهذه الفترة وتظهر الملامح الطبيعية ويمكن مشاهدتها فى صور الملكين. أسلوب هذه القطع غير عادى، تمثال للملكين مرتديين ملابس الكهنة القديمة ويقدمان قرابين السمك

(الصورة ٢٠). توجد مجموعة تماثيل لأبى الهول قليلة العناصر البشرية. أعتقد خطأ لعدة سنوات أنها تخص حكام الهكسوس الفلسطينيين الذين سيطروا على شمال مصر بعد حوالى مئة وخمسين عاماً بعد ذلك. وفيما بعد أصلح الحكام كل هذه القطع ثم قسمت تماثيل أبى الهول إلى جزأين منفصلين وأعادوا نقشها.

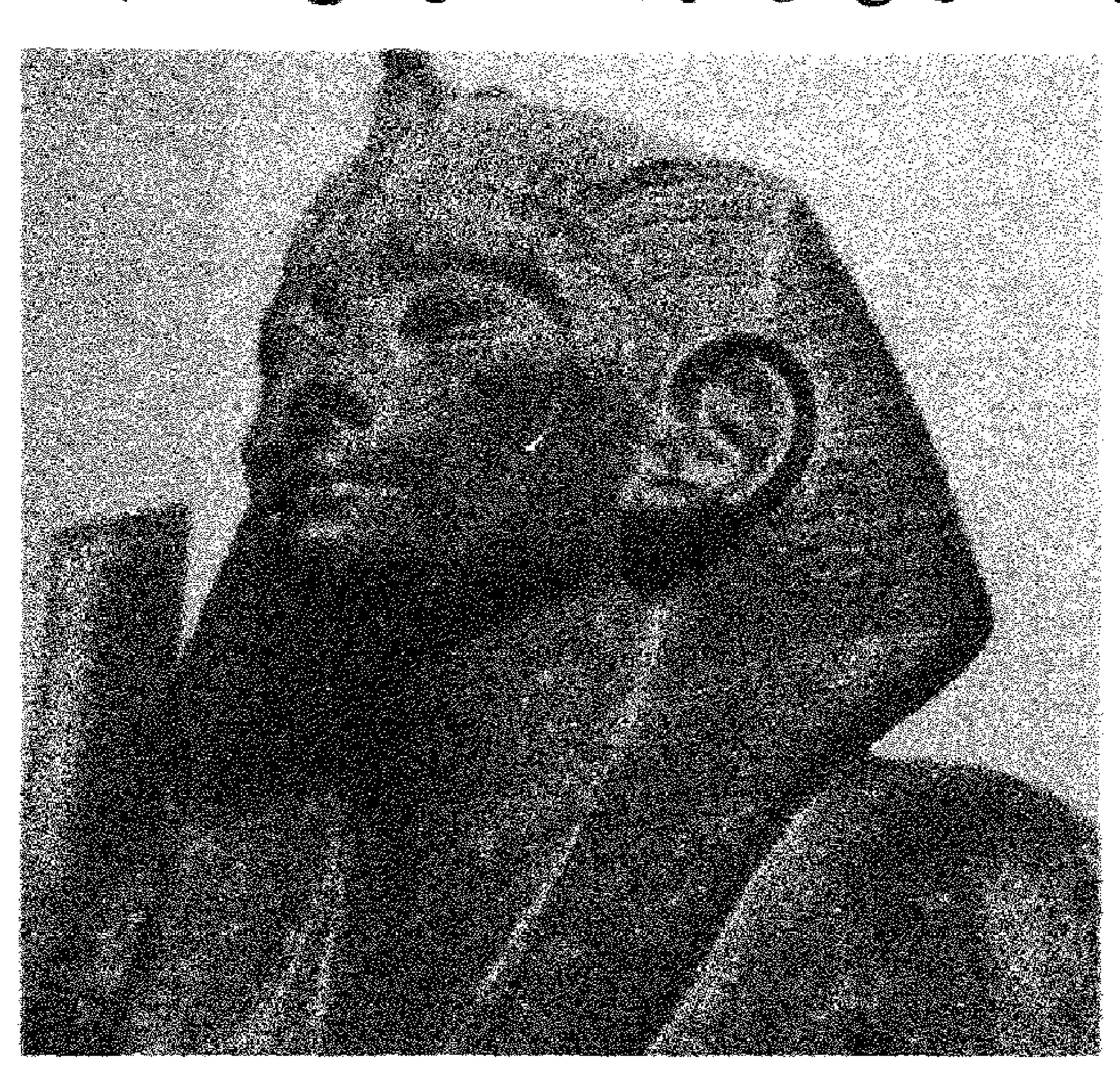
ترك لنا أمنمحات الثالث القليل من الأعمال التذكارية العسكرية عكس والده، لكن اتساع شهرته يوضح لنا كما تذكر لوحة سنوسرت الجدارية بالنوبة إنه كان الابن الحقيقى... بطل والده. استمرت الإصلاحات فى الإدارة الوطنية وقد قسمت البلاد إلى ثلاث مناطق إدارية تحكمها إدارة مركزها العاصمة. بالإضافة إلى مساندة الضباط المحليين الذين تقلصت سلطتهم السابقة.

كانت الفيوم من أكثر المناطق المقربة من قلب أمنمحات الثالث. الأرض المحيطة بالبحيرة الكبيرة "بركة قارون" الواقعة غرب النيل ويغذيها بحر يوسف وهى قناة مشقوقة من النهر الأصلى شمال أسيوط. وقد أولى سنوسرت الثانى انتباهًا إلى المنطقة نفسها كما يوضح لنا هرمه هناك فى "لاهون"، لكن فى عهد حفيده فقط نمت كثير من الأعمال الهائلة هناك لكن لم يكن حفر البحيرة منها كما ادعى هيرودوت. بنى هناك سدًا لتنظيم فيضان الماء فى البحيرة مما يوفر مساحة أرض خصبة كبيرة ويحميه جدار ترابى هائل. أقام أمنمحات الثالث لتميز مشاركته هناك تمثالين هائلين فى "بياهمو" يقفان على قاعدة عالية فى مواجهة البحيرة. كما اهتم بأعمال بنائية فى عدد من قدس الأقداس المحلية بما فيها معبد "مدينة المعادي".

عمل أمنمحات الثالث بجد فى مناجم الفيروز بسيناء، كما وسع معبد سرابيط الخادم كثيرا، الذى وجد وحيدا كنتيجة استغلال الفراعنة المنتظم لمصادر المنطقة هناك. شهدت مناطق أخرى بعثات مصرية لاستخراج المواد الخام مثل وادى الحمامات ومناجم الديوريت فى صحراء النوبة.

كانت زوجة الملك الرسمية "آت"، وقد دفنت فى غرفة بالهرم الذى بناه أمنمحات الثالث فى دهشور؛ وهو إجراء غير عادى، فكل الأهرامات الأخرى بنيت بنية دخول الملك فقط. لكن الهرم السابق عانى من فشل ذريع أثناء بنائه، كما حدث سابقا منذ ألف عام على بعد مسافة قصيرة فى هرم سنفرو المنحنى. فقد فتحت شقوق ضخمة فى كتلة السقف، مما أدى بعد محاولات التصليح إلى هجر الهرم كمدفن للملك، لكنه استخدم فيما بعد لدفن عدد من سيدات الأسرة الملكية.

ذهب الملك إلى الفيوم من أجل مقبرة جيدة التهوئة وبنى هناك هرمًا طوبيًا جديدًا فى "الحورا" فى مواجهة السد الذى كان سر ثروة المحافظة، وقد دفن هناك. حجرة دفنه استخدمت جيدا لتحتوى مدفن ابنته "نفروبتاح" قبل إعادة دفنها فى هرم صغير يبعد عدة كيلومترات جنوبا. هناك أدلة تشير لخلافة "نفروبتاح" لأبيها، فى غياب أبناء للملك، لكن وفاتها المفاجئة حالت دون تحولها إلى فرعون أنثى. هرم أمنمحات الثالث بالحورا له بناء تحتى كثير التفاصيل. فى قلبه حجرة دفن منحوتة من كتلة كوارتز واحدة، وهى من أقوى الأحجار التى عمل بها القدماء المصريون.



الشكل ٢١. الملك أمنمحات الثالث من الحورا.

في أواخر أعوامه يبدو أن أمنمس الثالث شارك عرشه مع خليفته المعين أمنمحات الرابع الذى ربما كان غير ملكى المولد وكان حكمه قصيرًا، ثم تليه على العرش ابنة الملك أمنمحات الثالث "سوبك نفرو"، وهى ثانى ملكة عرفها التاريخ المصرى، لكن قدرها المحبط كان نفس قدر شقيقتها الأكبر. بوفاتها انتهت الأسرة ١٢ فجأة وتليها عدد من الملوك قرابتهم محيرة وغير واضحة.

نفرحوتب الأول وسوبكحوتب الرابع:

١٧٢٠ – ١٧٠٠ ق.م:

التحول من الأسرة الثانية عشرة للأسرة الثالثة عشر يبدو أنه مر فى سلام لكن الاختلاف بين الاثنين مدهش. عند توثيق فترات الحكم الطويلة لدينا عدد هائل من الملوك كان لهم فترات حكم قصيرة على العرش مما يصعب فهم الترتيب الدقيق لكثير منهم.

يبدو أن أول ملوك الأسرة كان الملك "سوبكحوتب الأول"، وقد وضع نظامًا تبعه كل خلفائه وهو أنه حكم لمدة ثلاث سنوات فقط، كما بدأ بعمل نظام جديد بإدخال اسم والده "أمنمحات" فى خرطوشه وعلى هذا الأساس لا يستبعد أن يكون ابن أمنمحات الرابع مثل الحاكم الثانى فى الأسرة "سونبيف" ابن أمنمحات أيضا.

بقايا المقابر غير المكتملة لعدد من ملوك الأسرة الثالثة عشر تقع جنوب سقارة ودهشور. بنيت أهراماتهم من الطوب للمبانى الفوقية وتزداد هذه المبانى مع كل جيل فى محاولة لمنع وصول اللصوص إليها. ظل الهرم مثالاً أعلى؛ لكن بعض الملوك فضلوا المقابر البسيطة إما بسبب الفقر أو ضيق الوقت. إحدى هذه المقابر يخص الملك "حور" إلى جوار هرم أمنمحات الثالث بدهشور. ومن الغريب أنه استفاد من عدم تميز مقبرته، فقد نهب جزء منها فقط تاركا لنا مثالاً عن كل أنواع تجهيزات المقابر لملوك الدولة الوسطى إلى العالم الأخر.

اشتهرت الأسرة الثالثة عشر بقصر فترات حكم ملوكها وكانت السلطة الفعلية دائما فى يد سلسلة من الوزراء (المستشارين) المقربين، ولم يكن الفراعنة الحقيقيون إلا رؤساء شرفيين. لكن كثيرًا من الأعمال الحالية تشكك فى صدق هذا التأويل وليس واضحا كم ابتعد (إذا كان بالفعل ابتعد) الفرعون عن الحكم الفعلى للبلاد .

على الرغم من أن الكثير مازال غامضا عن هذه الأسرة، فهناك شيء واحد واضح وهو أن هذه الأسرة لم تتكون من خط عائلى واحد. كان هناك عدد من الملوك من بيئة العامة وشمل ذلك بعض مشاهير الفترة. أولا هناك "سوبيكحوتب الثالث" وهو ولد الملك "منتوحتب" والسيدة "أيوحتيبو" وكان أسلافه جميعا قصيرى العمر، مع أدلة تشير إلى حدوث فوضى بل ومقاومة عسكرية أيضا، لقب أحدهم "إيميروميشا" (القائد) قد خلف الحاكم "خندجر" وكلاهما عانى من محو أسمائه من بعض الآثار وربما لم يدفنوا فى أهراماتهم الخاصة. هذا الدليل اقتراح تأكيدى لنجاح غير عادى فى هذه الحالة على الأقل.

على خلاف كثير من الملوك السالفين كان قد عرف سوبكحوتب الثالث بأعماله فى "مدامود". كانت له ابنتان، ولا يوجد ما يدل على وجود أى أبناء. وكان له على الأقل أخان استخدموا لقب "ابن الملك". تبعه على العرش رجل ليس من أقاربه على ما يبدو "نفرحوتب" ابن "هانخف A" و "كيم". ولا يوجد دليل على وجود دم ملكى فى هذه الأسرة، جد الملك الجديد لأبيه "نهي" كان أيضا من العامة.

حفظت لنا عدة أماكن أنقاض أعمال نفرحوتب الأول من بيبلوس فى لبنان إلى بوهن فى النوبة. وهذه الأدلة الأجنبية تدل على أن التأثير المصرى مازال فى مكانته السابقة، هناك آثار فى مصر نفسها بالكرنك وعند الشلال الأول وأهم ما فيها تذكارات نفرحوتب من أبيدوس. أظهرت الأسرة الثالثة عشر اهتماما كبيرا

بالمدينة المقدسة وفى لوحة جدارية من الحجر الرملى يسجل الملك كيف أسس فى أبيدوس الشكل اللائق لصور وطقوس الإله أوزير. وقبل ذلك كان قد رتب لأبحاث واسعة فى أرشيف معبد "آتوم" بهليوبوليس للكشف عن النصوص المحددة الأصلية التى لم تظهر فى الأعوام الأخيرة.

أقام الملك نفرحوتب الأول فى أبيدوس لوحة جدارية إن لم يكن أربعًا من سلسلة اللوحات التى أقامها سلفه واسمه كما يقرأ منها إما الملك "ويجاف" أو الملك "سيتي"، وكلاهما حكما قبل ذلك بفترة قصيرة. هذه اللوحات كان من المفترض أن تميز المنطقة المقدسة فى أبيدوس والمؤدية إلى الجبانة السحيقة بأم الكعب التى أُعتقد وقتها أنها تحتوى على مقبرة إله الموت أوزير. هناك ملك أخر تم مسح اسمه ربما يكون "خنجر" قام أيضا بتزيين مقبرة دجر المعتقد أنها للإله نفسه بصورته المعروفة فى مصر حاليا.

اغتصاب نفرحوتب للسلطة جاء كجزء من محاولته لتنظيم الأعمال والأنشطة المحيطة بعبادة أوزير والعبادات المصاحبة له. لكنه بلا شك أعاد سن قوانين الملك السابق التى تحكم على كل من يبنى مقبرة هناك (حيا أو ميتا) أن يحرق. هذه المنطقة المقدسة لابد أنها الوادى المؤدى إلى أم الكعب فى منطقة معبد أوزير. مشهد (الموكب) صفوف مرتلى الطقوس كان من أهم ما يميز مسرحية الإله الغامضة، وهو بلا شك حدث وجب أن يتزامن مع زيارة الملك.

يبدو أن حكم نفرحوتب الأول استمر أحد عشر عاما. ولا يزال هرمه حتى الآن غير معروف وعند موته ترك ولده "حانخاف **B**" ثم تليه أخاه الأصغر "سيحاثور" وكانت فترة حكمه قصيرة. وعند موته تولى الابن الثالث "لحانخاف A" العرش واسمه "سوبكحوتب الرابع" .

يخبرنا نقش طويل من الكرنك الكثير عن إدارة الجنوب. فى إضافة تؤكد أن العاصمة القومية بقيت فى "إتج - تاوي". اهتمام مصر بالنوبة ملحوظ فى نصائح سنوسرت الثالث التى تشير إلى حروب سوبكحوتب الرابع فى هذه المنطقة، وكما سنرى فإن النوبة ستصبح بعد وقت قصير قوة مستقلة تستعد للوقوف ضد حكامها الأوائل.

هناك سلسلة من ضباط الملك معروفون بالاسم، المستشار "إيمرو نفركارع" من الواضح أنه ليس قريبا للعائلة لكنه احتل الوظيفة حتى لحكم سوبكحوتب الثالث. كذلك كان الملاح العظيم "نبانخ" كانت له علاقة قوية بالأسرة المالكة، ابنة أخيه "نوبخاس" تزوجت أحد خلفاء سوبكحوتب الرابع المباشرين.

يوجد الكثير من آثار سوبكحوتب الرابع فى مختلف المواقع المصرية بالدلتا والصعيد، هناك احتمال أنه فى فترة حكمه ظهرت أولى علامات التفكك بمصر. الكاتب اليونانى "أرتابانوس" يقرر أنه فى فترة حكم "شينفرز" (= خانفرع؟) قد قسمت مصر إلى عدة دويلات. على الرغم من عدم وجود أدلة على هذا القول لكن التفكك الذى أصاب الدولة بعد عدة عقود يقترح حدوث بعض الحركات الداخلية فى نفس هذه الفترة.

بعد احتلاله للعرش فترة قاربت العقد خلفه ولده سوبكحوتب الذى أصبح خامس من يحمل اللقب نفسه. مقبرة سوبكحوتب الرابع لم تكتشف حتى الآن، من المحتمل أنها فى منطقة سقارة أو دهشور حيث كثير من أهرامات هذه الفترة مازالت تنتظر الفحص.

الخمسون عامًا الأخيرة من عهد الأسرة الثالثة عشر تظهر اضمحلالاً تدريجيًا. أهم سمات أطول فترات حكم الأسرة كان الانسحاب من سواحل البحر المتوسط والمعاهدات النوبية الذى صاحبت تأسيس دولة كاملة جديدة فى النوبة العليا، وتقوية سيطرة الحكام الفلسطينيين على شمال شرق الدلتا، قاعدتهم موقع "تل الدابا". ثم احتل مكانهم مجموعة جديدة من ملوك أسيا تبعوا سياسة عدوانية سرعان ما دمرت شمال مصر كلها، وقد عرفوا فى التاريخ باسم الهكسوس.

الفصل الثامن

المحررون

تا الثانى

١٥٥٨ -١٥٥٣ ق.م:

حوالى عام ١٦٥٠ ق.م. انتقل حكم مصر من الأسرة الثالثة عشر ورثة بيت أمنمحات إلى الهكسوس، وهم مجموعة من الأمراء من أصل فلسطينى، وقد سيطروا على مدينة "أفاريس" (تل الدابا) شرق دلتا النيل وهو مكان إقامه سكان الساحل منذ منتصف الأسرة الثانية عشرة. بعد احتلال ملك الأسرة السابقة امتدت سيطرتهم وحكموا بألقاب فرعونية كاملة لأكثر من قرن. عرضت مدينتهم كثيرًا من مفاهيم الثقافة الفلسطينية مثل كثير من الآثار فى ممفيس والفيوم. تحتوى هذه الآثار على منحوتات لملوك الدولة الوسطى (انظر الشكل ٢٠) حتى حجر القمة الخاص بالهرم المفقود حاليا للملك "آيا".

فى الوقت نفسه أو أبكر قليلا ربما بعد معسكر سوبكحوتب الرابع، أصبح حكم النوبة مستقلاً عن البلاد وأرست سلسلة من الحكام قواعدها عند مدينة "كرما". وتظهر أثارهم خليطًا طريفًا من عاداتهم الخاصة وعادات المصريين التى استمرت عندهم. الأولى تظهر جيدا فى المقابر الملكية بالكرما. وشاهد القبر الضخم الذى يرقد تحته الملك فى فراش محاط بجثث أضحياته من الخدم.

فرت قلة من حكومة مصر القديمة واتجهت جنوبا إلى مدينة طيبة حيث أسست الأسرة السادسة عشر. حكم طيبة ملوك حملوا أسماء طيبية مثل "أنتف" و"منتوحتب"، من الواضح أن تواجد هؤلاء الملوك كان مع جيرانهم الشماليين. وفى فترة حكم "خيان" الهكسوسي ضغط الفلسطينيون على الجنوب ولفترة معينة حكموا جميع وادى النيل حتى منطقة الجبلين جنوبا وربما للجبهة النوبية .

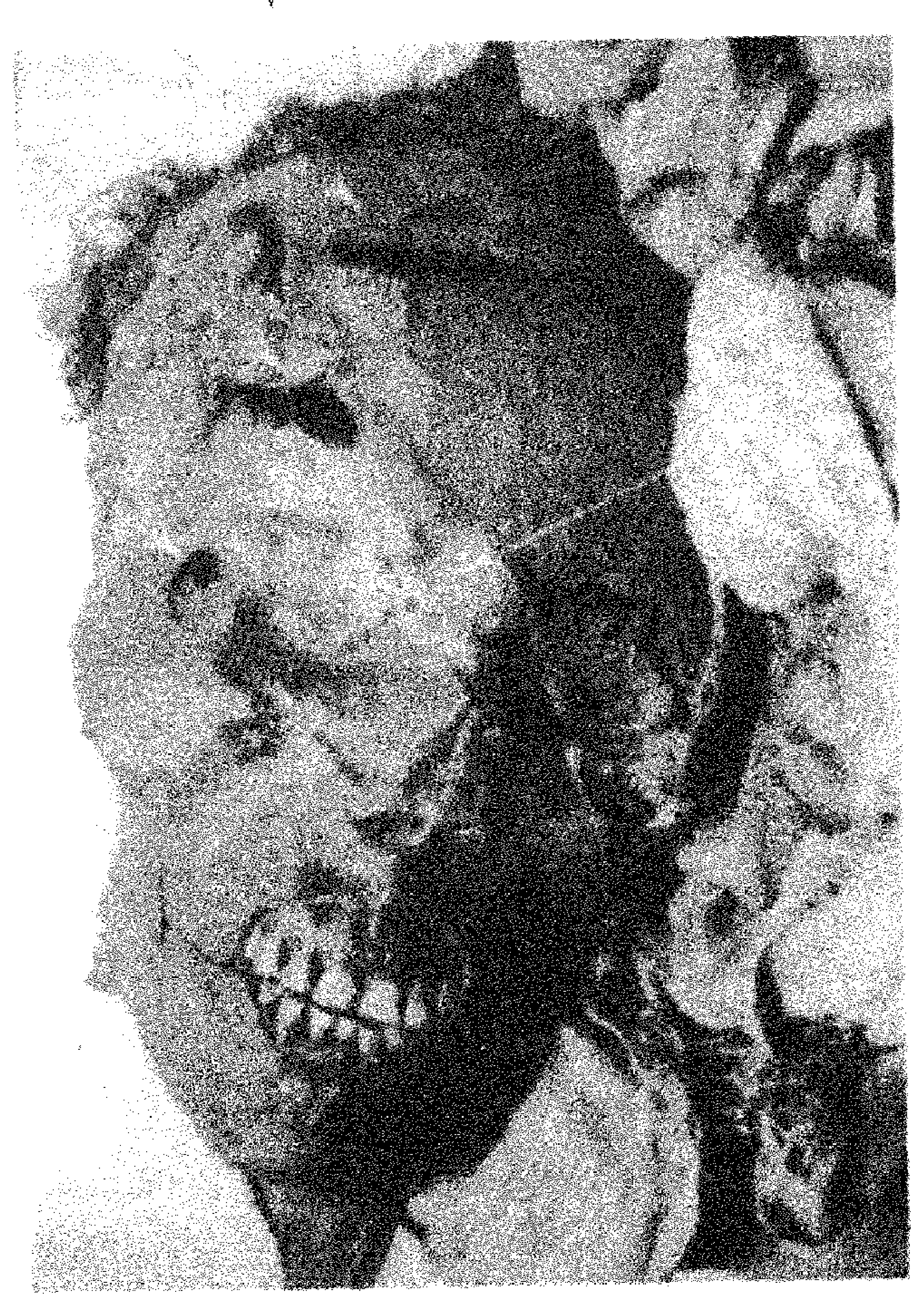
كان هذا تمددًا كبيرًا للشماليين منذ استقلال طيبة التى استعادت سلطتها سريعا على يد الأسرة السابعة عشر. وحدث نوع من الوئام بين الحكومتين ربما مع تقبل طيبة للهكسوس كحكام لفترة معينة. لكن هذا أحدث تغيرا فى حكومة الملك قبل الأخير فى الأسرة "تا الثاني". والدته هى الملكة "توتى شري" ابنة القاضى "تجينا" والسيدة "نفرو"، وتشهد الآثار أن والده ربما كان سلفه الملك "تا الأول". وتزوج الملك من أخته "أحوتب" وأنجب منها عدة أطفال.

معرفتنا عن المعركة التى حدثت بين طيبة وأفاريس مأخوذة من أسطورة قديمة تخبرنا عن تذمر الملك الهكسوسى "أبوفيس" لأن الوحش وحيد القرن الطيبى يقلق نومه. أصل هذه القصة أسطورى بالتأكيد ولا نعرف عن الحرب التالية لها عن نتائجها أى شيء.

من ضمن المومياوات الباقية مومياء الملك تا الثانى ولقبه "كن" (الشجاع)، وهى محفوظة بشكل سيىء ليس فيه أى فن بوجود جزء بسيط من الجلد، لكن حالة الرأس هى التى تلفت الانتباه. الجمجمة مغطاة بجروح مفزعة وثقب رهيب خلف أذنه ربما أصاب الملك بعدما أمطرت عليه الأسلحة. حطمت هراوة أنفه ووجنته بينما جبهته مقطوعة بفأس، أما فم الملك وشفتاه بقيتا لتعبرا عن صرخات ألم الملك الأخيرة.

البعض يقترح وقوع الملك فى أيدى مغتالين لكن تنوع واختلاف الأسلحة يدل على موته فى ميدان المعركة. الأغرب من ذلك أن أصل الفأس الفلسطينى المستخدم فى تحطيم الجمجمة أثبتت المقارنات الدقيقة للجرح وجوده كسلاح حربى فى هذه الفترة نفسها.

دفن الملك تا الثانى تحت هرم صغير فى "ديرة أبو النجا" فى جبانات طيبة ثم نقلت مومياؤه إلى مكان آمن فى الدير البحرى أثناء حكم الأسرة الواحدة والعشرين. ثم استقر الجثمان فى متحف القاهرة عام ١٨٨١.



الشكل. ٢٢. رأس مومياء الملك تا الثانى، تظهر الجروح الفظيعة التى سببت وفاته.

كاموس:

١٥٥٣- ١٥٤٩ ق.م

علاقة الملك كاموس بالملك تا الثانى غير أكيدة، ربما كان ابنـــه البكـــــر أو يحتمل أن يكون أخاه الأصغر. كما أن زوجة الملك غير معروفة وربما كانت "أحمس ميريت آمون" شقيقته.

تعود معرفتنا بحكم كاموس إلى لوحتين جداريتين أقامهما فى معبد الكرنك. تحكيان أنه فى عامه الثالث قرر شن هجوم على الهكسوس الذى لم يكتمل لوفاة تا الثانى تاركا الطيبيين مسيطرين على قطاع مصرى من أشمونين فى وسط مصر إلى أسوان والملك نفسه يقول:..

"إلى أى مدى قوتى، عند وجود زعيم فى افاريس وأخر فى كوش أنا اجلس جنبا إلى جنب مع الآسيويين والأفارقة، ورجل يحمل قطعته من مصر هذه.؟"

بعد ذلك أرسل كاموس قواته شمالا وشق طريقه حتى وصل إلى نقطة عميقة فى أرض الهكسوس ٨٠ كيلومترًا جنوب الفيوم عند "الشيخ فاضل". وأثناء ذلك أسر رسول الملك الهكسوسى حاملا رسالة من الملك ابوفيس إلى حليفه ملك النوبة راجيا إياه الوقوف إلى جانبه ومهاجمة المصريين فى الجنوب، بينما تكون قواتهم الأساسية مشغولة فى الدلتا. من المؤكد أن كاموس لم يخش من قبل أى هجوم من هذا الاتجاه. ومن هذا التحذير استطاع اتخاذ الاحتياطيات اللازمة لحماية نفسه. وهناك دليل يقترح أن كاموس ردا على ذلك هاجم للدفاع عن نفسه ودخل بعمق فى الجنوب حتى "بوهن".

بعد نجاحه فى إبعاد الهكسوس عن طيبة توفى الملك كاموس قبل موسم المعسكر الشمالى التالى. وقد دفن فى هرمه الغربى الصغير بطيبة ثم نقلت الجثة ودفنت فى مقبرة مهدمة تبعد حوالى ٧٠٠ متر. وياللأسف فسدت المومياء ووجدت عبارة عن مجموعة عظام وتراب عند اكتشافها فلم نتمكن من معرفة سبب وفاة الملك.

أحمس

١٥٤٩ - ١٥٢٤ ق.م.

الملك أحمس ابن الملك تا الثانى والملكة أحوتب، ويبدو أنه كان مجرد صبى عند وفاة كاموس. لم يحاول إكمال عمل سلفه فى العقد الأول من حكمه. لكن العمليات بدأت مرة أخرى وخطط الطيبيون للهجوم على هليوبوليس قبل الضغط على الدلتا وأخيرا ملاقاة الهكسوس في أفاريس.

ذُكر الهجوم على أفاريس فى السيرة الذاتية لـــ "أحمس أبانا" ضابط بحرى من "الكعب". توقف الحصار بسبب الحاجة لقمع التمرد فى الأقاليم المحررة، ثم استأنف أخيرا ما بين عام حكمه الثانى عشر والخامس عشر. تلى ذلك ستة أعوام من الحصار للجبهة الجنوبية الغربية الفلسطينية "شاروهن"، التى كان حصارها أول مسمار يدق فى نعش الهكسوس. صاحب هذا النصر العظيم مكافأة شخصية مهمة وهو الضابط "أحمس" الذى استحق جائزة "الشجاعة الذهبية" بالإضافة لبعض الأسرى كخدم.

أصبحت عاصمة الهكسوس سكنًا ملكيًا للمصريين وهناك بعض الآثار الخاصة بهذه الحقبة. هناك قصر ضخم يضم كثيرًا من كسرات ملونة بالفريسكو (تلوين زيتى على الجص) ويتضح أنها من أسلوب حضارة العصر الحجرى نفسه فى جزيرة كريت. لم نجد أية أعمال زيتية أخرى والتفسير المناسب الوحيد هو أن الملك أحمس قد أقام زواجًا دبلوماسيًا مع مملكة "أجين"[١] وسكنت السيدة هناك ولذلك تزين المكان بطابع من فنهم الخاص.

---

(١) مملكة الأجين من ممالك العصر القديم ومكانها عند بحر الايجة المطل على السواحل الجنوبية لبلاد الإغريق القديمة والسواحل الشمالية لجزيرة كريد. (المترجم)

بعد تحرير مصر من الحكم الأجنبى تحول انتباه أحمس إلى النوبة استطاع كاموس حكم بعض المناطق، ولذلك وصل حكم القوات المصرية إلى المنطقة جنوب الشلال الثانى، مما ساعد على تأسيس إدارة متحضرة جديدة يرأسها ممثل للملك وكان أول من تولى المنصب هو "جحوتي".

غياب الملك عن النوبة شجع بعض المتمردين برئاسة حلفاء الهكسوس الأوائل فى مصر الوسطى. نخص بالذكر "تيتى إن" وهو الرجل نفسه الذى كان عدو كاموس فى العقود الماضية. وفى فترة النهضة أحضرت الملكة الأم "أحوتب" إلى الجبهة هناك لوحة جدارية تمجد الملكة لاهتمامها بمصر.. التى هدأت مصر العليا ونفت المتمردين. ربما من أجل دورها فى هذه الأحداث استحقت وسام "الطيور الذهبية" والمعروف أنه مكافأة عن الشجاعة وقد وجد فوق موميائها.

توجه أحمس مرة أخرى إلى فلسطين بعد حل مشاكل مصر لتمديد سلطة مصر فى أسيا، ومن المحتمل أن هذه المحاولة قد وصلت بعيدا حتى نهر الفرات كما تذكر لوحة تحتمس الأول الجدارية. فى نهاية حكم أحمس كان قد ألحق الخجل بالهكسوس واستعاد الإمبراطورية المصرية على النيل العالى وقاد خلفاءه إلى سوريا وفلسطين وما خلفهما.

ومثل والده تزوج أحمس من شقيقته واسمها "أحمس نفرتيري" ورزقا بعدد من الأطفال من ضمنهم الوريث الشرعى "أحمس عنخ" و خليفته المباشر "أمنحتب الأول" وزوجته "ميريت آمون" والأمراء "أحمس سيباري"، "سيامون"، و"راموس" والأميرة "سيتامون".

ظلت مقبرة الملك غير معروفة لكن وجدت جثته فى مقصورة الفترة الوسطى الثالثة للمومياوات الملكية فى الدير البحرى. مثل سنوسرت الثالث كان لأحمس أيضا نصب تذكارى فى جنوب أبيدوس يحتوى على معبد ضخم عالٍ فى الصحراء و مقبرة صورية وهرم ومعبد على حافة الرقعة الزراعية. الهرم يبلغ حوالى ٧٠ مترًا مربعًا وهو آخر مثل لهرم ملكى. أوضحت الحفائر منذ عام ١٩٩٣ أن المعبد الهرمى قد زين بمناظر عن المعارك التى دمرت الهكسوس بما فيها أول استخدام المصريين للخيول.

الفصل التاسع

الملكة والفاتح

تحتمس الثالث وحتشبسوت

١٤٧٩ – ١٤٢٤ ق.م.

حكم أمنحتب الأول كان هادئًا بدون أية أحداث أو توسعات فى آسيا لقد قوى إنجازات أحمس وشيد كثيرًا من المبانى المهمة. اعتبر فيما بعد الإله الراعى لجبانة طيبة إلى جوار أمه "أحمس نفرتي" التى فاقت شهرتها شهرته. لم يكن لأمنحوتب الأول أولاد؛ لذلك خلفه رجل غير معروف الأصل وهو تحتمس الأول. ولكن هناك اعتقادًا قويًا أن تحتمس كان أحد أعضاء العائلة المالكة وربما حفيد أحمس، ويقترح أن والده كان الأمير "أحمس سيبارى" الذى ظهر بكثرة على الآثار مما يجعله أعلى شأنا من مجرد ابن ملكى لم يحكم قط، أيا كان، فالاقتراح غير أكيد.

كان تحتمس الأول محاربا وأقام معسكرات عظيمة فى النوبة وسوريا، ووصل لأبعد نقطة وصل لها أحمس. كما بنى بفخامة، وأضاف صرحين ومسلتين إلى معبد الكرنك بالإضافة إلى مبانيه الأخرى. أنجب من زوجته الرئيسية "أحمس" التى ربما كانت شقيقته أو شقيقة "أمنحتب الأول" ابنة واحدة على الأقل وولدين "أمنموس" و"واجموس". الأول ولد قبل تولى الملك للسلطة. وحمل لقب القائد الأعلى ونصب أثره إلى جوار أبى الهول العظيم بالجيزة، ثم ورث العرش قبل أن يموت فجأة.

هناك ولد أخر من سيدة تسمى "متنفرو"، وهو الذى خلف والده وأصبح تحتمس الثانى. تزوج من أخته النصف شقيقة حتشبسوت. بعيدا عن أعمال الشرطة فى النوبة فإن القليل قد عرف عن فترة حكمه التى قاربت على العقد. كانت له ابنتان من زوجته حتشبسوت هما "نفرور ونفروبيتي" ولم يكن له إلا ولد واحد من زوجته "إست" وسمى تحتمس مثل والده وجده.

ذهب الأمير الشاب للتدريب على الكهانة فى معبد آمون العظيم بالكرنك ومن هناك أعلنه تحتمس الثانى وريثًا للعرش. توليه للعرش أتى أسرع من المتوقع بعد موت تحتمس الثانى بفترة قصيرة وأصبح هو تحتمس الثالث. بما أن الملك الجديد كان طفلا تولت عمته وزوجة أبيه حتشبسوت حكم، مصر بالنيابة عنه.

كان وصول ملكة لهذا المنصب يعد شيئًا غير عادى على الإطلاق بالنسبة للأمثلة السابقة كالملكة "مريت نيث" فى الأسرة الأولى. أيا كان فإن حتشبسوت منذ البداية كانت أكثر شهرة وعظمة مما كان متوقعا. تظهر صورها على جدران معبد "سمنا" فى السودان كما تظهر صورها على لوحة جدارية.وقد وفرت توابيت جيدة من الكوارتز من نوع جديد استخدم قبل ذلك بعام أو اثنين فقط للملوك. تشير السيرة الذاتية للضابط "إنيني" الموجودة بمقبرة طيبة إلى سيطرة الملكة حتشبسوت:

"..ذهب تحتمس الثانى إلى الجنة وأخذ ابنه مكانه ملكا للأرضيين وأصبح حاكما على عرش أبيه. وأصبحت شقيقته (قريبته) الزوجة المقدسة حتشبسوت نظمت شئون البلاد تبعا لنظامها. عمل كل المصريين برؤوس منحنية لها، بذرة الإله التى أتت منه.."

فى السبع سنوات الأولى من حكم تحتمس الشاب لم تنل حتشبسوت مزايا أكثر من كونها ملكة. كان لها غطاء رأس الغراب وهو المعتاد لزوجة الملك كذلك ألقاب زوجة الملك وزوجة الإله. ثم حدث تغير درامى فى العام السابع ربما دفعها كثرة قوى الملك التى كانت على وشك الحدوث. فأعلنت حتشبسوت نفسها "ملك" لأن اللقب المصرى الذى نترجمه ملكة معناه ليس أكثر من زوجة الملك – وهى

نفسها كانت تظهر فى ملابس الرجال بكل الألقاب الفرعونية الكاملة التى فقط جعلتها تتخلى عن جنسها بإسقاط حرف التأنيث النحوى (ت أو t) من ألقابها.



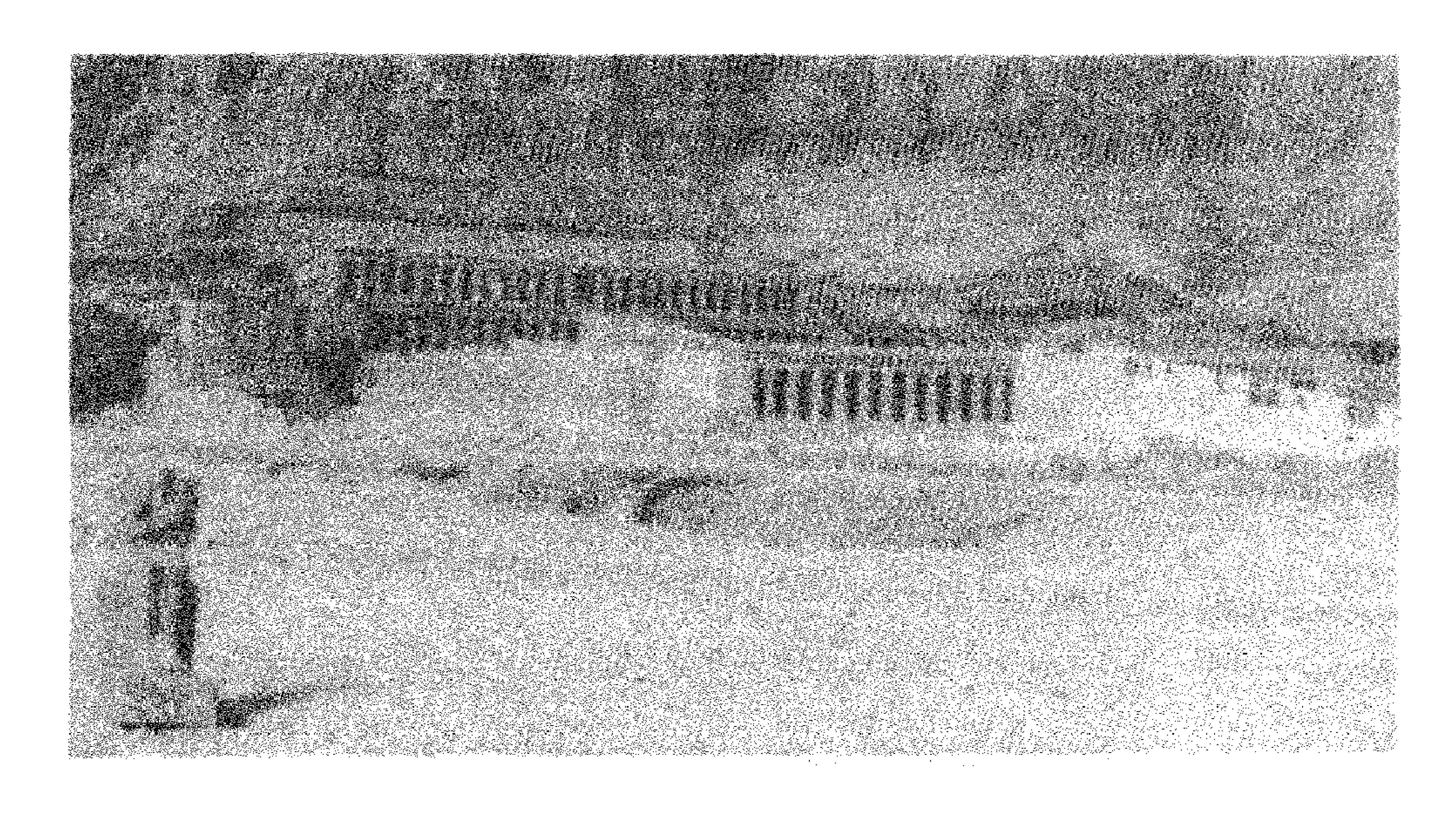
الشكل ٢٣. الحاكمان حتشبسوت وتحتمس الثالث مصوران على المقصورة الحمراء وهى من الكوارتز أقامتها الملكة فى الكرنك.

لم تضعف حتشبسوت مركز الملك تحتمس الثالث اسميا، أرخت حكمها بسنوات حكم الملك وقدمته غالبا على أثارها، أخذت مركز النائب العادى سطحيا، ولتأكيد شرعيتها نشرت قصة خرافية مغزاها أن والدها تحتمس الأول قد أعدها للملكية قبل وفاته، ولتدعيم ذلك ادعت أن مولدها كالعادة الفرعونية قد أتى نتيجة تزاوج الإله آمون رع والدتها متخفيا فى هيئة الملك وقام الإله خنوم بتشكيل الجسد الإلهى للطفل على دولابه الخزفى بمساعدة الإلهة الضفدعة "هيكيت".

تشارك تحتمس الثالث مع حتشبسوت الحكم مدة أربعة عشر عاما، ويبدو أنه كان هناك انقسام فى العمل، فالملك مسئول عن الشئون العسكرية والملكة مسئولة عن أعمال الدولة، بالإضافة إلى بعض المعاملات الأجنبية السلمية. قاد تحتمس

معسكرين إلى فلسطين ومعسكرين أيضا إلى النوبة وبالنسبة لحتشبسوت فأهم إنجازاتها الأجنبية هى البعثات التجارية إلى بلاد بونت، منطقة البحر الأحمر التى كانت شريكًا تجاريًا لمصر منذ عصر الملك "ساحور"، ومن أهم المنتجات التى كانت تجلبها نبات المر والعاج والأخشاب وإنسان الغابة وأغراضًا غريبة أخرى. وهذه الرحلات مسجلة على جدران معبد جنائزى جميل بنته حتشبسوت فى الدير البحرى إلى جوار معبد الملك منتوحتب الثانى من الأسرة الحادية عشر.

معبد حتشبسوت الجنائزى واحد من نوع المعابد الجنائزية لملك من الدولة الحديثة. منذ عصور الدولة القديمة حتى الأسرة الثامنة عشر فضل معظم الملوك أهرامات كبيرة أو صغيرة معتمدين على مصادرهم أو طول فترة حكمهم. يدفن الجسد الملكى تحت مقصورة مليئة بكل ما تحتاجه الروح فى الحياة الأبدية. لكن منذ عهد تحتمس الأول إن لم يكن قبل ذلك تبدل النظام بآخر فيه فصل العناصر. اختفى الهرم نفسه لكن القمة الهرمية "القرن" بقيت واقفة كالبرج فوق جبانة طيبة كبديل. العنصر الأول الغرف التى تحت الأرض نقلت إلى وادى صحراوى خلف سطح صخرة قوية فى مواجهة مدينة الموتى وهى معروفة الآن بوادى الملوك.



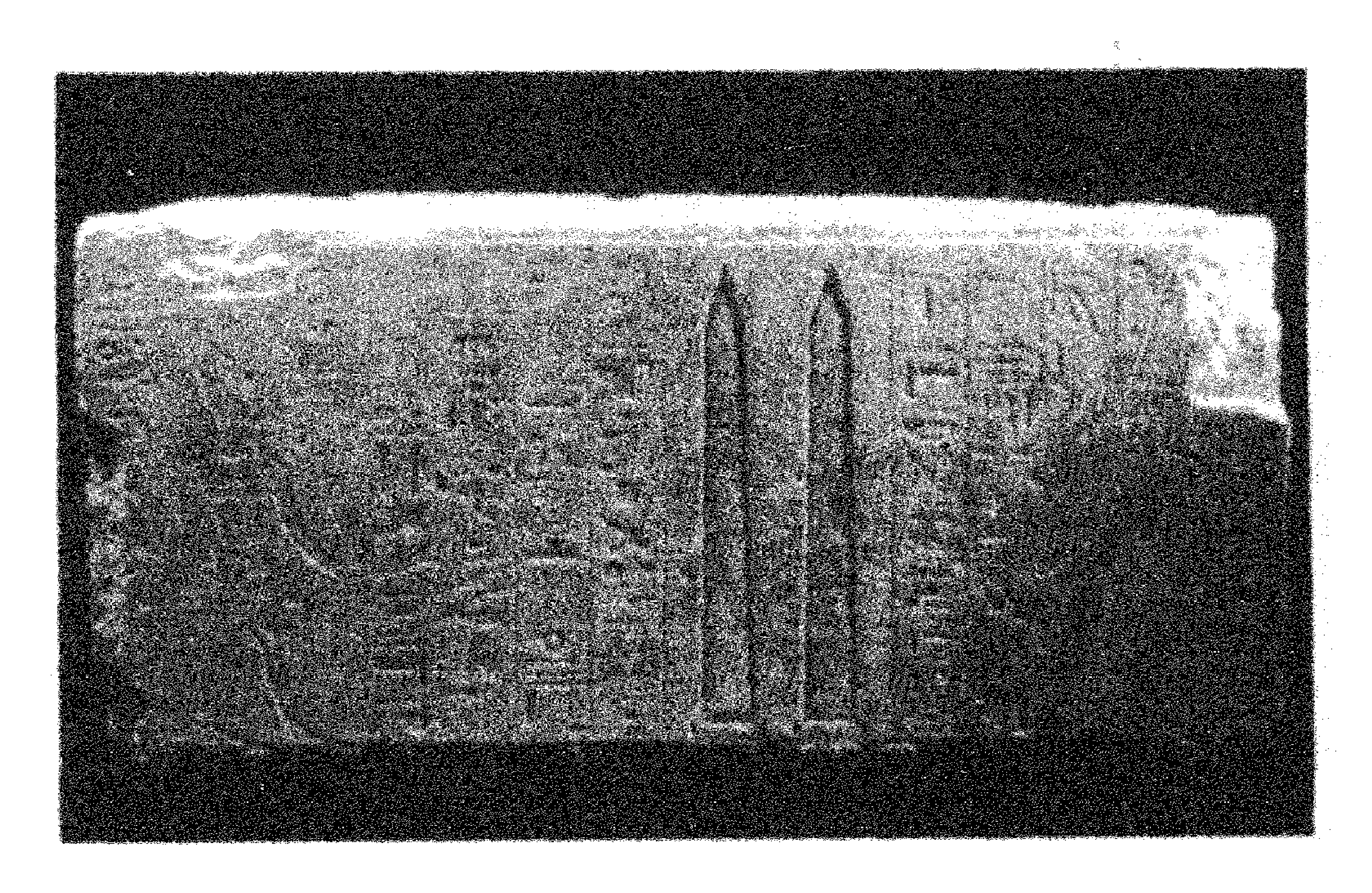
الشكل (٢٤) معبد حتشبسوت الجنائزى فى الدير البحرى

العنصر الأخر هو المقصورة ومكانها فى مواجهة الصخور فى الصحراء المنخفضة التى تطل على الحقول. لقد اتبعوا النموذج العام للمعابد المعاصرة بالإضافة إلى عناصر خاصة معينة لدورهم فى العبادة الجنائزية. قلدت حتشبسوت جيرانها فى الدولة الوسطى والمعابد الأخرى؛ فبنيت معبدها فى إقليم مواجه للجبل. المهندس المعمارى لهذا المبنى الرائع كان "سيننموت"، وهو رجل من العامة لكن سرعان ما ارتقى بفضل حتشبسوت وأصبح معلم ابنتها "نفرور". بنيت له مقصورة مقبرة ضخمة على تلال طيبة مع غرفة دفن منفصلة فى ساحة معبد الملكة وكان من المتوقع أن تحتوى مقبرته على ناموس صنع تماما مثل ناموس حتشبسوت. زادت شهرته وعلاقته بالملكة إلى الحد الذى جعل صوره تنحت داخل مقاصير معبدها مما يدعونا للاعتقاد أن علاقتهما كانت أكثر من مجرد ملكة وأحد النبلاء.

هناك تعليق مهم لسياسة الملكة مذكور فى "speos Artemidos" مقصورة صخرية فى بنى حسن. وهو يصف بناءها ونظامها فى ترميم المعابد التى أهملت فى عهد الهكسوس البائد منذ ثمانين عاما. جزء من برنامجها البنائى موصوف بالتفصيل فى الدير البحرى حيث يمكننا أن نرى ونقرأ أعمال التنقيب ونقل مسلتين كبيرتين من الجرانيت من محاجر أسوان إلى معبد آمون بالكرنك. هناك نقش آخر من الكرنك يسجل تنصيب المسلة الثانية الذى اكتمل فى العام السادس عشر ربما كجزء من احتفالات اليوبيل. هناك بعض الشكوك عن حقيقة وجود هذا الاحتفال لأنه لا يقام إلا بعد مرور ثلاثين عاما من تولى الحكم. من ناحية الأخرى يحتمل أن حتشبسوت كانت تحسب سنوات حكمها منذ توليها منصب "ملكة –شريكة" عند موت والدها.

أعمال أخرى تمت فى عهد حتشبسوت مثل التنقيب عن الفيروز فى محاجر سيناء، والبناء الفخم الهائل فى الكرنك، حيث كانت المسلات جزءًا منه ثم أضيفت للصرح مع قدس أقداس جديد وغرف جديدة كلها على أحدث طرز العصر.

توفيت إحدى بنات حتشبسوت "نفروبيتي" صغيرة السن فأخذت شقيقتها لقب أمها زوجة الرب، ربما أملا فى أنها قد تنجح يوما فى الوصول للعرش ... تظهر فى أحد النقوش وهى تشارك فى الاحتفال بالعام الحادى عشر من حكم حتشبسوت وتحتمس الثالث، ومن المحتمل أن تكون "نفرورر" قد تزوجت أخاها غير الشقيق تحتمس الثالث وربما أنجبت له ولده البكر الأمير "أمنمحات".



الشكل ٢٥. مسلات حتشبسوت من مقصورتها الحمراء بالكرنك.

انتهى حكم حتشبسوت بعد اثنين وعشرين عاما من موت زوجها تحتمس الثانى. أما نهايتها فهى غير معروفة، أى هل توفيت فى العام نفسه أم تقاعدت إلى

حياة خاصة، فالآثار لا تخبرنا شيئا عن ذلك. بعد عقدين كاملين من اختفائها حدث هجوم مفاجئ على آثارها من قبل نائبها السابق فى الدير البحرى وأماكن أخرى فمحيت صورها وأسماؤها من على جدران معبدها ونقلت تماثيلها وكسرت، وفى بعض الحالات استبدلت صورها بصورة والدها وزوجها أو ابن أخيها وفى حالات أخرى تركت الجدران حاملة خطوطًا باهتة لصورة حتشبسوت الأولى. فى الكرنك أحيطت مسلات حتشبسوت بجدران تخفى النصوص عن نظر العامة.

أخذت حتشبسوت مقبرة والدها تحتمس الأول فى وادى الملوك ووسعتها ووضعت جثة والدها فى غرفة دفن جديدة حيث كانت تنوى أن ترقد إلى جواره. استخدمت حتشبسوت ناموسا قد أعدته لنفسها بعد توليها الحكم وغيرته بآخر أكبر وأفخم، أما ناموس والدها القديم فأعادت نقشه. بعد اختفاء حتشبسوت عن الحكم أُخذت جثة تحتمس الأول من المقبرة وأعيد دفنها مرة أخرى فى مقبرة جديدة تماما وناموس جديد صنعها له حفيده تحتمس الثالث. لذلك لا يوجد مجال للشك فى أن الفرعونة منحت الدفن فى مقبرتها الجميلة.

أسباب تدمير آثار حتشبسوت التذكارية يصعب تحديدها، فقد كان هناك خلاف بين النائبين، بالطبع هجوم تحتمس على آثارها حدث فى العشرينيات وليس بعد سنوات طويلة. وهناك تفسير واحد محتمل لكن لا يوجد عليه أى دليل قوي، أن حتشبسوت ربما عاشت عامها الثانى والعشرين من الحكم ولكن موت الملكة هو الذى عجل بتشويه آثارها.

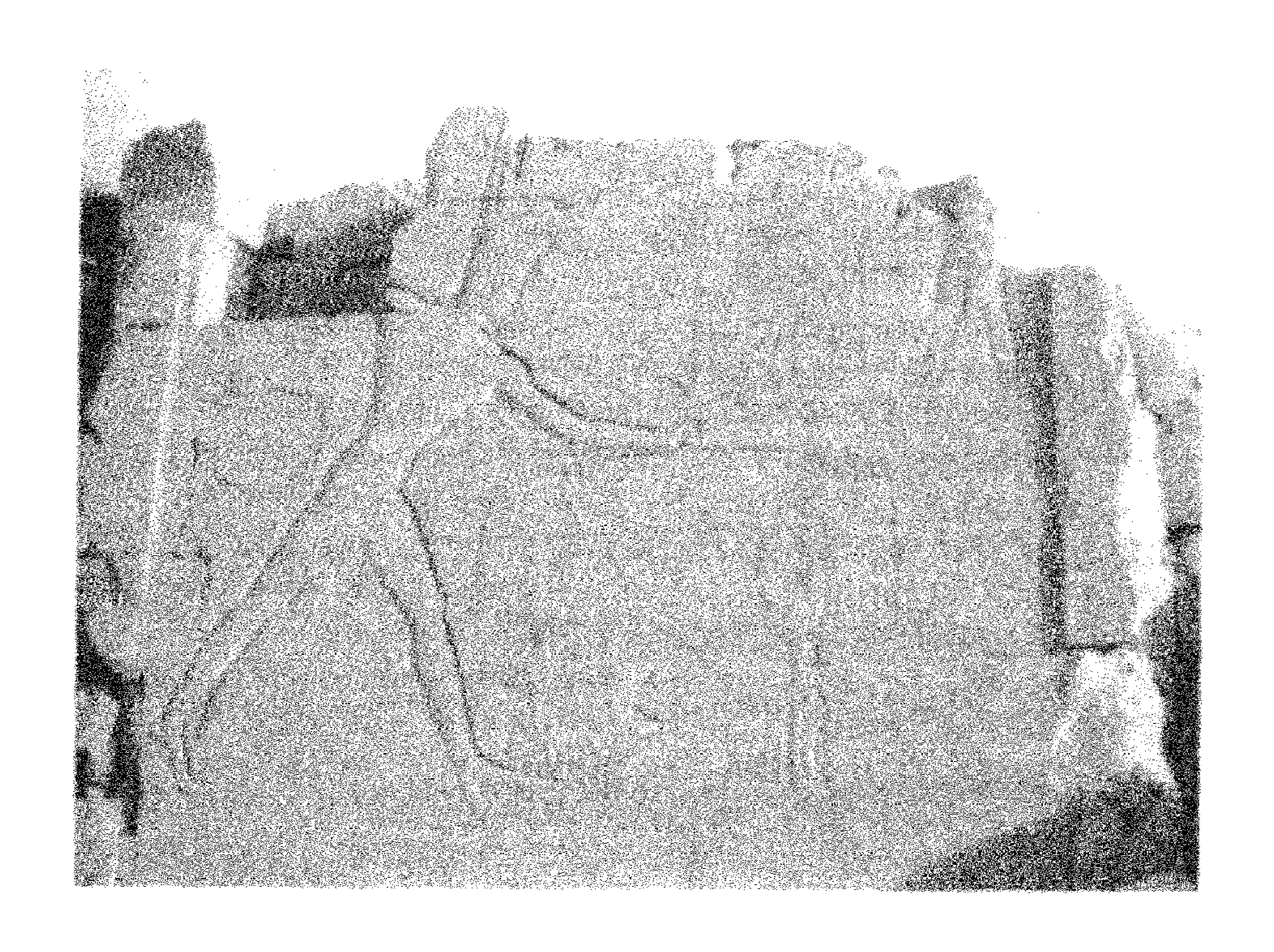
هناك غموض أيضا يحيط بأسباب محو أسماء وصور صديق حتشبسوت "سننموت" من مقبرته ومقصورته فى معبد الدير البحرى. ناموسه الكوارتز تكسر ومحيت الأسماء عن عدد كبير من تماثيله وشوهت، ويقال دائما أن سقوط سننموت يعود إلى فقدان وفاء ملكته بما أن أسماء حتشبسوت وجدت سليمة على هذه الوحدات أو أنه عانى على يد تحتمس الثالث؛ لأنه وقف إلى جانب الملكة. أيا كان

فلا يوجد دليل على أفضلية أحد هذه السيناريوهات ويحتمل فقط أن سننموت عانى السمعة السيئة بعد وفاته كرجل غير معروف.

تولى تحتمس الثالث الشئون العسكرية أثناء الحكم إلى جانب حتشبسوت، لكن فور إعادة توليه العرش وحده نجد توسعا كبيرا فى معسكراته، بعثات سنوية لتأكيد سمعته كأعظم فرعون محارب. أول بعثاته كانت عام ٢٢ عندما غادر الجبهة الشمالية الشرقية "تجيل" واتجه إلى "جازا" بنية التعامل مع تهديد القوى المصرية الملحوظ من حاكم "قادش"، وهى مدينة على "أورونتس". بعد الاحتفال بالعام ٢٣ لاعتلائه العرش توجه إلى "يهيم" حوالى ١٣٠ كيلو مترا حيث عسكر الجيش هناك.

علم الملك وقادته أن أمير قادش قد أقام فى مدينة "مجدو" على بعد ٣٠ كيلومترًا جنوبا. كانت هناك ثلاث طرق للاقتراب من مدينة العدو الواقعة على الناحية الأخرى من التل. فنصح الفريق العسكرى الملك بأن يسلك أحد الطريقين الطويلين لأنهما أسهل ويندمجان عند التل حوالى ١٣ كم شمال و جنوب مجدو، لكن هذا لسوء الحظ قد يتسبب فى تنبيه وتحذير العدو من اقترابهم. لكن رأى الملك كان مختلفًا فقد رأى ضرورة استخدام الطريق الثالث المؤدى مباشرة فوق التل إلى المدينة. رأى كبار الضباط أنها تعد مخاطرة كبيرة لأن الطريق ضيق جدا فعرضه ٩ أمتار فقط مما يعنى أن الصفوف الأمامية للجيش المصرى ستضطر للاشتباك قبل دخول الصف الخلفى فى الممر فأصر الملك على أن المخاطرة تستحق، من أجل مباغتة الأعداء الذين يتوقعون قدومه من أحد الطريقين السهلين. وفى الصباح التالى قاد تحتمس الثالث جيشه إلى التلال ووصل إلى مجدو عند الظهيرة وبعد سبع ساعات وصلت جميع القوات وانتشرت شمال وجنوب المدينة وعسكروا لبدء الهجوم فى اليوم التالى.

هجوم المصريين حقق كل ما يتمناه الملك، فسرعان ما تفككت القوات القادشية خارج مجدو وفرت إلى الأسوار، حيث حدثت المعركة وهى منقوشة على جدران معبد الكرنك "هجر العدو خيوله ومقاصيره الذهبية والفضية ليجروهم من ثيابهم عبر المدينة". لسوء الحظ كانت الغنائم التى تركها الأعداء للجيش كالطعم الذى أضاع كثيرًا من الوقت فى جمعها. وبذلك ضاعت فرصة أسر قادة العدو أثناء تسلقهم الأسوار والعصف بالمدينة أثناء الاضطراب. لذلك كان من الضرورى فرض حصار لم ينجح إلا بعد سبعة أشهر طويلة، وفى النهاية تمكن أمير قادش من الهرب.



الشكل ٢٦. الملك تحتمس الثالث يسحق أعداءه (الوجه الجنوبى للصرح السابع بالكرنك)

تقلصت ثلاث مدن من التحالف القادشى أثناء الحرب. أظهر الملك الشفقة تجاه العدو المهزوم – أهم سمة من استراتيجية تحتمس الثالث – عين حكامًا جددًا قبل عودة الملك لمصر.

عملية العام التالى كانت بسيطة وسهلة، وهى الاتجاه إلى سوريا وفلسطين وقد جمع الجيش الهبات والجزية كما حدث بالمثل فى العام ٢٥. الرحلة الأخيرة توفر نقوشًا وصورًا لأكثر معابد مصر تميزا كما تقدم تفصيلاً رائعًا لشخصية تحتمس الثالث بالإضافة إلى مناظر القوى العسكرية، هناك سطور كثيرة لتسجيلات عن نباتات وحيوانات منطقة فلسطين.

العام ٢٩ شهد أول معسكر بقيت لنا تسجيلاته تنبئنا عن المناطق التى حكمها معسكر مجدو، كذلك عملية العام التالى شهدت دخول الملك سوريا وأخيرا أسر مدينة قادش نفسها. عند تسوية المسألة أُرسل أبناء حكام المدينة المهزومين إلى مصر كرهائن فى مقابل سلوكيات آبائهم الجيدة. وأيضا لتعليم الجيل التالى من الحكام لتسهيل ديمومة الهيمنة المصرية.

معسكر عام ٣٣ شهد تتويج إنجازات تحتمس الثالث العسكرية، فمنذ خمسين عاما سابقة وصل جده إلى بلد الفرات وترك هناك لوحة تذكارية. أما تحتمس فقد عبر النهر العظيم وهزم ملك "ميتاني" أحد قوى العصر العظمى ووضع إحدى لوحاته الجدارية إلى جوار لوحة تحتمس الأول على الجهة المقابلة للنهر. ثم اتجه شمالا إلى "كارشيمش"؛ وبذلك يكون قد وسع سلطة مصر إلى أعظم اتساع لها فى آسيا. تلقى الملك الهبات ليس فقط من الحكام المحليين وحكام ميتانى المهزومة بل من ملوك بابليين والحيثيين أيضا.

استمرت المعسكرات فى السنوات التالية. وما من شك فى أن تحتمس الثالث كان يقضى أسعد أوقاته مع جيشه المعروف منه الكثير من القادة والضباط. أحدهم "امنمحب" الذى ترك سيرته الذاتية فى مقبرته لتعطينا فكرة عن الأحداث الرسمية التى حدثت فى عصره. الآخر هو "جحوتي" المشهور عنه قصة تخبرنا باستيلائه على مدينة "جوبا" خلال هربه مع الجنود فى سلات تحملها الحمير.

أخر حملات تحتمس فى أسيا كانت عام ٤٢، وقد حارب مرة أخرى أمام عدوه القديم أمير قادش الذى دمرت مدينته فى عاصفة. فى النهاية أدرك الملك أن سنوات معاركه قد ولت، فأوصى بأن يتم تسجيل معارك العقدين السابقين على جدران مبنى جديد فى الكرنك وقد تصادف ذلك مع إزالة ومحو بعض أعمال حتشبسوت هناك.

كان تحتمس الثالث أحد البناة العظماء فى مصر والنوبة، فقد بنى أجزاء كبيرة من معبد الكرنك. إحدى أروع أعماله صالة الاحتفالات ذات الأعمدة التى تشبه سوارى الخيام. عدد من المسلات إحداها مازالت موصلة لقاع الصخرة بأسوان وقد وجد بها عيب، والأخرى التى تشابهها نصبها تحتمس الرابع فى نهاية معبد الكرنك وهى الآن تقف فى "سان جون لاتيران" بروما وهى أكبر المسلات الموجودة حاليا.

وقد خصص غرب طيبة لمعبده الجنائزى وقدس أقداس الدير البحرى الجديد، بالإضافة إلى مدامود وأرمانت وأسنا ودندرة وكوم أمبو ومناطق نوبية متنوعة كلها أمثلة على الأماكن التى تميزت بأعماله البنائية. مقابر كثيرة مزينة بها أسماء كثير من الضباط خاصة الوزير "رخمير" وتعد مقصورته من أهم القطع الفنية والثقافية. وهناك نص من بين نصوصها يعلق على مهارة الملك فى الكتابة الهيروغليفية، ونص أخر به خطاب الملك التنصيبى المعتاد الذى يعدد فيه واجبات الوزير ويصفها بأنها مرة كالعلقم.

كما ذكرنا من قبل فإن زوجة الملك الأولى قد تكون أخته النصف شقيقة "نفرور"، لكن بعد موتها بعد العام ٢٣ أصبحت "سيتيا" ابنة الممرض "إبو" وهى الزوجة الرسمية. وبعد موتها أصبحت "ميرترع" ابنة "أدورتريكس هوي" الزوجة الرسمية. أنجب الملك من هؤلاء الملكات خمسة بنين وبنتين. الابن الأكبر

"أمنمحات" توفى فجأة قبل الأوان بعد توليه مركز حكومى رفيع. وريث تحتمس الثالث كان "آمون حتب" ابن ميرترع حوالى عام ٣٤٢٣ وقد نصب نائبا "أمنحتب الثاني" بعد احتفال تحتمس الثالث بالعيد الخمسين على العرش بفترة قصيرة، كما احتفل أيضا بأعياد يوبيل كثيرة.

على الرغم أن أخر حملاته إلى سوريا كانت قبل ثمانى سنوات فلم يكن تحتمس الثالث قد أنهى كل الأعمال العسكرية.. وفى العام ٥٠ توغل فى النوبة ونظف قناة الشلال الأول القديمة الخاصة بسنوسرت الثالث لتسهيل مرور الحملات. كان هو فى ذلك الوقت فى العقد السادس من العمر ينقصه شهر وأربعة أيام للاحتفال بالعيد الرابع والخمسين على الجلوس على العرش. وتصفه كلمات أمنمحب أحد أصدقائه فى الجيش " **أكمل حياته لسنوات طويلة متمتعا بالقوة والنصر والشجاعة... لقد ارتفع إلى السماء إلى جوار الشمس، أطرافه المقدسة امتزجت لتعلو معه**". هكذا يموت أعظم فراعنة مصر، فهو جندى وباحث، وسيظل اسمه له سحر قوى المفعول لآلاف السنين.

وقد دفنه ولده فى مقبرته بوادى الملوك، جدران غرفة الدفن منقوشة بالكامل وكأنها لفافة من ورقة بردى هائلة. وهناك فى هذه الغرفة يرقد تحتمس الثالث بسلام فى ناموس رائع من الكوارتز، وقد يكون أفضل ناموس صنع على الإطلاق. كان الإعجاب به لدرجة أن نبيل مصرى اسمه "هابيمن" بعد مرور آلاف السنين قام بنسخ زينة الناموس إلى ناموسه الخاص، وهو الآن بالمتحف البريطانى.

مثل كثير من المومياوات الملكية دمر اللصوص مومياء تحتمس الثالث بشكل سيئ، لكن أنقذها ضباط الجبانة ونقلت إلى مكان خفى بالدير البحرى، وأخيرا استقرت الآن بالمتحف المصرى بالقاهرة.

الفصل العاشر

ملوك الشمس

أمنحتب الثالث ١٣٨٨-١٣٤٨ ق.م:

هو ابن تحتمس الثالث "أمنحتب الثاني" وقد شابه والده فى مهارته العسكرية لكن ليس فى شفقته.. كما كان بانيًا عظيمًا ورياضيًا، يشار إلى براعته فى كثير من النقوش. تولى بعده تحتمس الرابع وهو ابن صغير السن نال قوته بعد إزاحة أخيه الأكبر نصف الكاهن للإله بتاح الأمير المتوج "أمونحتب".

خلف تحتمس الرابع على العرش ابنه البكر "أمنحتب الثالث ابن الملكة "موتمويا"، توجد له صورة عندما كان ولى عهد فى مقبرة معلمه "هيكارنهي" مع إخوته، من بينهم أمنمجات الذى توفى صغيرا ودفن فى مقبرة تحتمس الرابع فى وادى الملوك. كان الملك تحتمس أيضا قصير العمر لذلك اعتلى أمنحتب الثالث العرش وهو فى سن المراهقة. تزوج "تي" ابنة ضابط عربات الخيول "يويا" وزوجته "تجويو". ويذكر الزواج على أول جعران تذكارى وكان سمة لهذا العصر. زواج أمنحتب الثالث من ابنة أحد العامة (ليس من العائلة المالكية) يتشابه مع زواج جده تحتمس الثالث وأمنحتب الثانى ووالده، على خلاف ملوك الأسرات الأولى الذين اعتادوا الزواج من شقيقاتهم.

بدأت عمليات البناء مبكرا كما تسجل نقوش محاجر العامين الأولين، فى العام الثانى وجدت جعاران تذكارى يسجل موضوعا عن الصيد حيث يقال إن الفرعون الشاب قتل ٩٦ ثورًا بريًا. شهد العام الخامس قيادة الملك للجيش إلى النوبة لإخماد

ثورة المتمردين فى الجنوب وربما كانت هذه العملية الوحيدة المسجلة فى فترة حكمه. هذا التسجيل العسكرى المتواضع يتعارض بقوة مع الروح العسكرية للملوك السابقين فى الأسرة. إن دراسة حكم أمنحتب الثالث تشير بوضوح إلى أن الاتجاه تحول إلى الفنون السلمية..



الشكل ٢٧. رأس من الكوارتز للملك أمنحتب الثالث من معبده الجنائزى بطيبة: وهذه الكسرة كانت يوما تشكل جزءا من تمثال منصب طوله حوالى ثمانية أمتار.

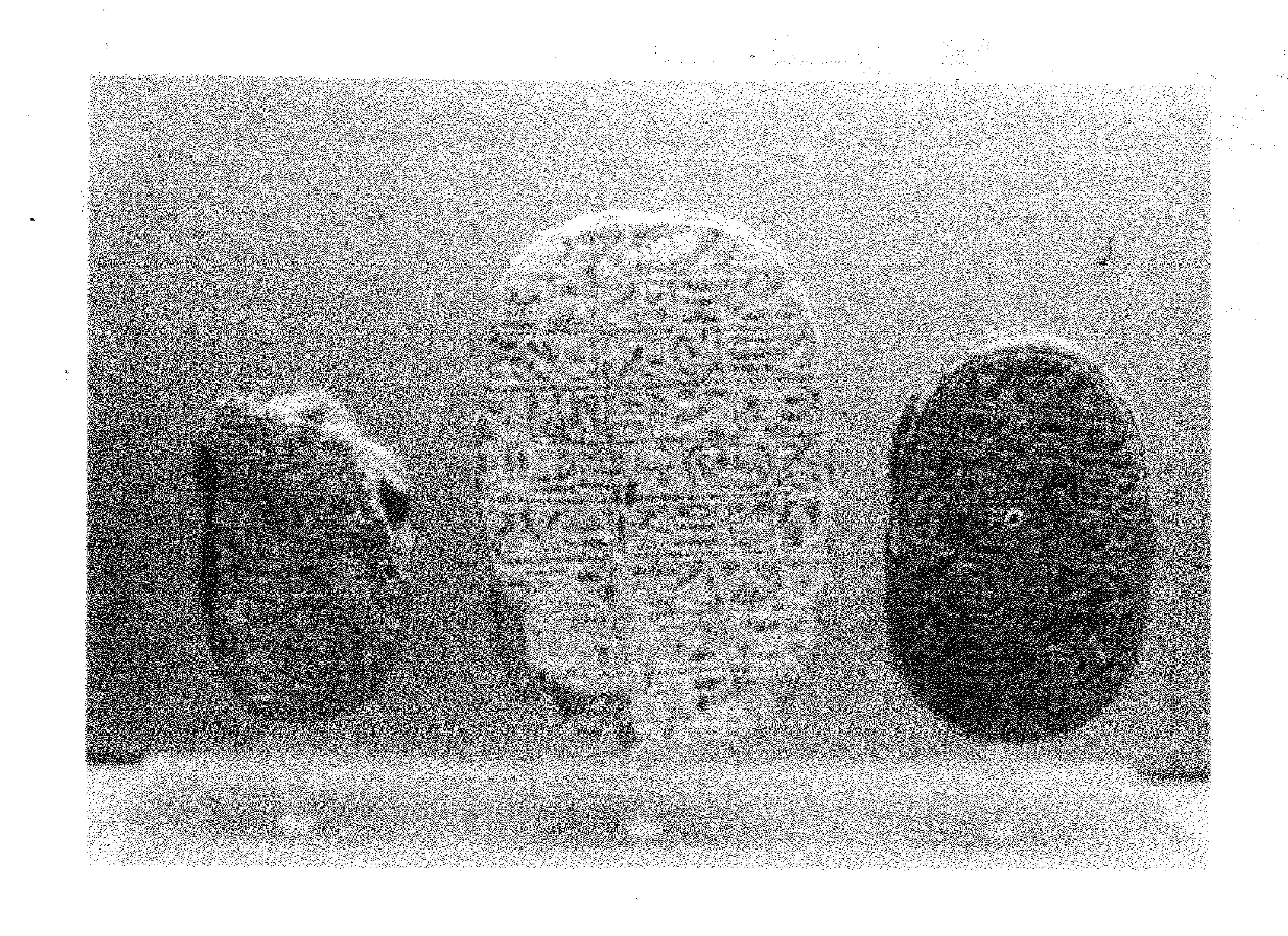
يبدو أن كل نشاطات الملك الجسدية تركزت فى ميدان الصيد، بعد سلسلة الجعارين الخاصة بصيد الثيران، هناك سلسلة صيد الأسود وهى تشهد ذبح الملك لأكثر من مئة أسد فى العقد الأول من فترة حكمه. وتوجد مجموعة أخرى من الجعارين تسجل وصول أميرة "ميتانين" واسمها "جيلوخيبا" كعروس للملك فى زواج دبلوماسى، وآخر يسجل حفر بحيرة للملكة "تي" فى مكان مازلنا لم نتأكد من موضعه.

أمنحتب الثالث كان من أعظم البناة والمهتمين بالفن. توجد الكثير من المعابد على الأخص معبد الأقصر الذى نصب فى موقع شغله أول الأمر تحتمس الثالث. وقد كرس لعبادة الروح الملكية وهو تحفة فنية ومعمارية رائعة. غرفه الداخلية تحوى تصويرًا لميلاد الملك المقدس، وهو يقارن بالمناظر المماثلة لمعبد حتشبسوت فى الدير البحرى. ثم بنى قدس أقداس مماثل فى "سولب" فى السودان بينما تم توسيع وزخرفة معبد الكرنك ومعابد أخرى. فى الحقيقة لوحظ مؤخرا أن كثيرًا من تماثيل رمسيس الثانى أُعيد نحتها أصلا من تماثيل أمنحتب الثالث .

إن فترة حكم أمنحتب الثالث المبكرة قضاها فى الشمال فى العاصمة الإدارية ممفيس. لكن العقد الثانى قضاه فى قصره الضخم على الجانب الغربى للنيل فى طيبة، "Maleqata"، حيث سكن هناك منذ العام ٢٩ حتى النهاية.

عرف الكثير من ضباط الملك. رأس عبادة آمون فى الكرنك أولا "بتاحموس" ثم "مرى بتاح" لمن مركز الكاهن الثانى شغله شقيق زوجة الملك "آنين". لم نعلم علاقته بالملك إلا عن طريق تلقيبه بالابن على تابوت "تجويو" أم الملكة. شغل منصبى وزراء مصر العليا والسفلى "راموس" و" آمونحتب الأول" لوقت طويل من فترة الحكم، الأول من سكان الشمال المحليين مدينة "أثريبيس" وعلاقته وثيقة بعدد من الضباط الكبار.

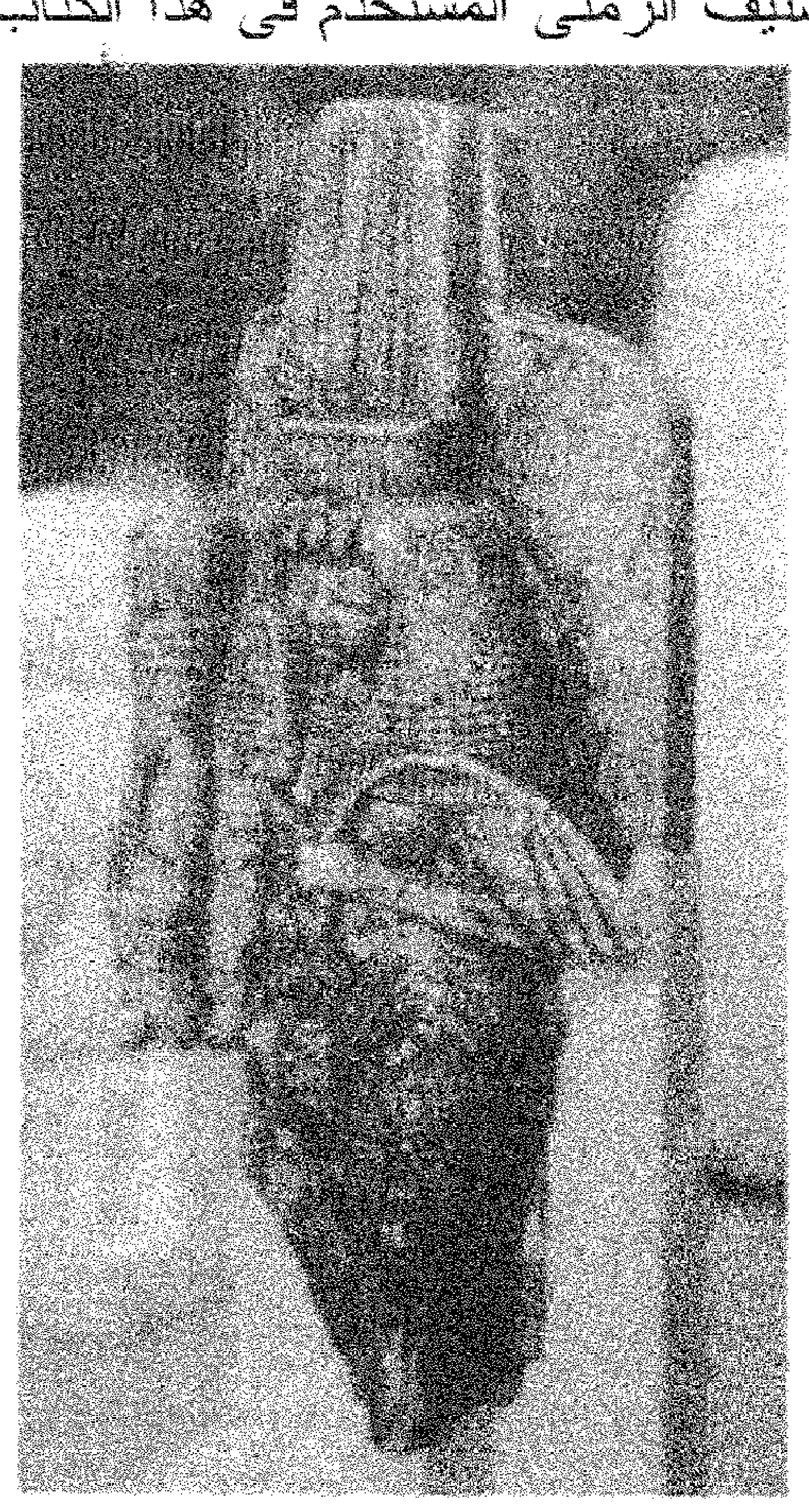
من أبرز الضباط أمنحتب ابن "حابو" كاتب الملك والناصح الأمين. ويبدو أنه كان المسئول عن الكثير من مشاريع أمنحتب الثالث البنائية بما فيها المعبد الجنائزى وله تمثال عظيم ليس له مثيل ضمن النبلاء. وقد مُنح معبد جنائزى إلى جوار معبد الملك مع ناموس حجرى غريب الشكل. وبعد وفاته فى سن الثمانين مُنح شرف مقدس وعُبد فى العصر البطلمى جنبا إلى جنب مع الضابط والمهندس المعمارى "إمحوتب" كما نال شهرة واسعة فى مجال الطب.



الشكل ٢٨. الجعاران التذكاريان من عصر أمنحتب الثالث. من اليسار: البحيرة، الزواج و صيد أسد.

في عام حكم الملك العشرين بدأ ينتبه لخليفته، وكان للملك والملكة خمس بنات على الأقل وولدان. الأكبر هو تحتمس الذى ولد فى بداية حكم الملك وهذا يفسر تشابه اسمه مع اسم الملك تحتمس الثالث وعدد من الأمراء فى ذلك الوقت. وقد رشح صغيرا لأعمال الكهانة نشط فيها؛ فترقى إلى رتبة الكاهن الأعلى لبتاح بممفيس ومراقب كهنة مصر العليا والسفلى؛ مما جعله المسئول عن التنظيم الدينى فى مصر. وكان هو المسئول فى ممفيس عن أول مدفن عرف للثور أبيس وهو تجسيد للإله، وقد استمر هذا التقليد حتى العصر اليونانى. كل الأدلة تؤكد أن تحتمس الخامس كان من الممكن أن يصبح حاكما عظيما لو لم يمت الملك الكاهن فأخذ مكانه فى الخلافة أخوه أمنحتب.

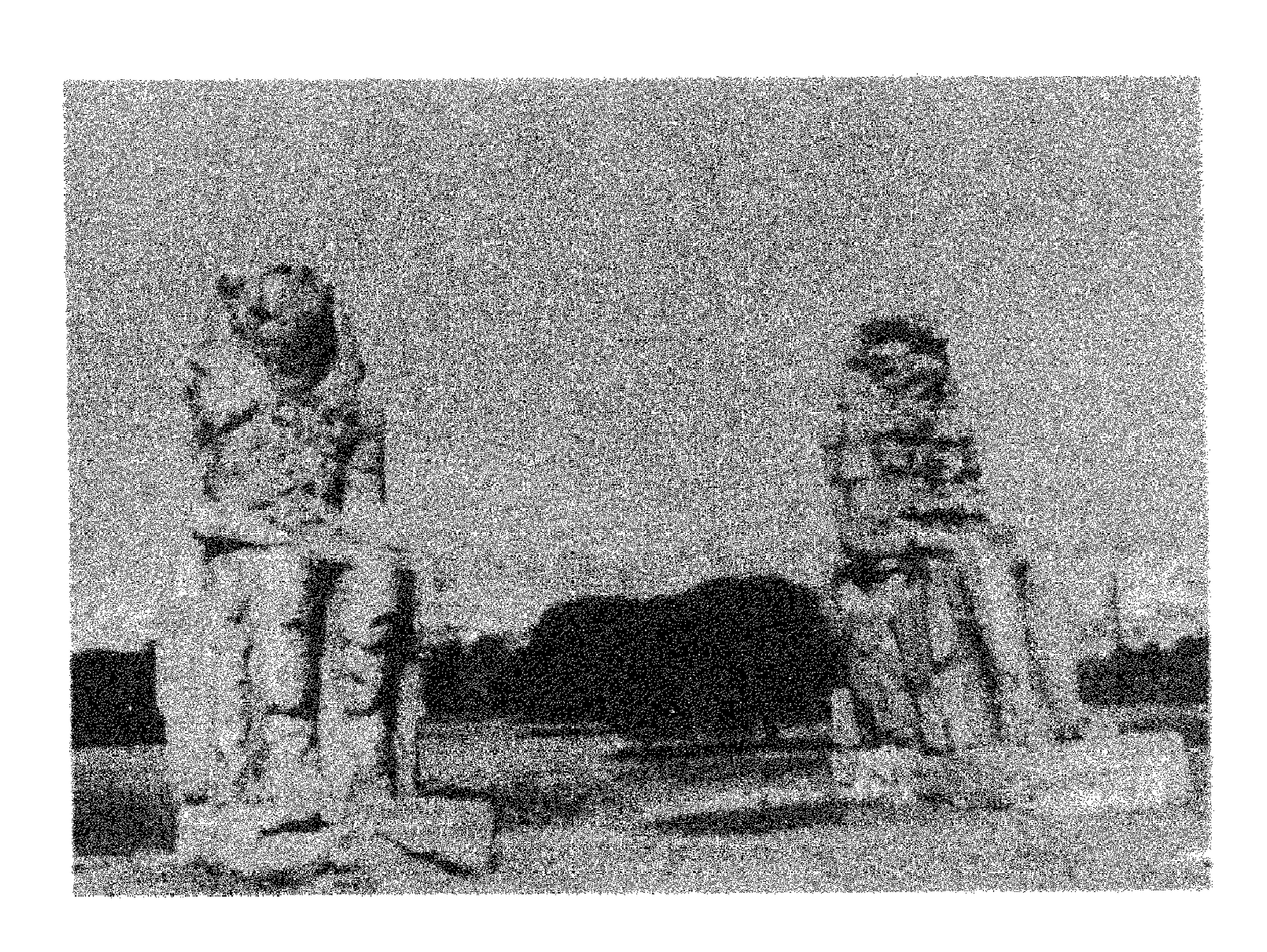
عما إذا كان أمنحتب اعتلى العرش عند موت أبيه أو أنه عمل كنائب ملك، فان ذلك بقى محل نقاش لفترة طويلة. هناك مدرسة تعتقد أن بداية حكمه كانت عام ٣٠ من حكم أمنحتب الثالث حيث اكتشفت نقشًا سياحيًا عام ١٩٩٢ بدهشور وتسجيلاً لحكم أمنحتب الرابع عام ٣٢ لسوء الحظ كان النص تالفًا بشكل سيئ والعلامات، فاعتقدنا أولا أنها تشير إلى أمنحتب الرابع ولقبه (نفر خبرو رع) ويمكن أن تترجم بأنها صفة توجد أحيانا فى لقب تحتمس الثالث. يبقى عدد كبير من الأدلة يشير إلى طول فترة الحكم الواصلة بين أمنحتب الثالث والرابع بما فى ذلك من اعتبارات متنوعة بخصوص بعض كبار الضباط فى فترة حكم أمنحتب الثالث الأخيرة. ولذلك افترضنا النيابة عند التصنيف الزمنى المستخدم فى هذا الكتاب.



الشكل ٢٩. تمثال (محدق العينين) للملكة تى من حجر الصابون الشفاف.

في العام الثلاثين استقر سكن أمنحتب في طيبة واحتفل باليوبيل الأول هناك. توجد أعداد هائلة من كسرات الفخار من قصر "ملكاتا" تسجل أغراض الاحتفال الذى أعيد عام ٣٤ و٣٧ بينما تظهر بعض مظاهر هذه الطقوس على جدران المقبرة والمعبد. بعض مظاهر الاحتفال لم تكن موجودة سابقا مثل ملء معبد الملك الجنائزى الذى لم يكتمل بناؤه بأعداد لا حصر لها من تماثيل الحيوانات الفريدة التى يقترح الباحثون أنها تشكل جزءًا من لوحة فلكية ضخمة.

يبدو أن صحة الملك كانت ضعيفة، فمومياؤه تظهر معاناة من ممرض فى الأسنان، وتسجيل عن تلقى الملك تمثال الإلهة "عشتار" من خليفته الملك "توشراتا" ملك "ميتاني" وربما قد أرسله الأخير كهدية من أجل قدراته الشفائية.



الشكل ٣٠. تمثال عظيم لـــ "ممنون"، تمثال كوارتز للملك أمنحتب الثالث المنصب فى مدخل معبده الجنائزى المختفى حاليا.

على عكس تصويره الجسدى تظهر بعض الصور الأخيرة لأمنحتب الثالث فى شكل شاب شاذ ومضحك يقلد إله الشمس رع. يبدو أن احتفال اليوبيل تضمن ترقيته إلى مرتبة الإله الكامل مع تصوير معروف للملك يعبد نفسه. هناك حاليا جدال قوى إن هذا التحول مرتبط مباشرة بدين الشمس الجديد الذى يناصره ابنه "أمنحتب الرابع" الخاص بـــ "أتون". ويحتمل أن يكون أمنحتب الثالث هو نفسه أتون واحتفال اليوبيل للإله أقامه أمنحتب الأصغر الذى كان ضرورة تعريفية للملك القديم كحاكم على الأرض وكذلك لتحوله إلى معبود شمسى.

لم يُعرف الكثير عن أحداث أعوام أمنحتب الثالث الأخيرة بعيدا عن احتفالات اليوبيل ونشاطات ولده. لكن أحد أعماله الشهيرة هو ترقى ابنته الكبرى "سيت امون" إلى شرف زوجة الملك الرسمية وهو اللقب نفسه الذى تحمله أمها "تي" التى مازالت على قيد الحياة. وليس واضحا لنا ما إذا كان هذا الزواج قد تضمن علاقة جسدية فعلية أم أنها ببساطة أخذت بعض الوظائف السياسية والدينية فقط والمؤكد لم ينسب لها أى اطفال.

توفى الملك أمنحتب الثالث حوالى العام ٣٩ من حكمه، وكانت له مقبرة فى وادى الملوك الغربى بدأ بناءها قديما فى حكم تحتمس الرابع وهناك رقدت جثته فى سلام، فى ناموس جرانيتى ضخم محاط بلا شك بأغنى وأبهر أغراض المتوفى من البلاط المصرى. لكن للأسف لم يبق لنا من هذه الأغراض أى شيء، فقد دمر اللصوص المومياء بشكل بشع ونقلت إلى مقبرة أمنحتب الثانى وهى الآن موجودة فى المتحف المصرى.

بعيدا عن المقبرة بعدة كيلومترات يقف تمثالان ضخمان ولذلك أطلق عليهما اسم "ممنون الضخم" وقد كانا موضوعين عند مدخل معبد الملك الجنائزى أكبر مبنى من نوعه. وهناك نقش يصف المعبد بـــ:

"المعبد الضخم العظيم غرب طيبة، معبد الحجر الرملى الخالد مصنوع من الذهب. أرضيته مزينة بالفضة، والبوابة من الكهرمان المعدنى، وهو واسع وكبير، وقد أنشئ للأبد... وهو غنى بتماثيل الجرانيت والكوارتز وكل الأحجار الثمينة.. تدعمه "محطة للملك" مصنوعة من الذهب والأحجار الكريمة. وضع أمامه سوارى أعلام مغطاة بالكهرمان مثل الأفق فى الجنة حيث يرتفع رع."

لكن كل شيء اختفى الآن فقط حارس ممنون الضخم بقى محدقا بلا وجه فى الخلود.

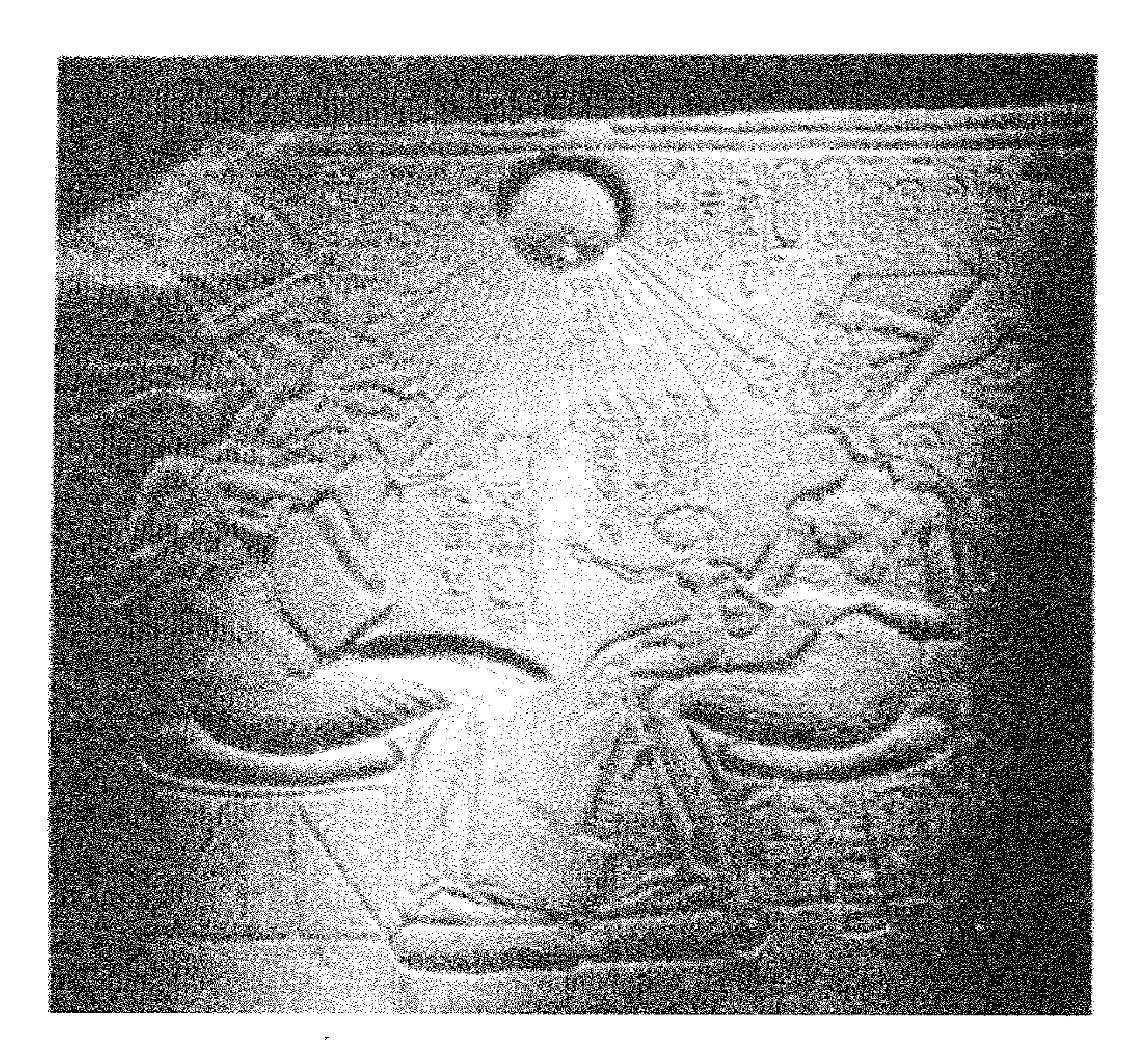
إخناتون وسمنخ كارع:

١٣٦- ١٣٤٣ ق.م:

ظل النقاش مفتوحا فترة طويلة بين الباحثين عن الوقت المحدد الذى تولى فيه ابن أمنحتب الأكبر العرش، فهل تولى مباشرة فور وفاة أبيه أم أنه كان نائبًا قبل ذلك. يبدو أن الخيارات محدودة أو لا خيارات أساسا، أو أن الملكين حكما معا لفترة طويلة ربما استمرت اثنى عشر عاما. فى ضوء ذلك يمكن تأريخ ظهور أمنحتب الرابع الأول حسب ظهوره فى مقبرة الوزير راموس بطيبة كنائب فى ذلك الوقت. فى تصور آخر مبكر للملك على كتلة من معبد آمون العظيم فى الكرنك حيث يظهر برأس صقر المعروف للإله "رع حيراختي" "آتون". فى هذه الصورة يظهر الملك فى الشكل الكلاسيكى المعتاد أثناء فترة حكم أبيه.

الإله آتون ظل لوقت طويل الشكل الجسدى للشمس، لكنه خلال الأسرة الثامنة عشر بدأ يكتسب شكلاً منفصلاً مقدسًا حتى عهد تحتمس الرابع وامنحتب الثالث حيث أصبح معبودًا مهمًا مستقلاً بذاته. فى عهد أمنحتب الرابع أصبح أتون أكثر من إله أولا أصبح إلهًا رئيسا ثم إلهًا واحدًا. وكعلامة على حبه واحترامه قام الملك فى فترة حكمه المبكر بأعمال التحجير فى جبل السلسلة للحصول على

الحجارة من أجل معبد إله الشمس العظيم آتون الذى سيقام فى الكرنك خلف مجمع مخازن آمون رع. فى هذه البناية يظهر أمنحتب الرابع معه زوجته الجديدة "نفرتيتي" ربما كانت ابنة قائد الجيش "آي" الذى قد يكون شقيق الملكة تى. وأهم ما يميز هذا التصوير أنه غير النقوش السابقة للملك التى كانت فى شكلها التقليدى النقى، ولكن هذه تظهر من النظرة الأولى اختلافها كلية عن الفن المصرى المعتاد.



الشكل ٣١. الملك "اخناتون" مع زوجته "نفرتيتي" وبناته "ميرت اتون" و "ميكت اتون" و"انخسن با اتون" بالأسلوب المميز لأعوامه المبكرة: من العمارنة.

وبدلا من تصويرهم فى هيئة كاملة وملامح فريدة، يظهر الملك والملكة والحاشية جميعا بفك مرتخٍ وعظام الوجه بارزة والمعدة مبالغ فى ترهلها مع صدور وشفاف منتفخة. صرح كبير النحاتين "باك" بأن معنى هذه البشاعة فى التصوير مازال غامضا لكن من المحتمل أنه كان بنية إظهار الزوجين الملكين مقدسين بشكل لائق بدلا من إظهارهما بصورة شبابية مبالغ فيها كما شاهدنا سابقا فى صور

أمنحتب الثالث. الاكثر تطرفا هى سلسلة التماثيل الواقفة للملك داخل المعبد التى تميز الشكل الأولى المتشدد لما عرف بفن العمارنة. وأهم شيء هو استبدال رسم آتون فى الشكل الإله البشرى لكن قُدم كأنه قرص الشمس تنتشر منه أشعة الشمس المنتهية بأيد بشرية تحمل الأخيرة رمز الحياة الى فتحتى انف الملك والملكة.

جاء بناء المعبد فى توقيت احتفال الملك أمنحتب الرابع باليوبيل نفسه وهو احتفال غير عادى لأنها مجرد حفنة من السنوات على عكس عادة الاحتفال به بعد ثلاثين عاما. أيا كان فإن صاحب الاحتفال الحقيقى لم يكن الملك وإنما كان الإله آتون نفسه. كما لاحظنا سابقا فإن أمنحتب الثالث والرابع كانا يحكمان معا فى ذلك الوقت، وقد تزامن الاحتفال بيوبيل أمنحتب الثالث مع تحوله إلى إله شمسى. وهناك أدلة أن هذه الاحتفالات كانت بقصد تبرير التغير الأساسى فى حال العائلة الملكية. فقد كون الملكان أمنحتب الثالث والرابع والملكة نفرتيتى ثالوثًا مقدسًا يجسد اللاهوت الشمسي: إله الشمس المحترم، إله الهواء شو وآلهة الرطوبة تفنوت. حتى ذلك الوقت ظلوا يعملون داخل حدود اللاهوت المصرى التقليدى، وهى الحدود التى سيتخطونها سريعا.

فى السنة الخامسة من حكم أمنحتب الرابع قام بزيارة رسمية إلى أرض مهجورة فى مصر الوسطى مطوقة من الجهات الثلاث بالجبال والنيل من الجهة الرابعة. وهناك قدم أضحية وانخرط فى تصريح طويل أعلن فيه تأسيس مدينة جديدة مكرسة لعبادة آتون. معارضا كل معارضيه ولتكون مركز احتفالات لهذا الإله. رتب الملك لأن تكون المدينة الجديدة المقر الملكى، و أعلن أنه سيدفن هناك هو والملكة وابنتهما الصغيرة "ميريت اتون" مع جميع الحاشية. الوصول بهذه الخطط طويلة الأجل إلى مبتغاه هناك عنصر مهم جدا وهو تغير اسم الملك من أمنحتب الرابع (رضى آمون) إلى "اخناتون" (تجسيد آتون) بينما أضافت الملكة

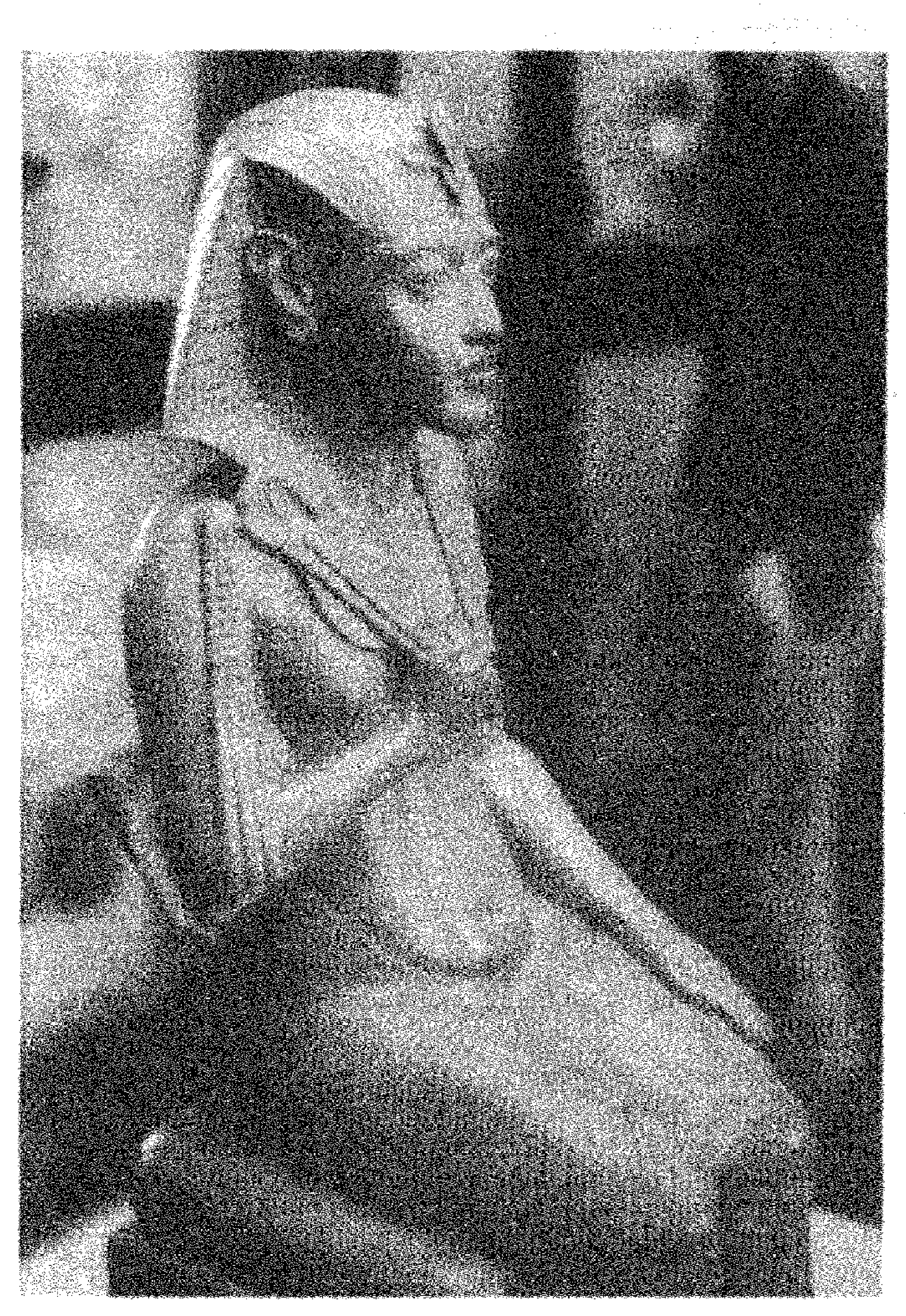
لاسمها لازمة "تفرنيفرواتن" (جميلة جميلات آتون). فى ظل هذه الزيارة نحتت ثلاث لوحات صخرية عند الجروف الصخرية الشمالية والجنوبية للمدينة وسميت "أخيت آتون" (أفق آتون) تل العمارنة الحديثة.

خلال السنوات القليلة التالية زادت مبانى المدينة من القصور والمعابد والمكاتب الحكومية والمربعات السكنية، المثال التقليدى لتخطيط المدينة المصرية عمليا. فى العام السادس قام الملك بخطوة متقدمة أخرى حول الموقع مضيفا لوحة حدودية إضافية حول الجبال خلف المدينة وأيضا عند الضفة المقابلة من النهر، مضيفا رقعة كبيرة من وادى النيل إلى المدينة عند جانب واحد من النهر والرقعة الزراعية الواسعة على الجانب الأخر لإمداد السكان بالغذاء. وفى هذا الوقت كان معبد إخناتون بطيبة قد اكتمل ولم يحل محله فى الأهمية إلا قدسان أقداس عظيمان فى العمارنة بهما قاعات واسعة مفتوحة مكدسة بالقرابين لإله الشمس.

أنجب الملك فى ذلك الوقت ابنة أخرى سماها "مكت آتون" ثم الثالثة "انحسن با اتون" فى العام السابع ثم أنجب الزوجان ثلاث بنات متلاحقات كما أنجب اخناتون ولدين أيضا من نفرتيتى أو زوجة أخرى. قد تكون السيدة "كيا" أميرة "ميتانيان" واسمها مذكور على عدد من الآثار، وخصص لها تابوتا مزخرفا جيدا وأوانى كانوبية قبل العام التاسع، لكنها بعد ذلك توارت واختفت ومحى اسمها من فوق الآثار.

تركزت أعمال الأسرة الملكية على ديانة آتون. رغم اعتبار قرص الشمس من أهم المقدسات الشعبية لكن عبادة الإله الكونى أخذت مكانها بين الزوجين الملكاين. فى المقاصير الشخصية كان عنصر التكريس لوحة جدارية تظهر اخناتون ونفرتيتى وبناتهما يعبدون الشمس. وما آمنوا به فى الحياة آمنوا به فى

الموت أيضا، ففى مقاصير المقبرة المنحوتة فى جبال العمارنة من أجل الموظفين، تسيطر الأسرة الملكية ونشاطها على المناظر، على عكس تصوير الحياة اليومية فى المقابر المماثلة بطيبة والأماكن الأخرى. المنظر المعتاد فى عدد من المقابر هو للأسرة الملكية فى زيارتها اليومية برفقة الجنود من مسكنهم شمال المدينة على طول الطريق الملكى إلى القصر والمعابد فى وسط المدينة.



الشكل ٣٢. الملك اخناتون، بأسلوب أكثر واقعية فى فترة متأخرة من حكمه.

حتى العام التاسع كان اسم آتون يكتب فى خرطوش مزدوج يعبر عن طبيعته بمصطلحات الآلهة القديمة الأخرى:

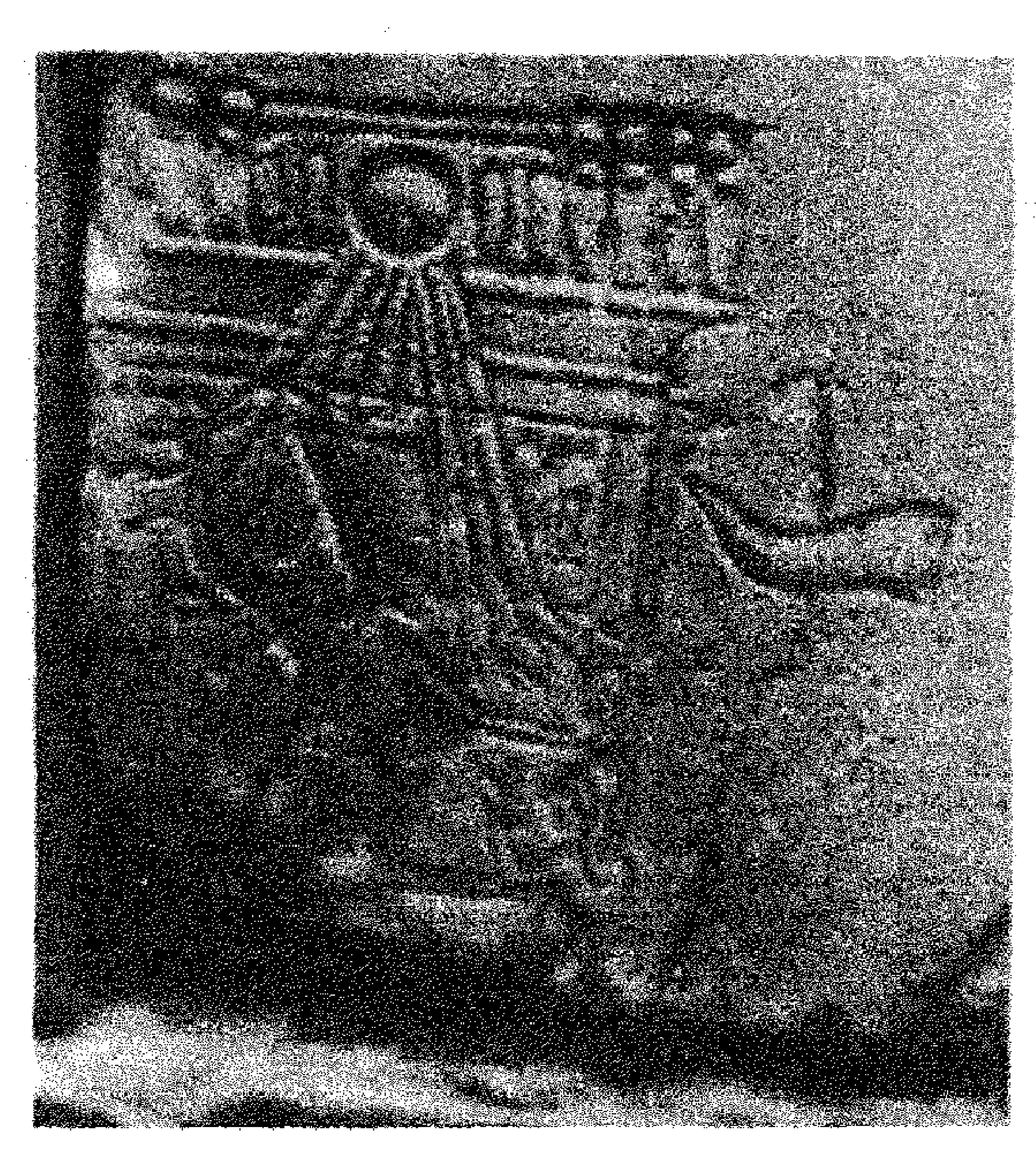
"رع حورس فى الحياة السماوية، الذى يهنأ فى الجنة تحت اسم شو هو آتون نفسه" لكن بعد هذا العام أصبح تعبير الإله:

"رع يعيش حاكما للسماء يهنأ بالجنة باسمه رع الأب الذى عاد كآتون". طبيعة الإله مذكورة فى ترنيمة آتون العظيمة حيث يوصف بأنه خالق كل البشر والأشياء فى العالم، اللذين يحتفلون يوميا عند الظهور المستدير فى الأفق الشرقى ويختفون من الخوف عندما بفصل الليل الإله عنهم. تعد الترنيمة من أعظم الأعمال الشعرية بكل المقاييس وقد نسبت إلى الملك نفسه، وهى تتشابه مع قصيدة "بسالم Psalm " ذات ١٠٤ أبيات حيث وجد عدد كبير من الكلمات المتشابهة بينهما. الرأى الحديث يؤكد أن التشابه يعود إلى أن القصيدتين تنبعان من نفس الثقافة الشرقية القريبة أكثر من أى صلة مباشرة.

العلاقات بين مصر وجيرانها فى العالم القديم تظهر فى نقش حاد عرف لنا من بقاء رسائل "اخت اتون" الفريدة كتبت إلى الفرعون من أخوته ملوك القوى العظمى فى ذلك الوقت. هذا التوافق وجد على طاولات طينية محروقة مكتوب باللغة الأكادية (اللغة الدبلوماسية الفرانكية فى هذا العصر) ومعبر عنها بالخط المسمارى. يبدو أن الملك قبل موت أبيه كان هو المسئول عن العلاقات الأجنبية ويحتوى الأرشيف على عدد كبير من الرسائل موجهة إلى الملك الأكبر.

الرسائل تخبرنا بالكثير عما كان يدور بين قوى العالم القديم. وتعطينا صورة عن النزعات الصغيرة التى بين أمراء سوريا وفلسطين فكل منهم يحاول إرضاء أطماعه وتكبير تابعيه. واعتمادا على قراءة هذه الرسائل نلاحظ ضعف القوة المصرية مشهودة بفشل الفرعون فى حماية ممتلكاته فى المنطقة. فى مشهد آخر يظهر المد والجزر لتأثير القوى العظمى فى المنطقة وهى تحت النزاع.

أعتقد قديما أن اخناتون اعتنق المذهب السلمى كجزء من عقيدته الدينية وكان هذا سبب فشله كما ذكرنا فى العمل العسكرى لمواجهة إضعاف المركز المصرى. لكن هذه التأويلات أثبتنا خطأها، فزوجة الملك تظهر المشاهد فى وضع عسكرى شرفي خاص بهذه الفترة (الشكل ٣٣)، بالإضافة إلى نص متأخر يشير إلى عمل عسكرى بقيادة إخناتون لكنه كان فاشلا.



الشكل ٣٣. الملكة نفرتيتى تسحق عدوًا فى تصوير من الصندل الخاص بها.



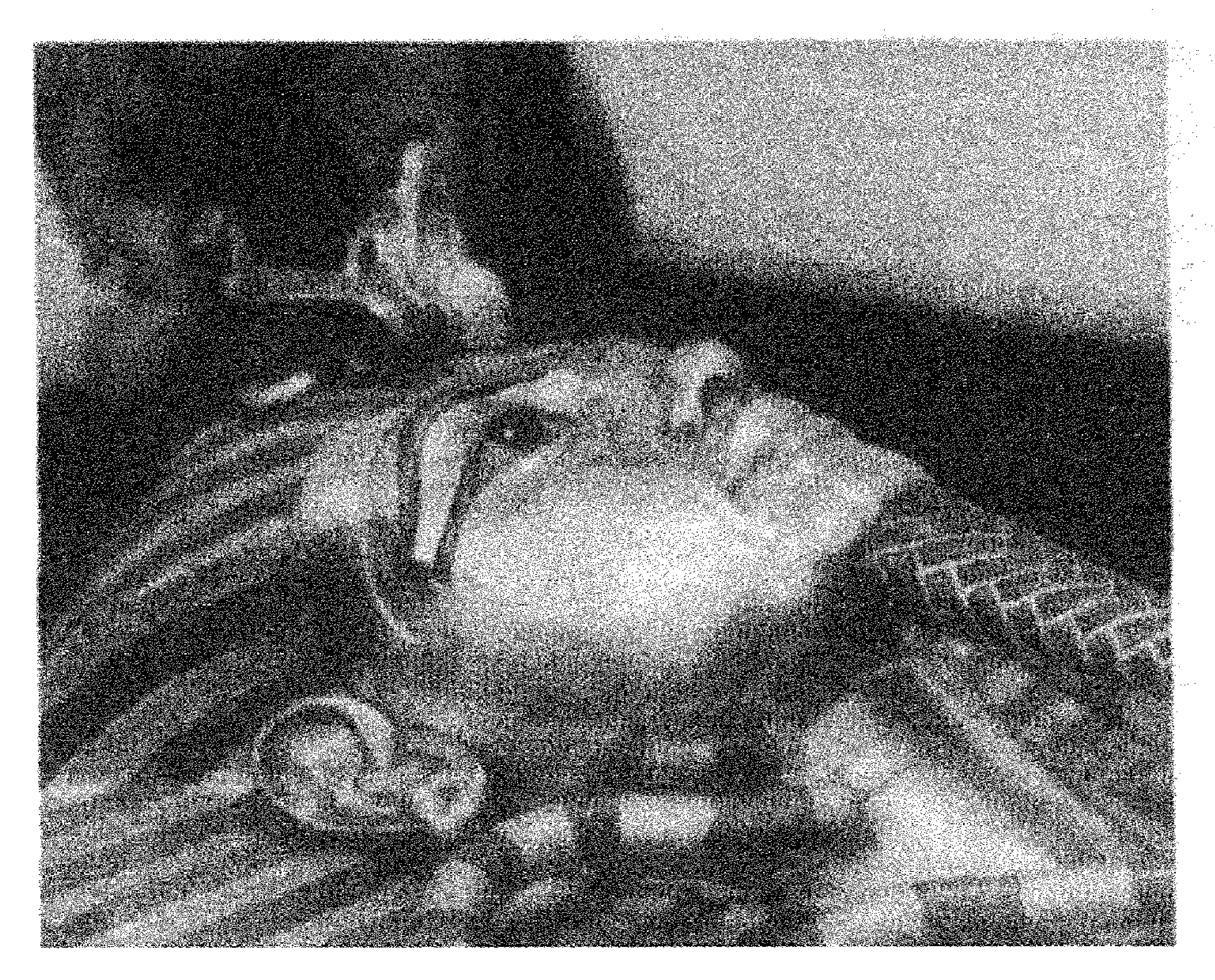
الشكل ٣٤. أنقاض القصر الشمالى بتل العمارنة، أصبح أخيرا سكن "ميريت آتون"

رسائل إخوة الملك اخناتون ملوك ميتانى وبابل والحيثيين وقبرص وسوريا كلها مهتمة بمواضيع دبلوماسية مهمة، مفاوضات زواج وتبادل الهبات، حيث تتركز الهبات على حاجة الحكام الأجانب إلى الذهب بما أن "الذهب كالتراب فى أرض أخى الفرعون". تظهر ابنة اخناتون ميريت اتون فى عدد من الرسائل ترمز لدورها المهم عند نهاية الحكم.

وقد شهد العام الثانى عشر من حكم اخناتون استقبالاً رسميًا عظيمًا للحاكم عندما احضر إنتاج النوبة وسواحل البحر المتوسط أمام عرش الملك والملكة. أهمية هذا الحدث مسجلة على جدران مقبرة وهى محل نقاش كبير ويحتمل أنها تعكس مظاهر احتفال بحكم اخناتون المطلق بعد موت أبيه. وهذا يعتمد على طول فترة النيابة.

كما شاهدنا كيف تغيرت أسماء آتون فى العام التاسع بإلغاء أى عنصر لاهوتى رع وآتون نفسه لأنهما صورة مباشرة للشمس. تبنى الملك سياسة محو وإزالة الدين القديم فى وقت معين من الحكم وربما بعد تفرده بالعرش. وبناء على ذلك قام كثير من العمال بزيارة مواقع فى كل أنحاء مصر ليزيلوا أسماء وتماثيل آمون رع ملك الآلهة، كما عانت كثير من المذاهب الأخرى خاصة كلمة "الآلهة" نفسها، هذا العمل كان متقنًا بشكل هائل لدرجة نقل التماثيل من على قمة المسلات.

خلال كل هذا الوقت برز دور الملكة نفرتيتى إلى جوار زوجها اخناتون وتماثيلها تقريبا مساوية لتماثيل زوجها، وعلى الأقل تظهر فى أحدهم فى نفس وضعية الفرعون نفسها وهى تسحق أحد الأعداء. وبعد عام أو عامين من الاستقبال الرسمى الكبير توارت الملكة عن الأنظار وقد اعتقد أن ذلك نتيجة سقوطها فى وضع مخزٍ لكنه اعتقاد خاطئ، فقد كانت "كيا" هى التى استبُدلت صورها وأسماؤها بصور وأسماء ميرت اتون ويعتقد أن نفرتيتى توفيت فى سن الثلاثين.



الشكل ٣٥. الملك سمنخ كا رع أو نفرنفرواتون: قناع التابوت الذهبى الذى استخدم كجزء من التجهيز الجنائزى لتوت عنخ آمون.

بعد إخفاء نفرتيتى بفترة قصيرة من التسجيلات الأثرية كان على الملك تعيين نائب له، وهناك نظريات تبادلية كثيرة حول شخصية هذا النائب. أحد الاقتراحات يؤكد أن هذا النائب هو نفرتيتى نفسها فى ثوب جديد – أصبحت فى وضع ملك مؤنث مثل سوبكنفرو وحتشبسوت. كما وجد مرشحون آخرون لهذا المنصب الأول رجل اسمه "سمنخ كارع" والأخر نفرتيتى باسم "نفرنفرواتون" وكلاهما تشارك فى اللقب نفسه "عنخ خبرو رع".

المؤلف يفضل وجهة النظر التى تجعل شريك الفرعون الجديد شخصًا واحدًا هو ابن اخناتون الأكبر (سواء من نفرتيتى أو من زوجة أخرى) وهو "سمنخ كارع" فى سن ال١٦. وعند تتويجه أضيفت قاعة طوبية ضخمة إلى القصر العظيم فى تل

العمارنة. غرفته الرئيسية بها ما لا يقل عن ٥٤٤ عامودًا مربع الشكل وسقفها ملون برسومات لفاكهة العنب وأوراق شجر فوق أرضية صفراء.

تزوج سمنخ كارع من شقيقته الكبرى ميرت آتون وقد رسم الزوجان فى مقبرة "مرير الثاني" فى العمارنة، وقبل ذلك فى نقش من ممفيس حيث تظهر خراطيشهما إلى جوار خراطيش آتون. الملك الجديد يظهر هناك تابعا لوالده على نقش مفقود حاليا (راجع الشكل ٣٥). رغم ان سمنخ كارع كان ابن ونائب الملك – واجد وحارس دين آتون– إلا انه كان مؤمنا بالدين القديم وتعدد الآلهة. أنشأ مقبرة لم تكتمل فى العمارنة تجهيزاتها الجنائزية التى بدأها فى ذلك الوقت نفسه ولا تحمل أى إشارة إلى عبادة الشمس. احتوت التجهيزات على تابوت رائع ومطعم معه أربعة توابيت صغيرة لتحمل أعضاءه الداخلية وكلها تتضرع لأوزير وإيزيس وآلهة الدفن المعتادة.

عند نقش هذه التوابيت قام الملك بأول تغيير لاسمه بإضافة عناصر لأسماء اخناتون فى خرطوشه. كان هذا التعديل قصير الأجل، فأثناء استمرار العمل تغير اسمه تماما واصبح "نفرنفرواتين"، وهو يشكل جزءًا من اسم نفرتيتى المتوفاة مؤخرا. رغم تغيرات الاسم التى ربما كانت بقصد إظهار الوفاء للأب لكن رأيه الدينى استمر كما كان منذ عامه الثالث (عام اخناتون ١٦/ ١٧). نقرأ عن وجود كاهن وكاتب للقرابين المقدسة لآمون فى بيت "عنخ خبرورع" بطيبة، وربما كان معبده الجنائزى، فقد كان يخطط لأن يدفن فى وادى الملوك وليس فى العمارنة.

كل هذه الظروف تدل على اختراق "الفكر art الاتوني" داخل و خارج دائرة اخناتون. فقد عرف منذ زمن طويل أن كثيرًا من عامة السكان العمارنة استمروا فى عبادة آلهة أسلافهم. إن العودة للآلهة القديمة عادت بالفعل قبل موت المهرطق (البدعة) وساند عودتها وريث العرش بأن أعاد تصنيع التجهيزات الجنائزية الملكية فى شكلها التقليدى.

أيا كان الضغط الذى أحدثه وجود آمون وأتون ووجود مؤسسيهما الملكين المبجلين إلا أنه ذاب واختفى تماما بموت نفرنفرواتين، وما زال النقاش مفتوحا عما إن كان ذلك طبيعيا أم لا ؟ لكن الواضح أن الملك الشاب حُرم من الدفن الأوزيرى الذى كان يتمناه، وبدلا من ذلك قام اخناتون بتحنيطه على الطريقة الآتونية بلا تمائم ودفن فى تابوت خشبى مذهب ومنقوش بنصوص أتونية بحتة. كان هذا التابوت خاصًا "بكيا" ومحفوظًا منذ اختفائها، نقوشه عدلت لتناسبه كملك، بالإضافة إلى المقصورة الآتونية الخاصة بالملكة "تي" وأوانى كيا الكانوبية وغطاء شقيقته. دفن نفرنفرواتين بمقبرة فى العمارنة كانت لواحدة أو أكثر من شقيقاته. وظل هناك حوالى عشرة أعوام.

قد تكون أرملته ميرت آتون عملت كنائب شرفى لفترة قصيرة تحت اسم "عنخت خبرور" وهو تأنيث بسيط للقب زوجها. لكن نظام الحكم الجديد كان قصير الأجل فلم يبق اخناتون نفسه بعد وفاة ولده إلا شهورًا قليلة ومات فى عام حكمه السابع عشر. دفن اخناتون بالتأكيد فى مقبرته العظيمة بالعمارنة وحميت مومياؤه فى ناموس جرانيتى على زواياه تماثيل حامية لزوجته السابقة نفرتيتى فى وضع مشابه لإلهات الدفن التقليدية. لكن هذه الحماية لم تدم فبعد عقدٍ، وبوفاة توت عنخ آمون أخر أبناء إخناتون ظهرت قوى أخرى مضادة لآتون وتركته فور وفاة توت عنخ امون جردت مقابر العمارنة من محتوياتها. نقلت جثة سمنخ كارع إلى طيبة لتدفن محرومة من هويتها فى مقبرة تواجه مقبرة شقيقه الأصغر حيث وجدت عام ١٩٠٧. بقايا اخناتون ولم يحسم التعرف عليها، وجدت بقايا مومياء محترقة خارج باب مقبرته، فربما كان هذا كل ما تبقى من الملك المهرطق بعد أن انتقم منها أعداؤه.

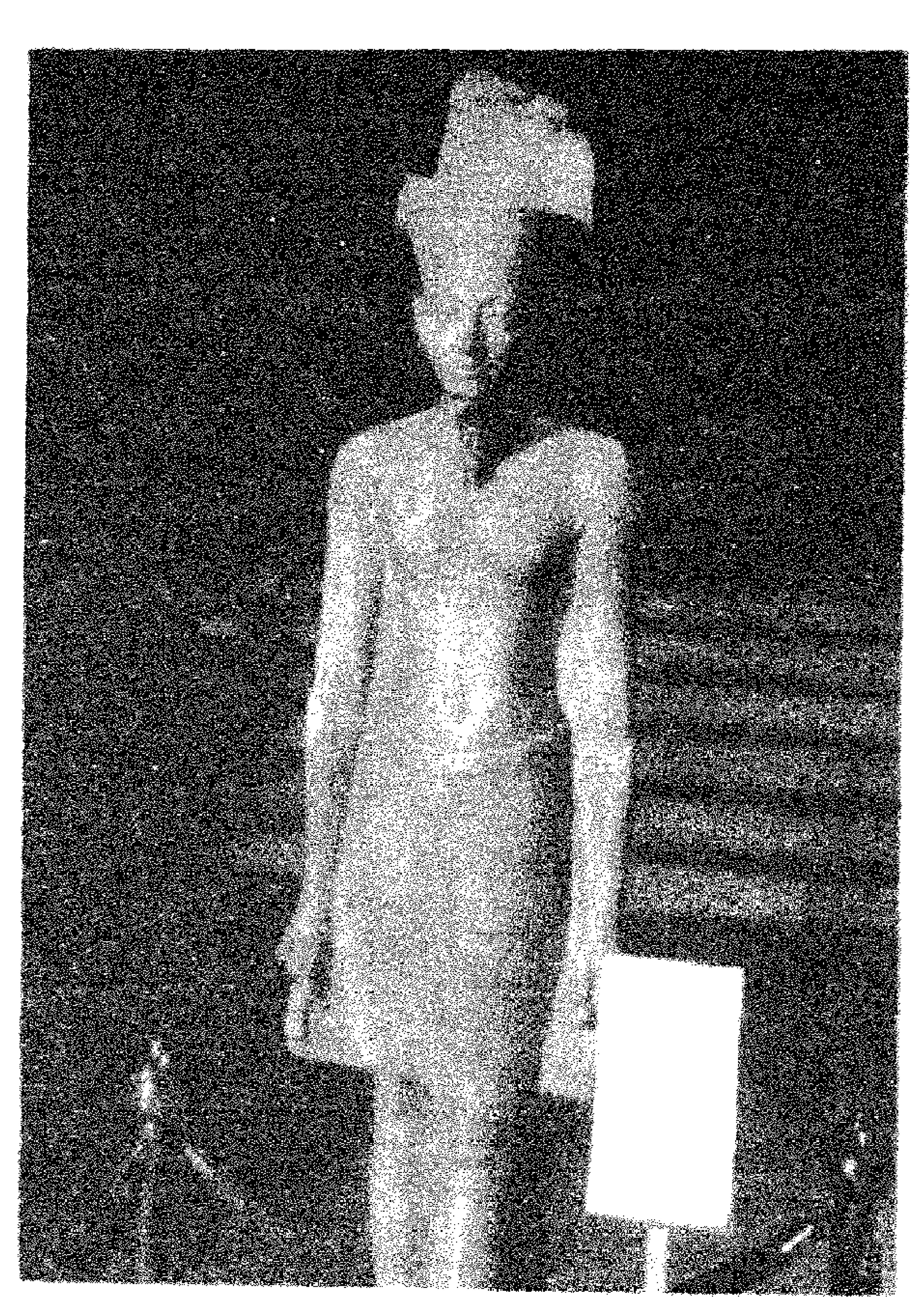
توت عنخ آمون

١٣٤٣ - ١٣٣٣ ق.م:

كان "توت عنخ امون" اصغر أبناء اخناتون عند اعتلائه العرش. ظهر مرة على نقش وجد فى "أشمونين" يعود أصله إلى العمارنة، أصبح ملكا بعد موت أبيه

وأخيه وهو فى سن التاسعة أو العاشرة مع شقيقته "عنخ سنباتون" التى أصبحت ملكته وكان معه أيضا الضباط "أي" و"حورمحب" كحكام حقيقيين للبلاد.

قضى الملك أعوامه القليلة الأولى فى تل العمارنة وربما بدأ فى بناء مقبرة هناك وقد تغير اسم الزوجين مبكرا إلى "توت عنخ آمون" و"عنخ سن آمون" وعاد السكن الملكى إلى ممفيس الموقع التقليدى لآلاف السنين. كان الملك الصغير فى أعوامه الأولى تحت رعاية سيدة اسمها "مايا" وجدت مقبرتها مؤخرا فى سقارة. بقيت العمارنة لفترة مركز طقوس ديانة آتون والجبانة الملكية لكن حدثت تغيرات سريعة لترميم المكانة الدينية القديمة.



الشكل ٣٦.واحد من تماثيل آمون الكثيرة التى ظهرت خلال حكم توت عنخ آمون حاملة ملامح الملك.

الوثيقة الوحيدة عن عملية التغير هذه هى "لوحة الترميم"، وهى فى القاهرة الآن، نذكر منها المقطع التالى لنبين أهميتها:

" والآن بعد أن أصبح جلالته ملكا، أهملت معابد الآلهة والإلهات من الفنتين إلى مستنقعات الدلتا. هجرت مقاصيرها وغطيت بالأعشاب المائية الطافية. قدس الأقداس كأنها لم تكن أبدا وتحولت صالات الاستقبال إلى ممرات للسير.. اضطربت الأرض، وهجرتها الآلهة. أى جيش يذهب لسوريا لتوسيع حدود مصر يفشل. إذا تضرع أحد للإله لا يستجاب له.

وبعد مرور بعض الوقت ظهر سيادته على عرش أبيه.. انظر هو فى قصره فى ضيعة تحتمس الأول، أخذ بمشورة قلبه وبحث عن كل مناسبة مؤثرة، باغيا كل مميزات أبيه آمون لتطوير صورته الهائلة من الكهرمان الحقيقى. لقد أضاف إلى كل ما تم سابقا ثم استحدث صورة لأبيه آمون فوق ثلاث عشرة سارية والصورة بالكامل مصنوعة من الكهرمان واللازورد والفيروز وكل الأحجار الثمينة النادرة.."

يستمر النص فى عد مزايا الملك تجاه الآلهة، فقد رمم توت عنخ آمون قدس الأقداس التى هجرت أثناء حكم اخناتون. يوجد الكثير من تماثيل المعابد تنسب لحكمه، تميزت فترة حكمه بأسلوب فنى رقيق يجمع بين أفضل ملامح الفن فى العمارنة والأعمال التقليدية الأخرى.

من ضمن أعماله بطيبة متابعة بناء مدخل بصفًا أعمدة ذات تيجان لمعبد أمنحتب الثالث فى الأقصر وتكملته بالتماثيل. زود معبد الكرنك بصورة ثلاثية الأبعاد للإله آمون وأمونت وخونسو، ونذكر أيضا صفًا كاملاً من التماثيل وأبى الهول تصور الملك نفسه ومعبدًا صغيرًا على اسم الملك. تشهد كسرات متنوعة فى ممفيس على مبانيه هناك. فى "فراس" بالنوبة عبد كإله أثناء حياته. كذلك فى الجنوب البعيد بنى معبدًا فى "كاوا" حيث أتى من هناك زوج الأسود الجرانيتية

الرائعة التى تقف الآن فى مدخل معرض النحت المصرى فى المتحف البريطانى. أخيرا شهد حكمه أول مقبرة للثور أبيس، وهو التجسيد الساذج للإله بتاح فى سقارة مصحوبا بأوانى كانوبية وثلاث قطع حلى زجاجية باسم الملك.



الشكل ٣٧. الملك توت عنخ آمون محاط بالآلهة آمون-رع وموت: من الحجر الجيرى بالكرنك.

حكم النوبة الحاكم "هوي"، وهو مشهور بسبب مقبرته الرائعة بطيبة. من الضباط الكبار، أيضا الوزيران "أسرمونتو" و"بنتو"، لكن الأكثر شهرة هما بالطبع القائدان العسكريان "أي" و"حورمحب". الأول ربما كان شقيق الملكة "تي" ووالد نفرتيتى، والثانى رجل مخازن المؤن الإقليمية وكان المشرف على الجيش ونائب الملك. كان "مايا" أيضا من الشخصيات البارزة، كذلك ولد "أي" اللواء "ناختمين" وكان هو ومايا يقدمان العطايا والهبات فى جنازة الملك. بنيا آى وحورمحب مقابر رائعة فى سقارة. النقوش الرائعة فى مقبرة حورمحب تحكى عن الحملات

العسكرية التى قام بها حورمحب ليثبت أن المرض الذى أصاب الحملات المذكورة فى "لوحة الترميم" قد زال بفضل هبات توت عنخ آمون الكريمة للآلهة.

هذه الحملات كانت بغرض تقوية مركز مصر بين جيرانها، وقد تضمنت عمليات ضد ليبيا والنوبة وبلاد آسيا. صور الأسرى الرائعة فى مقبرة حورمحب تظهر بدقة حالات التعذيب للمسجونين. النقوش تحتوى على مكافأة حورمحب المنتصر أمام توت عنخ آمون وعنخ سن آمون. وبعد سنوات قليلة تالية سيكون هذا القائد ملكا ويظهر فى مقابر حاشيته وتابعيه وهو يكافئهم بالطريقة نفسها.

فكر توت عنخ آمون فى بناء مقبرته شأنه شأن باقى ملوك مصر على رغم سنوات عمره القليلة. من المعروف أن جبانة العمال بالعمارنة بقيت فى مكانها لبعض الوقت فى فترة حكم الملك، ويبدو جيدا أنه كان ينوى أن يدفن هناك ويحتمل أن تكون هذه هى المقبرة رقم ٢٩ الحالية فى سلسلة العمارنة التى وصلت إلى خمسة وأربعين مترا فى القاع قبل أن تهجر. الناموس الذى يفترض أنه يضم جثة الملك كان مفترض أن يماثل تصميم ناموس اخناتون وتماثيل الملكة عند الزاوية بدلا من آلهة الدفن التقليدية، لكن بعد تخلى الملك عن الفن الآتونى أعُيد العمل فى الصندوق الكوارتيزى ليأخذ اسمه الجديد وتحويل التماثيل فى الزاوية إلى إيزيس ونفتيس ونيت وسيلكت.

عندما قرر نقل المقبرة الملكية لطيبة بدأ العمل فى مقبرة جديدة فى وادى الملوك. ويا للأسف هذه المقبرة لم يتم تحديدها بما أنها لم تكتمل. المقابر المرشحة هى التى شغلها مؤخرا الملوك آى (WV ٢٣) وحورمحب (وادى الملوك ٥٧) لكن الأفضلية لمقبرة الملك الثانى. وقد تركت المقبرة غير مكتملة؛ لأنه بعد أقل من تسع سنوات على العرش توفى توت عنخ آمون وهو لا يزال فى مرحلة المراهقة. رغم كثرة التكهنات والاختبارات لكن لم نتوصل إلى الأسباب الأكيدة التى أدت لوفاة الملك، ويحتمل انه نتيجة ضربة فوق الرأس، وكانت ابنتاه مازالتا مولودتين ومات معه خط الذكور فى الأسرة ١٨.

كانت هناك مقبرة فى وادى الملوك (٦٢) مهيأة لموظف كبير (ربما أي؟)، فتمت توسعتها لدفن الملك وتلقى تجهيزات جنائزية لمومياته. واحتوت على عناصر كثيرة من بينها تابوت ولوازمه الكانوبية صنعت منذ زمن لنفرنفرواتين لكن اخناتون ألقاها وأهملها.

بعد الطقوس الكاملة، وضعت البقايا وفضلات تحنيط الملك عند مدخل المقبرة تماما ثم أغلقت المقبرة وفصلت عن كل المتطفلين حتى عام ١٩٢٢ عندما اكتشفها "هورد كارتر" فى حفرياته وأظهر كنوزها للعالم.

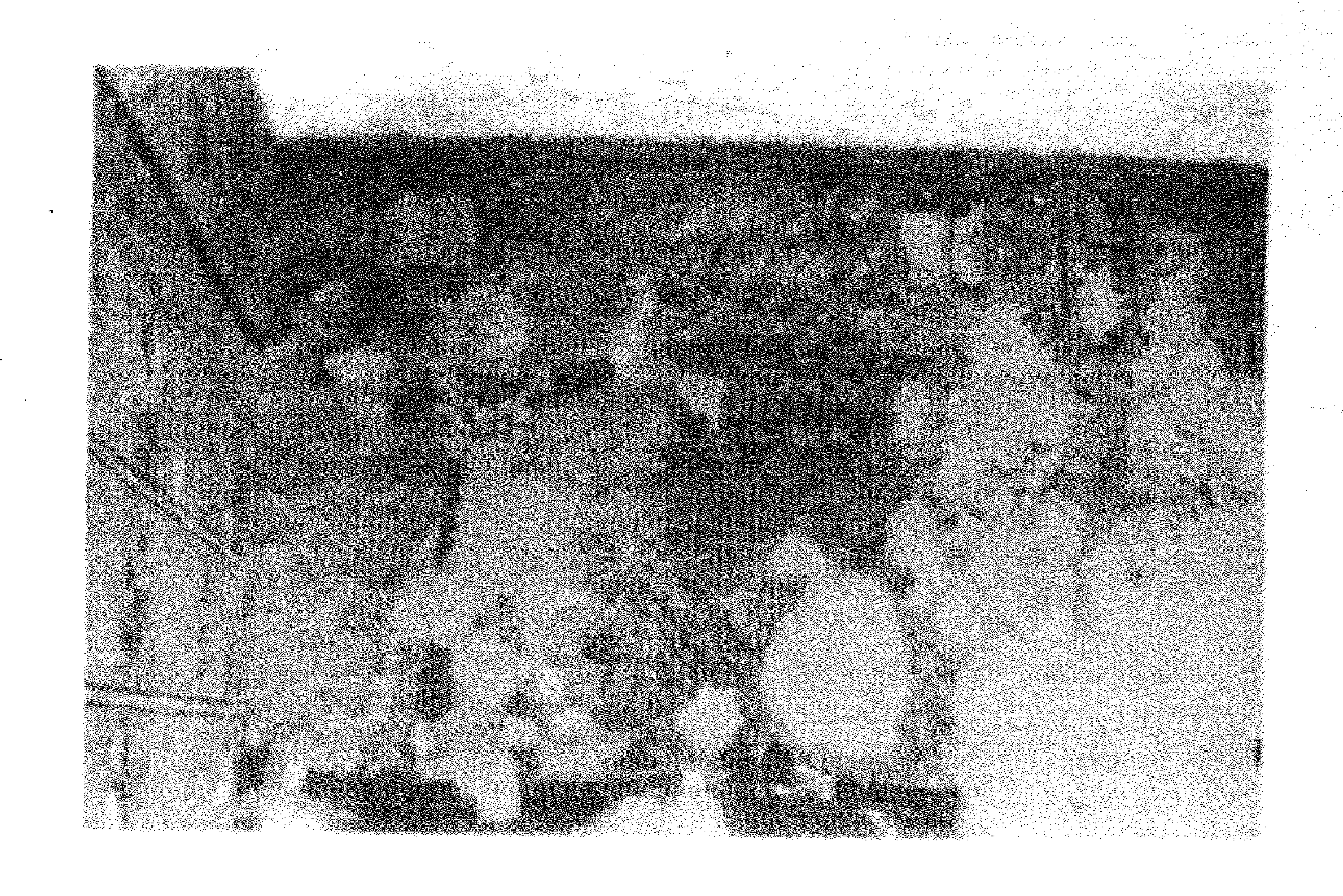
آى

١٣٣٣- ١٣٢٨ ق.م:

أول ظهور لـــ"آى" فى التاريخ كان قائدًا للخيول فى بلاط اخناتون، وكانت مقبرته المفترضة من أكبر مقابر العمارنة وتعكس منزلته العالية. لا يوجد دليل على توليه أى وظيفة كهنوتية، ومثل كثير من رجال السلطة فى نهاية الأسرة كان جنديًا أولا وأخيرا.

لا توجد أى قصة عن الحقيقة، لكن يبدو أن "آى" هبط من بلدة "أخميم" حيث نحت مقصورة صخرية للإله المحلى مين. يقال: إنه قريب إن لم يكن ابن "يويا" من بلدة "أخميم" أيضا ووالد الملكة "تي" أى شقيق زوجة أمنحتب الثالث؛ لذلك يسهل فهم شهرته. بالإضافة إلى وجود دلائل لكونه والد الملكة "نفرتيتى"، مما قوى مركزه أكثر فى البلاط.

اكتسب "آى" منزلة عالية عند تتويج توت عنخ آمون وعند موت الملك ارتفع هو إلى العرش بما أنه الرجل الوحيد الباقى من الأسرة الملكية. يظهر كملك يترأس جنازة توت عنخ آمون على جدران غرفة دفن الملك الشاب. أمن آى مقبرة للإله أوزير بما أنه ملك حورسى؛ وذلك لتقوية مركزه على العرش.



الشكل ٣٨.جدار من مقبرة آى (WV 23). تحتوى على منظر فريد لصيد السمك والطيور فى غرفة دفنه. وهو تغير مزدوج فى التقاليد لأن هذه المناظر توجد فى المقاصير الجنائزية فقط ثم وجدت بعد ذلك فى مقاصير الشخصيات المهمة فقط.

تتضح حاجته لتبرير مركزه فى الأحداث التى تلت موت توت عنخ آمون، كما نعرف من أرشيف الحيثيين أن الملكة الأرملة عنخ سن آمون كتبت إلى ملك الحيثيين "سوبيليوماس" تسأله أن تتزوج أحد أبنائه وتجعله الفرعون. هذا الطلب يعد مفاجأة فأجاب أحد الأمراء "زانانزا"، وكان ذلك بعد أن أكد وكلاء الحيثيين حقيقة افتقار توت عنخ آمون لود.

لم يصل الرد أبدا إلى مصر، فقد قتل فى طريقه بسوريا تاركا "أي" ملكا فى نفس يوم جنازة توت عنخ آمون. يبدو أن هذا الحدث تم بعد وفاته بثمانية اشهر وتأخر بفضل السبعين يوما التقليدية للمناورة السياسية والدبلوماسية. يوجد حاليا

خاتم فى برلين يربط اسم آى بالملكة عنخ سين آمون إلا إنها اختفت سريعا من التاريخ واعتبرت علاقتها بالحيثيين خيانة ومحيت أسماؤها وصورها من الآثار فى كثير من الأحيان.

اعتلاء آى للعرش يرمز لانقطاع خط ورثة اخناتون مع تفكك الجبانة الملكية بالعمارنة سريعا بعد موت توت عنخ آمون وتدمير جثة الهرطيق. عرف القليل عن أحداث الحكم على الرغم من استمرار أهم الموظفين بوظائفهم من عهد توت عنخ آمون.

توفى "آي" بعد حكم دام فقط أربع سنوات، وهو يبلغ من العمر سبعين عاما على الأقل. ابن الملك "ناختمين" توفى فى وقت مبكر من حكم الملك؛ لأننا نرى حورمحب سرعان ما يحمل لقب الوريث الملكى. تزوج حورمحب من "موتنوجميت" شقيقة نفرتيتى وهما غالبا ابنتا آى إما عند موت آى إما بعده مباشرة.

بنى الملك معبده الجنائزى فى مدينة "هابو" وأعد لدفنه مقبرة ٢٣ غرب وادى "بيبان الملوك"، وهى المقبرة التى قد تكون فى بداية الأمر معدة لنفرنفرواتين أو توت عنخ آمون. دفنه حورمحر كروتين، ثم فى سنوات متأخرة عانت ذكراه من الإساءة نفسها التى عانى منها اخناتون وأبناؤه.

حورمحب

١٣٢٨ -١٢٩٨ ق.م:

ظهر حورمحب أولا فى عهد توت عنخ آمون كرئيس للجيش ونائب ملك، وعلى الرغم من شهرة رئيس الفرقة بـــ"أمنحتب" الذى بنى مقبرة فى العمارنة ولم تكتمل أبدا. من زملاء حورمحب المقربين "مايا" الذى خدم اخناتون فى العمارنة وربما كان هو نفسه "ماي" صاحب مقبرة فى عاصمة الهرطقة. هذان الرجلان كان لهما مقبرتان مزخرفتان مبنيتان فى سقارة أثناء حكمى توت عنخ آمون وآى اكتشفتهما بعثة

"المملكة المتحدة لاكتشاف المجتمع المصري" بالاشتراك مع المتحف القومى للآثار عام ١٩٧٥ بليدن فى هولندة وخلال الأسرة ١٨ بدأت سقارة تنافس طيبة كأماكن لدفن الشخصيات المهمة فى الإدارة الوطنية وقد دفن أحد وزراء أمنحتب الثالث هناك.

أُعتبر حورمحب وريث "آى" كما نرى فى نقش من مقبرة الكاهن الأعلى للإله بتاح "بتاحمحات–تي" وبعد ذلك على تمثال التتويج الموجود حاليا فى "تورين". نقوش هذه القطعة تظهر حورمحب مع "موتنوجمت" وتعطينا ملخصًا عن أعماله فى البداية وكيف أن الإله المحلى "حورس هنس" رشحه إلى العرش. قد يكون ذلك بقصد تبرير وراثته "لآي" (بما أنه ملك مجسد للإله حورس) أو أنه كان يقصد كسب قوة فى كفاحه بعد موت آى.



الشكل ٣٩. حورمحب، أثناء توليه منصب قائد، فى مقبرته بسقارة. بعد توليه العرش أضيف رسم لثعبان اليوريا إلى حاجبيه، لتميز توليه الملك.

بدأ تفكك خط إخناتوت أثناء عهد توت عنخ آمون لكن بداية الهجوم الرئيسى على اخناتوت كان بعد وفاة توت عنخ آمون وبقيادة حورمحب كانت المحاولات الأولى لكتابه فترة العمارنة خارج التاريخ. هناك قاعدة تمثال لحورمحب يعود لمدينة العمارنة نفسها مما يدل على استمرارية العمل الوظيفى هناك، لكن ذلك كان حتما مصاحبا لهدم كثير من المبانى وإعادة استخدام حجارتها. معابد آتون فى الكرنك احتلت ووظفت فورا ثم أقام حورمحب معبده الخاص للإله "آمون–رع". هذا البرنامج البنائى تضمن البدء فى بناء بهو الأعمدة الضخم وإضافة الصرحين التاسع والعاشر. فى الأقصر أُكمل عمل أمنحتب الثالث وتوت عنخ آمون وقد استولى على آثار الأخير هناك وفى أماكن أخرى. كثير من التماثيل والنقوش التى تحمل خراطيش حورمحب صنعت فى الأصل لتوت عنخ آمون.

حدثت بعض العمليات العسكرية خلال فترة حكم الملك كما نتوقع من قائد سابق. ربما أكمل العمليات التى قادها فى عهد أسلافه لكنها بدت محدودة الأمد. النقوش التى على واجهة الصرح العاشر وفوق جدران البلاط القريبة تشهد على حدوث حملة سورية لكن لم يعرف عنها الكثير، وكذلك العملية النوبية المصورة فى قدس أقداس الملك المنحوت فى الصخر"بالسلسلة". تدلنا نقوش الكرنك أيضا على وجود اتصالات أجنبية تجارية مع بلاد بونت.

فى اعتقادى أن سياسة الحكم العائلية كانت معلنة رسميا ومنشورة قبل ذلك على الرغم من عدم وجود تاريخ. النقش الموجود على لوحة جدارية على الواجهة الشمالية للصرح العاشر فى الكرنك مطابق تماما لنقش أخر فى أبيدوس، وهو يصف رغبة الملك فى علاج الجرائم الفظيعة التى ارتكبها خدم الولاية. كما توفر التفاصيل عن العقاب الغاشم لكل من يعارض الإرادة الملكية، الموظفون وجوههم

مشوهة وأنوفهم مبتورة ومشنوقون، جنود سارقو الجلود الحيوانية يعاقبون بمئة جلدة وخمس جروح مفتوحة. كانت هناك رقابة قوية على الموظفين المرتشين والفاسدين. الوثيقة تعد إعادة تنظيم للقانون للحد من تعاظم عشوائية الموظفين. خلفية هذا المرسوم كانت نتيجة سياسة الزندقة والإلحاد الخاصة بإخناتون لأن تدميره اقتصاد المعبد التقليدى فتح الباب أمام موظفى الإدارة المحليين والجنود لجميع الأفعال المشينة، وكان حورمحب على رأس معظم أحداث هذه الفترة قبل توليه العرش بعد وفاة إخناتون بخمسة عشر عاما.

هذه الحقيقة تجعلنا نتساءل: هل هذا الإعلان الرسمى يشير للفترة التى تليت اعتلاء حورمحب للعرش؟! هناك رأى يرى أن الملك أراد تصحيح الأوضاع التى عاشها كأحد ضباط توت عنخ آمون دون أن يعترض عليها. الرأى الأخر هو أن اللوحة بالكامل كانت من أعمال توت عنخ آمون لأنه لا يوجد أى ذكر لاسم لملك بأى مكان بالنص، لكنها تنسب لظهور اسم حورمحب فوق البرواز (الجزء العلوى المستدير من اللوحة)، وكما شاهدنا فقد اغتصب حورمحب كثيرًا من آثار توت عنخ آمون، لكن ويالللأسف ضاع هذا البرواز وفقد حاليا؛ لذلك لا يمكننا التأكد من أصل الخرطوش. بعض الدارسين ادعى أن لغة النص فى اللوحة تساند فترة حكم حورمحب، أيا كان فإن الفارق الزمنى القليل يجعل ذلك غير مؤكد.

حدثت بعض أعمال شغب وأعمال غير قانونية فى فترة العام الثامن من حكم حورمحب مثل سرقة وإعادة بناء مقبرة تحتمس الرابع. النقوش الجدارية التى تسجل أعمال الصيانة تظهر أنها كانت فى يد الصائغ "مايا" الذى ساهم منذ أعوام قليلة فى دفن توت عنخ آمون. كان هو المسئول أيضا عن إعادة إغلاق المقبرة التى عانت من اللصوص أثناء حكم حورمحب. توفى مايا بعد ذلك بأعوام قليلة ودفن بمقبرته المزينة الرائعة بسقارة الواقعة جانب مقبرة حورمحب. توجد

سلسلتان من مدافن الثور أبيس فى سقارة، افتتحها الأمير "تحتمس ب" فى عهد أمنحتب الثالث وهى تنسب لفترة حكم حورمحب المدفون فى مقبرة واحدة ذات غرفتين وجدت احداهما عام ١٨٥٢.

عندما كان حورمحب شخصية مهمة، بدأ فى بناء مقبرة ضخمة جدا بسقارة واستمر العمل بها خلال حكم توت عنخ آمون وآى. أُنقذت بعض النقوش الرائعة من بقايا هذه المقبرة فى القرن ١٩ والمقبرة نفسها اكتشفت عام ١٩٧٥. وعند تولى حورمحب الحكم أضيفت اليوريا إلى قمة تمثيله هناك، وربما اهتموا بجعلها مقبرته الملكية الفخمة. لكن بنيت له مقبرة ملكية فى وادى الملوك وأعيد بناء معبد آى الجنائزى الأول بمقياس أضخم. المقبرة القديمة استخدمت لدفن زوجته الأولى "أمينيا" التى توفيت أثناء حكم آى، وكذلك الثانية والملكة "متنوجمت". توفيت أخت نفرتيتى وهى تلد حوالى العام الثالث عشر من حكم حورمحب ووجدت بعض العظام فى جزء المقبرة تحت الأرض وتظهر أن صحة المتوفى كانت ضعيفة وعمره حوالى ٤٥. أما أبناء حورمحب الأوائل فلم يحيا أى منهم بعد والده.

عند وفاة حورمحب لم تكن زينة مقبرة بطيبة قد اكتملت. وتحديد فترة حكمه غير دقيقة لكن أعلى تقدير يشير إلى العام ١٣. لكن هناك ذكر للعام ٢٧ فى نقوش تمثال بمعبد جنائزى على الأغلب يخص حورمحب ويقترب من أيامه الأخيرة. وجدت بعض العظام فى مقبرته بوادى الملوك وهى غالبا للملك، عند اكتشافها أول مرة لم تفحص ومكانها الحالى غير معروف.

توفى حورمحب بلا أى سبب، وكان هو أخر ملوك الأسرة ١٨. خلفه وزير الشمال "بارامس" الذى اختاره بنفسه، وقد أصبح فيما بعد رمسيس الأول مؤسس الأسرة ١٩ الجديدة.

الفصل الحادى عشر

القوة والمجد

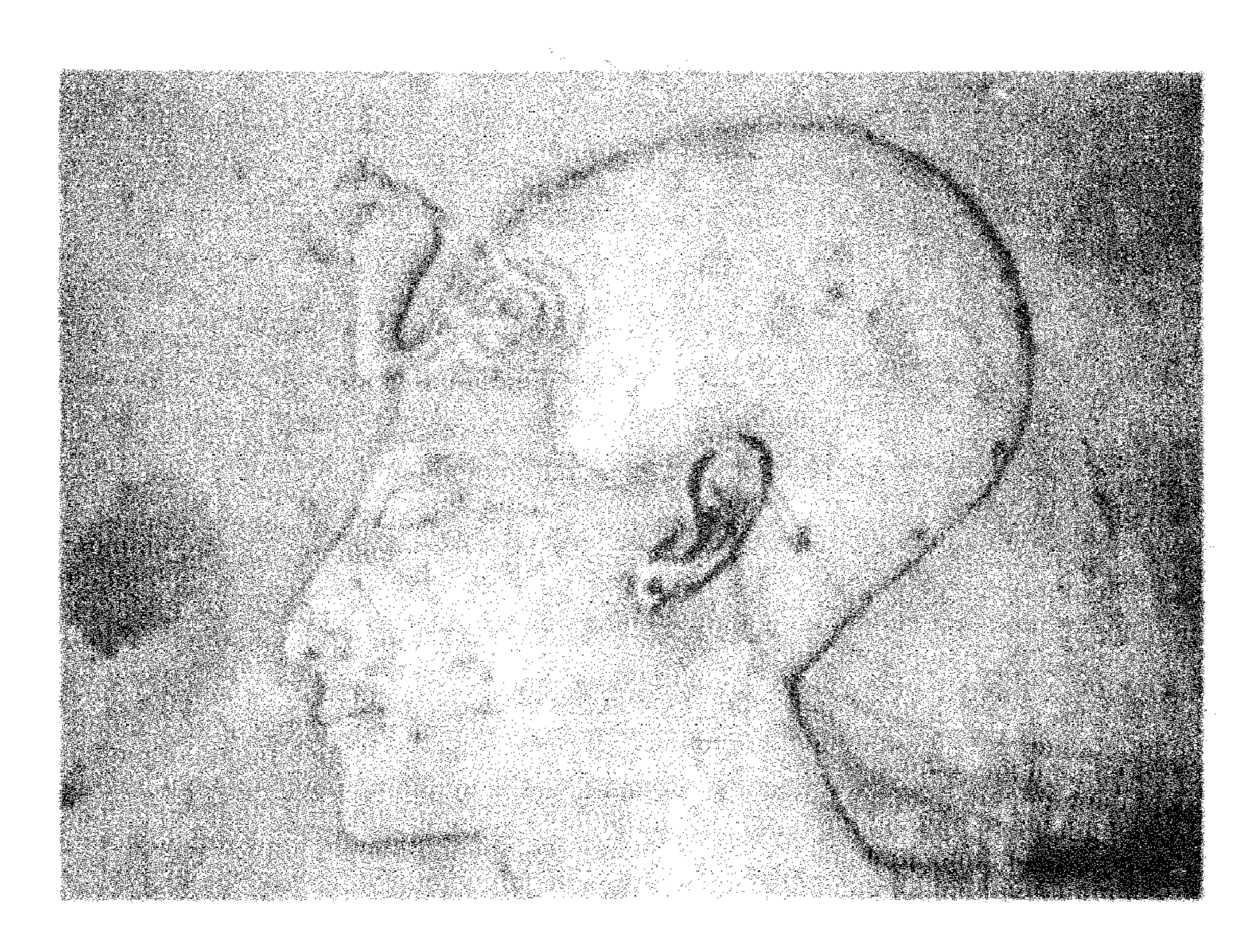
سيتى الأول ١٢٩٦- ١٢٧٩ ق.م:

مؤسس الأسرة هو القائد "براميس" وقد كان أحد زملاء حورمحب عندما كان قائدا للجيش، ويظهر فى مقبرة حورمحب بسقارة ونائب الملك يكافئه. براميس هو ابن قائد الفرقة "سيتى" وهكذا استمر التقليد العسكرى للعائلة. الضابط العسكرى "راموس" صاحب المقبرة بالعمارنة قد يكون (أو لا يكون) هو نفسه فى بداية عمره (براموس ببساطة هى راموس مع إضافة أداة التعريف فى بدايته). أثناء وظيفته فى فترة حكم اخناتون ارتفع براموس فى منصبه بالجيش قبل أن يتلقى وظيفته المدنية "وزير الشمال". تأكدت منزلته العالية بتوليه منصب مراقب كهنة مصر العليا والسفلى مما وضعه على رأس الإدارة المدنية والكهنوتية.

وأخيرا أصبح نائب الملك ومديره التنفيذى. الألقاب التى حصل عليها أثناء خدمة حورمحب "النيابة" وهى مذكورة على قاعدة مسلة موجودة حاليا فى "إيدن برج"،وفى كل الحالات أصبح اسمه "رمسيس الأول" عند تولى العرش. وبذلك يكون وضع له لقب مشابه للقب "أحمس" (منبحتى رع، نبحتى رع)، وهذا يؤكد ادعاء أنه بادئ عصر جديد، وأصبح إخناتون الآن شخصية من الماضى.

تزوج رمسيس من "سيتر" وهى غير معروفة النسب، ابنهم الوحيد المعروف هو "سيتى" الذى أصبح وريث العرش. يظهر من نقوش قاعدة تمثال من مداموود أنه كان نائب أبيه، وقد قاد حملة إلى فلسطين خلال الأشهر الأخيرة من حكم رمسيس

الأول الذى وصل لمرحلة الكهولة. توفى الملك بعد أقل من عامين من ظهوره على العرش. بدأ العمل بمقبرته مؤخرا وكان ضروريا تعديل غرفة الدفن وجعلها أصغر حجما، ناموسه مزين باللون الأصفر فقط.

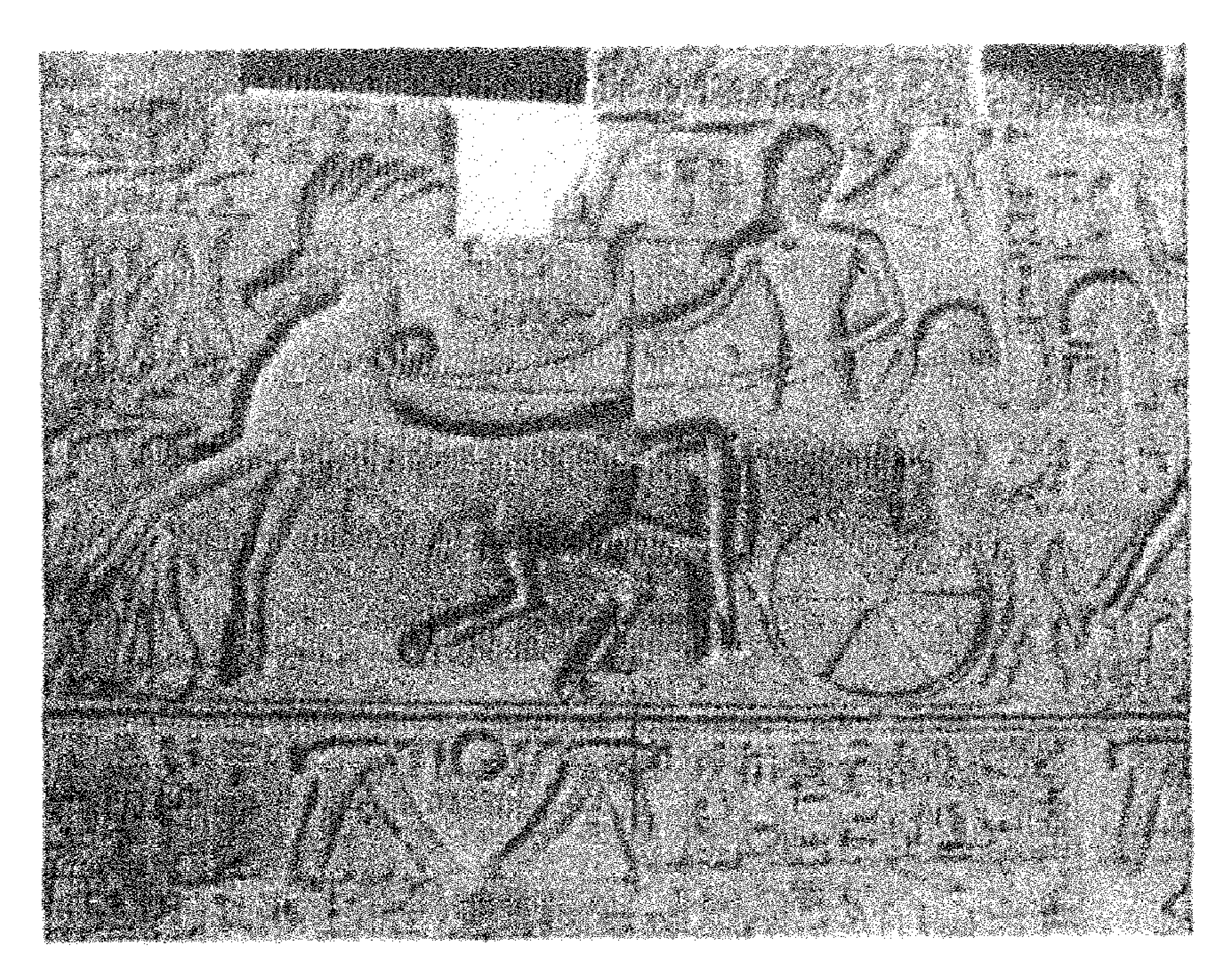


الشكل ٤٠. الملك سيتى الأول كما يظهر فى معبده بأبيدوس. حكم سيتى الأول كان أعلى مستويات فن الدولة الحديثة.

شهد أول أعوام حكم سيتى الأول حملة كبيرة لفلسطين، وهى مسجلة على الجدران الخارجية لبهو الأعمدة بالكرنك، الذى بدأه حورمحب وأكمله الرعامسة. هناك معلومات أيضا فى لوحة جدارية من "بث شان" بتمركز مصرى مهم وجد لبعض الوقت فى فلسطين. المجموعة الأولى تصل إلى ساحل "الجازا" وتقوم بحراسة وتأمين الطريق التجارى الرئيسى ثم تستولى على المدينة وتستمر فى الصعود شمالا. هدأت الأراضى حتى منطقة "تير" قبل عودة الملك إلى قلعة "تجيل"فى شمال شرق الدلتا.

اندفعت حملات أكثر فى الموسم التالى للتوغل فى فلسطين وجنوب سوريا مشتبكة فى صراع مع الحيثيين لتأمين مدينة "قادش"، خصوم تحتمس الثالث القدماء، وسرعان ما تهاوت السيطرة على المدينة، وفى العام السادس من الحكم توازنت القوى فى المنطقة بين الحيثيين والدولة المصرية، وكان من الضرورى أيضا شن حرب عند الحدود الغربية ضد الليبيين، وفى هذه الحرب يظهر الأمير الشاب ولى العهد رمسيس، وفى نقوش الكرنك استبدلت صوره بصورة "ميهي" قائد المعارك الأول لسيتى الأول أثناء الحروب الأجنبية.

بعد استقرار أوضاع الشمال، أصبح الغزو العسكرى للنوبة مهم جدا فعندما قامت ثورة فى العام الثامن من الحكم فى "إرم"، ذهبت قوة إلى الجنوب، استغرقت سبعة أيام فقط لقمع التمرد والقبض على حوالى ستمائة سجين.



الشكل ٤١. الملك سيتى الأول فى مقصورته، يسبقه الأسرى من معسكر سواحل البحر المتوسط. الشكل الصغير خلف العربة يخص ابنه رمسيس (رمسيس الثانى فيما بعد) نحت فوق صورة قديمة للقائد ميهى (الواجهة الخارجية لبهو الأعمدة بالكرنك)

كان سيتى الأول من أبرز ملوك التاريخ المصرى نصرة للفن. يوجد نقش منحوت جيدا يصف روعة بهو أعمدة الكرنك الجديد، لكن قمة البرج المدبب كانت تصل إلى معبد له سبعة قدس أقداس فى أبيدوس. النقوش الملونة على جدران هذه البناية ربما كانت أفضل الأعمال التى تمت فى كل عصور مصر. لأن نقوشه الدقيقة الرائعة تؤكد بتفاصيلها وألوانها الواضحة الاهتمام الملكى الشخصى بتزيين المعبد. تضمن معبد أبيدوس نصبًا تذكاريًا عجيبًا، حيث سمح الأوزيريون للملك بالحصول على الشهرة والتمثيل المشرف بعد الموت فى مدينة أوزير المقدسة كما حدث مع سنوسرت الثالث وأحمس فى العصور السابقة.

هذه المستويات الرفيعة يمكن ملاحظتها خلال خطوط الفن الخارجية فى هذه الفترة، وبالنظر إلى تماثيل للملك لها بعدان وثلاثة أبعاد وقريبة الشبه بصوره الشخصية، عند مقارنتهما برأس مومياء الملك. التناقض بين هذا العمل وأعمال خلفاء سيتى يظهر فى أبيدوس، حيث الأجزاء الخارجية للمعبد مع النصب التذكارى قد اكتملت وزينت بعد وفاته.

يذكر نقش قصة طريفة فى مقصورة "بوادى عباد" فى الصحراء ٥٠ كيلومترًا شرق إدفو. تسجل القصة حفر بئر من أجل عمال مناجم الذهب العائدين إلى وادى النيل من عملهم فى الصحراء الشرقية. وهناك نص آخر من المكان نفسه به تحذير لأى حاكم يحاول عرقلة صندوق المال الذى خصصه سيتى الأول للصرف على المعبد بأبيدوس:

"أى ملك يحاول الإطاحة بخططى.. ستحرق الآلهة أطراف من لم يستمعوا لى.

وأى ضابط يقترح على سيده تغير نشاط المعبد ستحرقه النار وتحرق أطرافه..."

تزوج سيتى الأول قبل أن يصير ملكًا من "تويا" ابنة "رايا" ضابط عربات خيول وزوجته "رويا". أنجب سيتى الأول ثلاثة أطفال: الابن رمسيس بنتان "تجيا"

و"هنوتمير". تزوجت تجيا من رئيس الضباط "تيا" بينما حملت أختها لقب زوجة الملك رمسيس بعد عدة سنوات عندما خلف والده وأصبح ملكا.

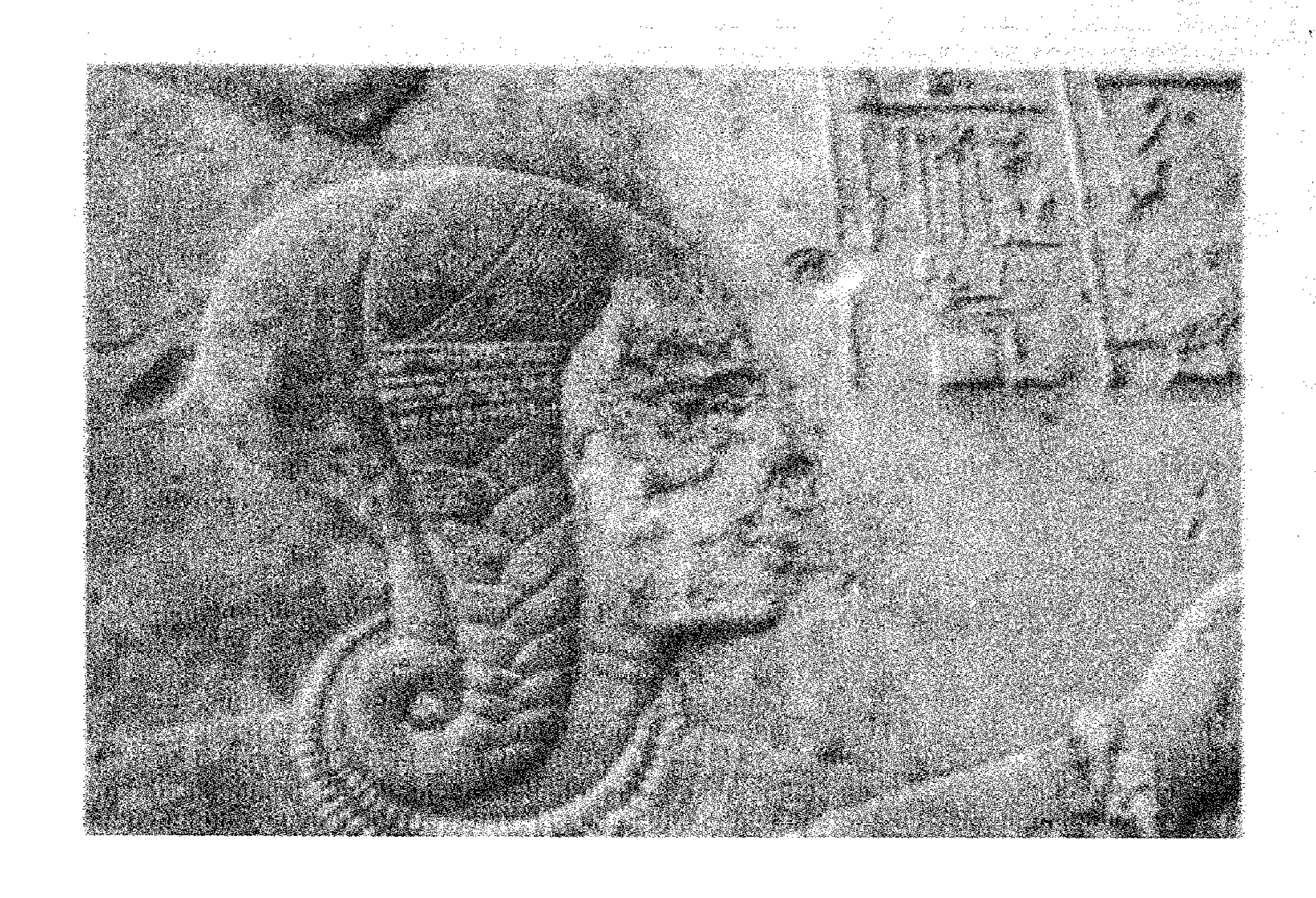
طول فترة حكم سيتى غير معروفة بدقة، لكن كل التقديرات تشير إلى أنها كانت بين ١٥ و ٢٠ عاما. عند موته دفن بمقبرته فى وادى الملوك، وهى من الآثار المزينة الرائعة لكنها تعانى بشدة من تأثير البيئة. تابوت سيتى الالباستر الخارجى يوجد الآن فى متحف الأستاذ "جون سوان" ربوع لينكولن ، لندن، وتوجد مومياؤه فى متحف القاهرة .

رمسيس الثانى ١٢٧٩ -١٢١٢ ق.م.

أمراء الأسرة ١٨ نادرا ما كانوا يصورون على الآثار، باستثناء ابن تحتمس الثالث "أمنمحات" وولى العهد تحتمس فى حكم أمنحتب الثالث. يوجد عدد من مناظر الطقوس تجمع سيتى الأول بوريثه "رمسيس" فى معبد أبيدوس، خاصة عند قراءة القائمة الطويلة للملوك القدماء الذين قدمت لهم القرابين.

أكد الملك سيتى منزلة ولده بين العامة وتلى ذلك تعيينه نائبًا. فترة عمله كنائب غير محددة لكن بعد وفاة أبيه ظل رمسيس الثانى فى الحكم حوالى ٦٧ عاما، وهى أطول فترة حكم موثقة عرفها التاريخ المصرى.

اهتم الملك اهتمامًا كبيرًا بأعمال البناء فى السنوات الثلاث الأولى من حكمه المستقل الذى يحسب منذ وفاة والده على عكس كل الملوك السابقين واللاحقين الذين عملوا كنواب. ذهب الملك فى رحلة نهرية استغرقت أربعة اشهر من عامه الأول من طيبة، حيث قضى فترة بعد وفاة سيتى الأول فى التخطيط لأعماله الجديدة إلى شرق الدلتا، حيث العاصمة الجديدة "بيراميس" (بيت رمسيس)، التى تقع على جزء من مكان أفاريس الهكسوسية القديمة. فى الطريق توقف عند أبيدوس وأمر بإكمال معبد والده الذى توقف العمل به منذ وفاته.

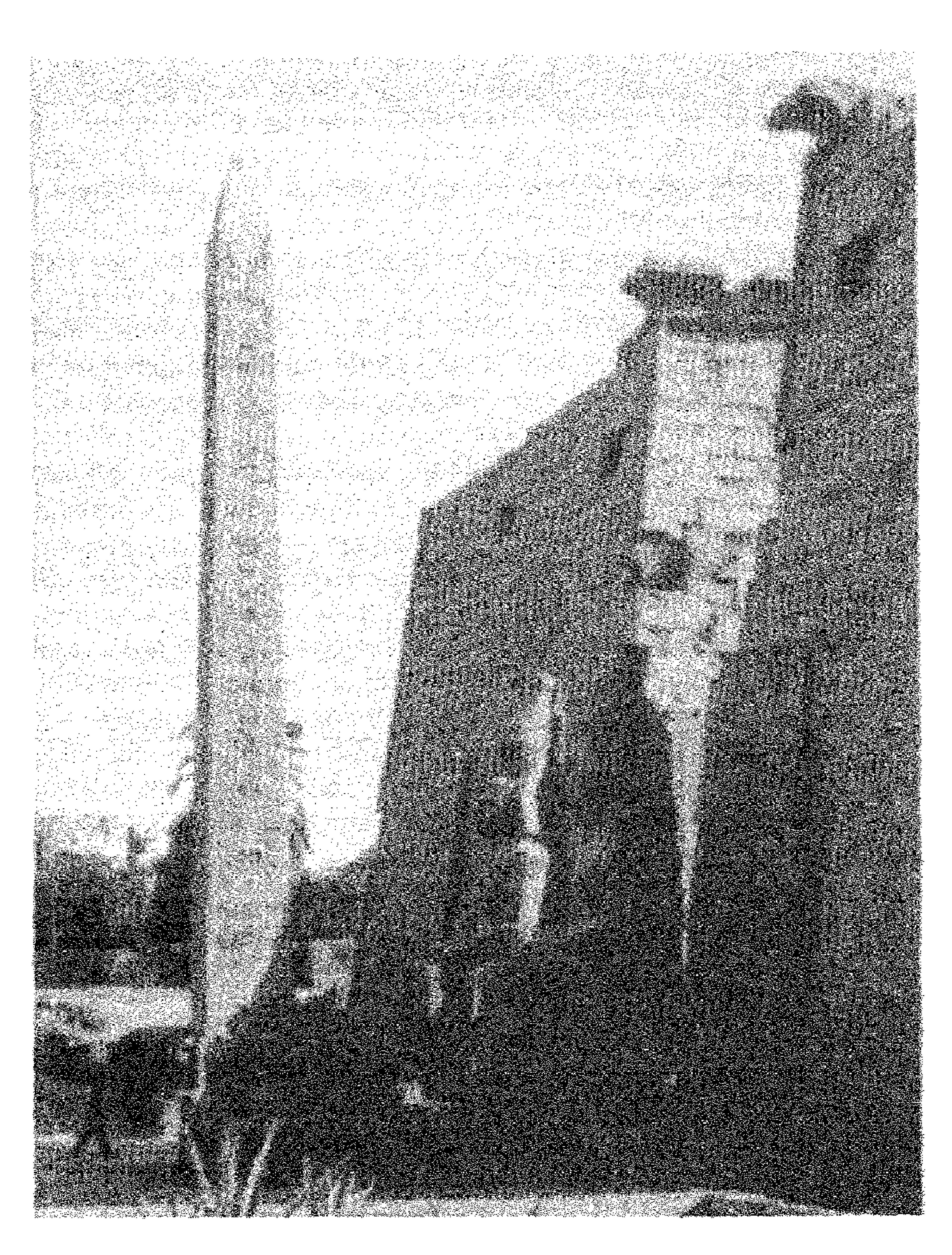


الشكل ٤٢. رمسيس الثانى عندما كان ولى العهد (معبد سيتى الأول بأبيدوس).

كثير من أجزاء معبده الخارجية تمدح عمل رمسيس الثانى، والزخارف تظهر جيدا الفرق بين المستوى الفنى القديم الجديد. استخدمت النقوش العميقة البسيطة بدلا من النقوش الرقيقة الضعيفة لأن السرعة والكمية كانتا أهم من الجودة فى أعمال مصر والنوبة قديما. نشطت أعمال البناء بطيبة حيث القاعة الأساسية وصرح معبد الأقصر الذى بناه أمنحتب الثالث واكتملت فى العام الثالث وانتظرت الزخرفة.

بدأت حملات رمسيس على سواحل البحر المتوسط (المشرق) عام حكمه الرابع، وقد اكتسب إقليمًا كان ضائعا أثناء حكم سيتى الأول. مؤسسا بذلك نقطة انطلاق لاقتناص قادش التى اعتبرت دائما مفتاح مصر للسيطرة على سوريا. لسوء حظ رمسيس كان الحيثيون مقتنعين تماما بأحقيتهم فى المدينة، فتجمع جيش كبير بقيادة الملك "مواتاليز الثانى" لمواجهة المصريين.

غادر رمسيس إلى سوريا فى العام الخامس على رأس جيش مكون من أربعة أقسام على أسماء الآلهة (آمون، رع، بتاح وست). وصل إلى جنوب قادش بعد شهر؛ لكن أقنعه اثنان من زعماء القبائل المحلية أن "مواتاليز" مازال بعيدا جدا فى الشمال عند منطقة "أليبو". فعسكر رمسيس بقسم الجيش آمون شمال غرب قادش على اعتبار أن العدو على بعد ٢٠٠ كيلومتر، وهناك أعد للهجوم فور انضمام أقسام الجيش الثلاثة الباقية.



الشكل ٤٣. صرح معبد الأقصر، مزين بمناظر لمعركة قادش. المعبد بدأه أمنحتب الثالث وأكمله رمسيس الثانى. المسلة التى كانت تقف يمين المدخل توجد الآن فى الكونكورد بباريس.

وبعد فترة قصيرة أُسر رجلان حيثيان وأكدا أن ملكهما ليس عند أليبو كما اعتقد؛ لكنه على بعد ثلاثة كيلومترات فى الجانب المواجه لقادش. أرسل رمسيس رسائله لقسمى الجيش رع وبتاح لتحذيرهما من الموقف وحثهما على السرعة، أما القسم الأخير ست فكان لا يزال بعيدا. فى هذه الأثناء لم يرسل الأمير "برحيرونمف" أى مقاتلين.

هاجمت عربات خيول الحيثيين قسم الجيش رع عند اقترابه من المعسكر الملكى. انكسرت صفوف المصريين وتحطم القسم وحام العدو حول الملك لمهاجمته وسط قسم آمون الذى سرعان ما تشتت. لم ينقذ الموقف إلا سلسلة من الهجمات المضادة بقيادة رمسيس وفرق حراسه، وربما الأهم من ذلك هو وصول قوة مصرية مساعدة من الساحل السورى.

شعر الحيثيون بأن الانسحاب التكتيكى سيكون فى مصلحتهم، لكن سرعان ما فقدوا نظامهم وتحولت المعركة إلى معارك ضعيفة وفقدوا كثيرًا من الرجال والعتاد أثناء عبور نهر "أورونتس" الذى كان يفصلهم عن ملكهم مواتاليز وجنود المشاة. فى الوقت نفسه وصل قسم الجيش "بتاح" تاركا بذلك ميدان القتال فى يد رمسيس الذى دعمه وصول القسم الأخير "ست" عند الغروب.

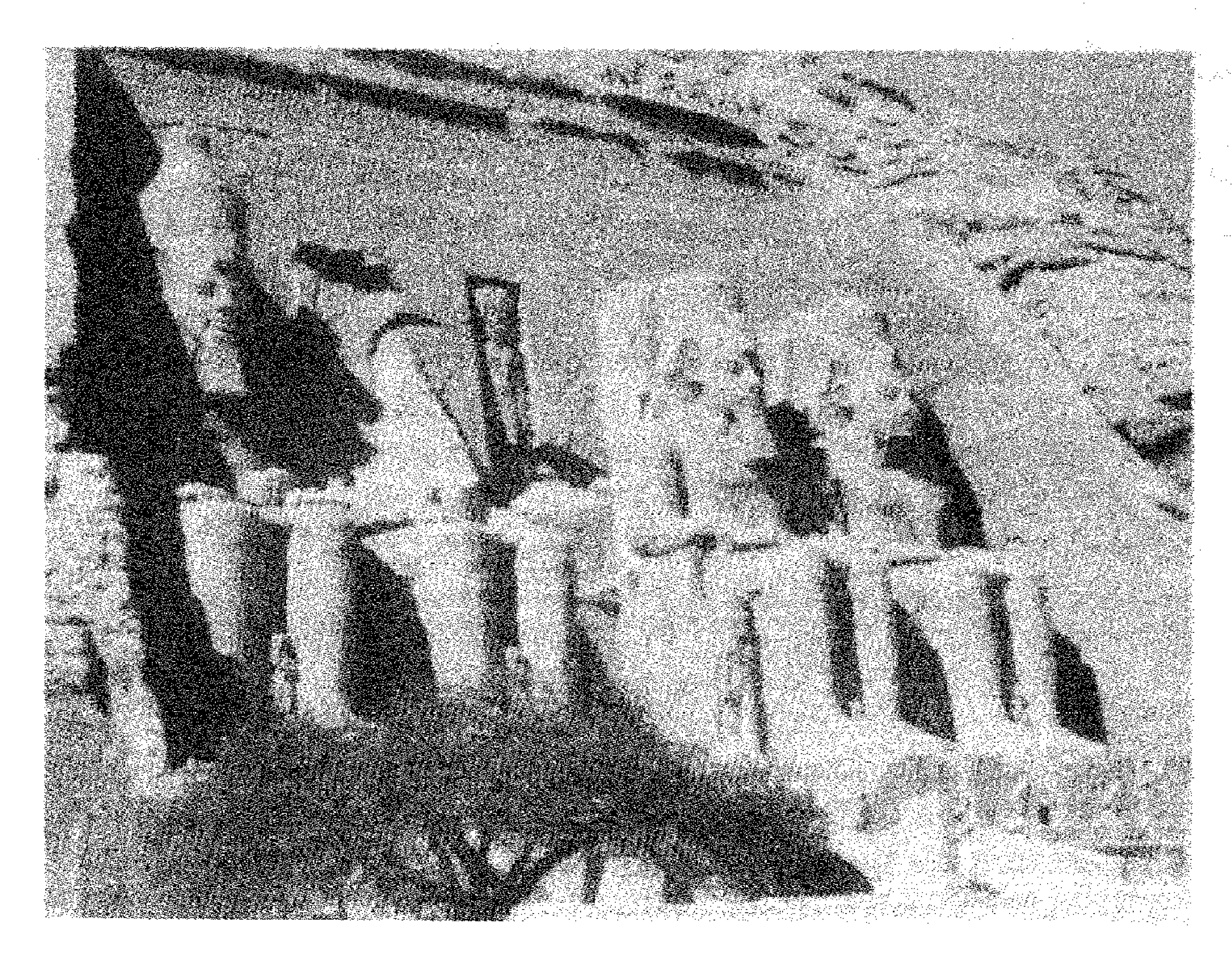
تجديد المعركة فى الصباح التالى أدى إلى جمود المفاوضات، فتقدم مواتاليز بطلب هدنة. قبلت الهدنة فى ذلك الوقت، وفى أوائل العام السادس من حكم رمسيس عادت القوات المصرية إلى الديار بعد فشلها فى الاستيلاء على قادش والأقاليم المحيطة بها. احتل الحيثيون لاحقا منطقة كانت خاصة بمصر، ومن الناحية الأخرى خابت مساعى الحيثيين بعد تغلب الآشوريين على حلفائهم "هانجالبات" أهم أجزاء دولة "ميتانيان" السابقة.

تغنى رمسيس الثانى بنتائج حملة قادش رغم ضآلتها. نقشت عدة نصوص على جدران معابد الملك المتعددة من بينها ما حفر على الصخرة الحية فى أبو سمبل بالنوبة.

تتابعت بعض العمليات العسكرية من العام السابع إلى العام العاشر بداية بالساحل السورى ثم توغلا فى أعماق أقاليم الحيثيين، وساعده على ذلك موت الملك مواتاليز الثانى وعدم استقرار خليفته "أورحيتشوب" (مورسيلس الثالث)، وعلى حدود مصر الغربية توقفت الهجمات الليبية المفاجئة بفضل بناء سلسلة من القلاع، فى الجنوب قامت حملة عسكرية فوق الشلال الثالث وبقيت الحدود الأخرى سالمة.

فى الشمال، شهد العام السادس عشر حركة انقلابية فى الدولة الحيثية حيث تولى "حاتسيلس الثالث" الحكم، ونفى أورحيتشوب، فشق طريقه إلى مصر. قوبل طلب الحيثيين بتسليمه بالرفض، وبدت الحرب وشيكة. لكن اقتراب الخطر الآشورى من "حاتسيلس الثالث" كان أقرب من الخطر المصرى مما جعله يفضل الخيار السلمى مع رمسيس.

فى العام ٢١ أُقرت معاهدة سلام رسمية بين القوتين وكتبت فى لوح فضى بالكتابة المسمارية، وحفظت نسخاً على ألواح طينية فى أرشيف الحيثيين "boghazkoi" وأخرى هيروغليفية فى معبد الكرنك، وتظهر هذه المعاهدة استمرار حكم قادش فى أيدى الحيثيين. ضمنت مصر حقها فى الوصول إلى حلفائها وشركائها التجاريين السوريين بموافقة كل من الطرفين على ميثاق أمنى متبادل ضد القوى الأخرى. أبرمت اتفاقية تسليم الأسرى وقد تضمنت بلا شك الملك "أورحيتشوب"، الذى كان سيؤدى بالتحالف إلى حافة الحرب. لم يتأثر "أورحيتشوب" بالمعاهدة، وبقى فى البلاط المصرى وكان هو سبب الاحتكاك بين الملكين.



الشكل ٤٤. المعبد أبو سمبل الكبير لرمسيس الثانى، وهو منحوت فى جبل من الحجر الرملى.

الاتفاق على المعاهدة كان بالاتفاق بين الملكين وزوجاتهما "بودوخبا" و"نفرتري" اللتين تبادلتا الهدايا كالعادة الدبلوماسية القديمة. بعد اثنى عشر عاما أقيمت مفاوضات زواج ابنة "حتوسليس الثالث" الكبرى من رمسيس الثانى فى العام ٣٤ من الحكم كمفهوم آخر عن العلاقات العالمية، ووصلت العروس إلى مصر لتكون الزوجة الثالثة الرسمية للملك متخذة اسمًا مصريًا جديدًا وهو "ماحورنفرور".

لقبت سيدتان بلقب الزوجة الرسمية فى بداية حكم الملك وهما: "نفرتري" المذكورة سابقا و"استنوفرت A"، ولا يوجد ما يدل فى أصليهما على وجود دماء ملكية. وعلى الرغم من وجود كسرة من أثاث مقبرة نفرترى تشير إلى علاقتها بالملك "آي" السابق. فكانت نفرترى الأكثر شهرة كما فازت بشرف معبد خاص محفور فى الصخر فى أبو سمبل أصغر نسبيا من قدس أقداس الملك الضخم الواقع على بعد عدة

أمتار جنوبا. توفيت سريعا بعد ٢٤ عاما ودفنت فى مقبرة رائعة بوادى الملكات، وتظهر مرسومة هناك على خلاف عادة الفن المصرى بخليط من اللون الوردى. أحد الأمثلة القليلة الشهيرة هى رأس الملكة "نفرتيتي" فى برلين الابنة المتعارف عليها للملك "آي": وقد يرتبط هذا مع كسرة "آي" التى وجدت فى بمقبرة نفرتيري؟

عمرت الملكة "استنوفرت" بعد الملكة السابقة حوالى عشرة أعوام، وقد توليا وظائفهما "كزوجات الملك الرسمية" ابنتهما البكر "مريت آمون" ابنة نفرتيتى و"بنتآنات" ابنة استنوفرت" واسم الأخيرة اسم كنعانى. انضمت لهما فى العام ٣٥ "ماحورنفرور" الحيثية ثم بعد ذلك انضمت أختهم "نبتاوي". كانت "نبتانات" زوجة حقيقية لأبيها تماما مثل اللقب. لكن غير واضح ما إن كانت هذه الحالة هى حقيقة ما يحدث دائما فى زواج الأب وابنته كما شاهدنا سابقا فى حالات مثل حالة أمنحتب الثالث وسيت آمون.

أنجبت نفرتيتى واستنوفرت الكثير من الأولاد بالإضافة إلى ما أنجبته جوارى الملك الأخريات ووصل عدد أبنائه حوالى ١٥٠ تقريبا. وحمل سلسلة من الأبناء لقب الوريث أو الأمير المتوج بداية من "أمنحرونمف" المسمى فيما بعد "أمنحركوبشف A". بعد موته تبعه شقيقه الأصغر "ست حركوبشف"، "رمسيس" و"خامواست" قبل "مرنبتاح" الذى نجح فى الوصول للعرش بعد وفاة والده.

كان الأمير "خامواست" الأكثر شهرة بين أشقائه، وزاحم والده فى ذاكرة خلفائه. استمرت شهرته لآلاف السنين بعد وفاته لحكمته ومهارته السحرية، وقد حفظت لنا البرديات اليموطيقية من العصر البطلمى والرومانى قصصًا عنه مازالت تعالج فى الأدب الحديث. تشابه قدره مع قدر الأمير "تحتمس B" (راجع الفصل العاشر- ملوك الشمس): كان مرتبطًا كثيرا بمدافن الثور أبيس، وقد حمل لقب الأمير المتوج والكاهن الأعلى لبتاح لفترة، وفى النهاية سبق والده إلى الموت حارمًا مصر مرة أخرى من فرعون عظيم القدرات.

هناك ادعاء أن خامواست كان أول عالم مصريات،. النقوش توضح أن المصريين فى الدولة الحديثة اهتموا أيضا بماضيهم، ومن المعروف أن خامواست اكتشف تمثال "كاواب" ابن خوفو ووضعه فى المعبد بنقش مناسب. كما نقش على حجارة الأهرامات أسماء وألقاب مالكيها. ويبدو أن هذا العمل كان يتم دائما عندما كانت تهدم الآثار القديمة لإعادة استخدام حجارتها. يعتبر عمل خامواست فى هذه الحالة مشابها للأثريين المنقذين الحديثين الذين وظفوا لتخفيف أثر أعمال البناء المرتبطة بالتقدم.

عرفت كثير من أسماء وألقاب أعضاء الإدارة. تولى منصب وزير مصر السفلى بنجاح كل من "برامسو" "سيتي" "براحوتب" و"براحوتب الثاني". كما تولى زملاؤهم فى مصر العليا "باسر" (وهو معروف على وجه الخصوص؛ لأنه ابن الكاهن الأعلى لآمون "نبنتجرو" ثم أصبح فيما بعد كاهن آمون الأعلى) و"نفررنبت الأول". كهانة آمون العليا كانت فى أيدى "نبوننف" (الذى تشرف بامتلاك معبد جنائزى بغرب طيبة) ثم "ونفر" و"باسر" المذكور سابقا، "باكنخونسو" (الذى تولى منصب الكاهن المساعد الرابع والثالث والثانى لآمون بنجاح) وأخيرا شقيق الأخير "روما-توي" الذى بقى فى وظيفته حتى سقوط الملك الأخير "أمنمحات".

كانت وظيفة الكاهن الأعلى لبتاح فى ممفيس ورع فى هليوبوليس محجوزة للأمراء الملكيين فى كثير من فترات الحكم. "أعظم المحترفين" الذين اكتسبوا لقب كاهن ممفيس "باحمنتجر الأول والثاني"، ثم "مرنبتاح" و"هوي" والأمير خامواست، "رع حوتب"، "بتاح مخت" الأول و"نفررنبت" الثانى. آخر كاهن ربما كان "حوري" ابن الأمير خامواست، وبالطبع لولا وفاة والده لكان من بين المرشحين لورثة العرش. خلف الأمير "مرى آتوم A" كهنة هليوبليس باك وأمنموبت. بذلك وضعت أهم عبادتين رئيسيتين للشمال تحت السيطرة الملكية المحكمة أثناء منتصف فترة الحكم.

كان التحالف المصرى الحيثى قويا، وهذا ما تدل عليه رحلة الأمير المتوج "حيشمشاروما" إلى مصر، وهو نفسه الملك الملقب "تودخاليس" الرابع فيما بعد. وقد رتب الملك "حيثوسيليس" الثالث لزيارة دولية أيضا لكن لا يوجد ما يدل على حدوثها فعليا، وعلى الرغم من إرسال أميرة أناضولية أخرى إلى مصر كعروس لرمسيس الثانى.

شهد العام الثلاثون من الحكم احتفال اليوبيل المعتاد. أول الاحتفالات الأربعة عشر التى تمت بانتظام فى حياة رمسيس. الاحتفال الأول كان يتميز بأعمال البناء، وهو عنصر واحد من البرنامج البنائى الطويل الذى زاد به الملك على أى فرعون آخر. كثير من مواقع مصر تحتفظ لنا ببقايا من مبانى فترة حكم رمسيس الثانى إما مبانٍ جديدة أو إضافات لمبانٍ كانت موجودة سابقا. من أروع مواقع المعابد بعيدا عن أبو سمبل وأبيدوس والأقصر هناك هليوبوليس، ممفيس (حيث بنى معبد بتاح الجديد) هيراكليوبوليس، انتنو، أشمونين، أخميم، مشايخ، كبتوس، الكرنك، الكعب، بيت الوالى، جرف حسين، وادى السباع، دير ونباتا والخمسة المواقع الأخيرة كلها فى النوبة.

المعبد الجنائزى غرب طيبة من أهم وأعظم أعماله أيضا وهو والمعروف اليوم باسم معبد الرامسيوم، وهو من أكبر المعابد وقد نقش صرحه بوصف لحملة قادش وزينت ساحاته بكثير من التماثيل العديدة والضخمة جدا. أحدها هو "ممنون الأصغر" والموجود حاليا بالمتحف البريطانى بينما بقايا الأخير خالدة فى قصيدة "لشيلي" بعنوان "أوزيمانداياس" (الدمار الكلاسيكى لرمسيس الثاني):

"...قابلت مسافرًا من الأرض القديمة

قال: حجرين ضخمين لهما أرجل وبلا جذع

يقفان فى الصحراء، جوارهما على الرمال

يستلقى وجه مكسور نصف غارق، وقانط

وشفاه المجعدة تسخر من السلطة الباردة.

يخبرنا أن الذى نحته يقرأ بحب تمثاله

الباقى إلى الآن مترجلا على هذا الجماد

اليد التى سخرت منهم والقلب الذى أطعم

وفوق قاعدة التمثال تظهر هذه الكلمات

"اسمى هو "أوزيماندياس" ملك الملوك

انظر لأعمالى.... كم هى قوية ويائسة !"

لا شيء باقٍ حولها...... حول الموت

من الحطام الهائل .. والتجرد بلا حدود

حيث الرمال وحيدة مترامية........................"

أعوام الملك الأخيرة حيث وصل إلى سن التسعين كانت مليئة بمشاكل صحية، من بينها مشاكل فى الأسنان والتهاب المفاصل وتصلب الشرايين. وافته المنية أخيرا فى عام حكمه السابع والستين ٦٧، ثم استقر رمسيس الثانى فى مقبرته التى أعدها منذ زمن بوادى الملوك. المقبرة اليوم عبارة عن حطام حزين بفعل الفيضان ولم تحتفظ بأى شيء مما كان بلا شك أفضل تجهيز للمقابر الملكية. مثل معظم ملوك الدولة الحديثة نقلت المومياء حيث وجدت بعد ذلك فى مقصورة الدير البحرى فى تابوت كان يخص جده رمسيس الأول.

أقام مراسم جنازة رمسيس الثانى ولده الثالث عشر وأكبر الموجودين على قيد الحياة مرنبتاح، وكان فى سن الخمسين أو الستين وقتها، وكان قد أصبح الوريث الأول بعد وفاة أخيه خامواست قبل ذلك باثنى عشر عاما. لابد أنه مارس كثيرًا من مظاهر الملكية أثناء فترة حكم والده الأخيرة. فقد استعد للعرش لو أنه لم يتوقع فى هذه السن الحكم لفترة طويلة مثل فترة رمسيس الثانى والده!

الفصل الثانى عشر

أعداء الرعامسة

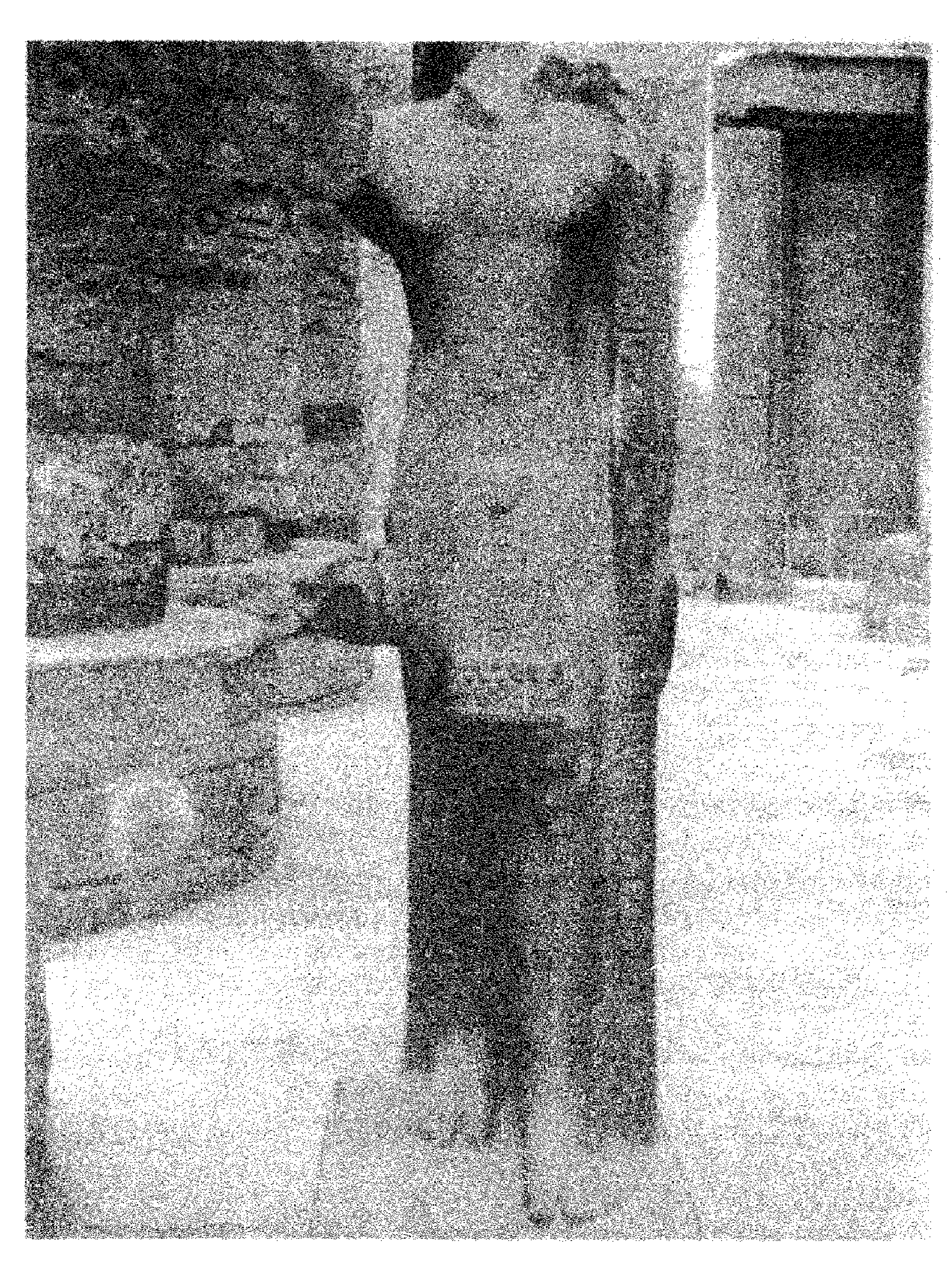
سيتى الثانى وأمنمحات

١٢٠١- ١١٩٥ ق.م.

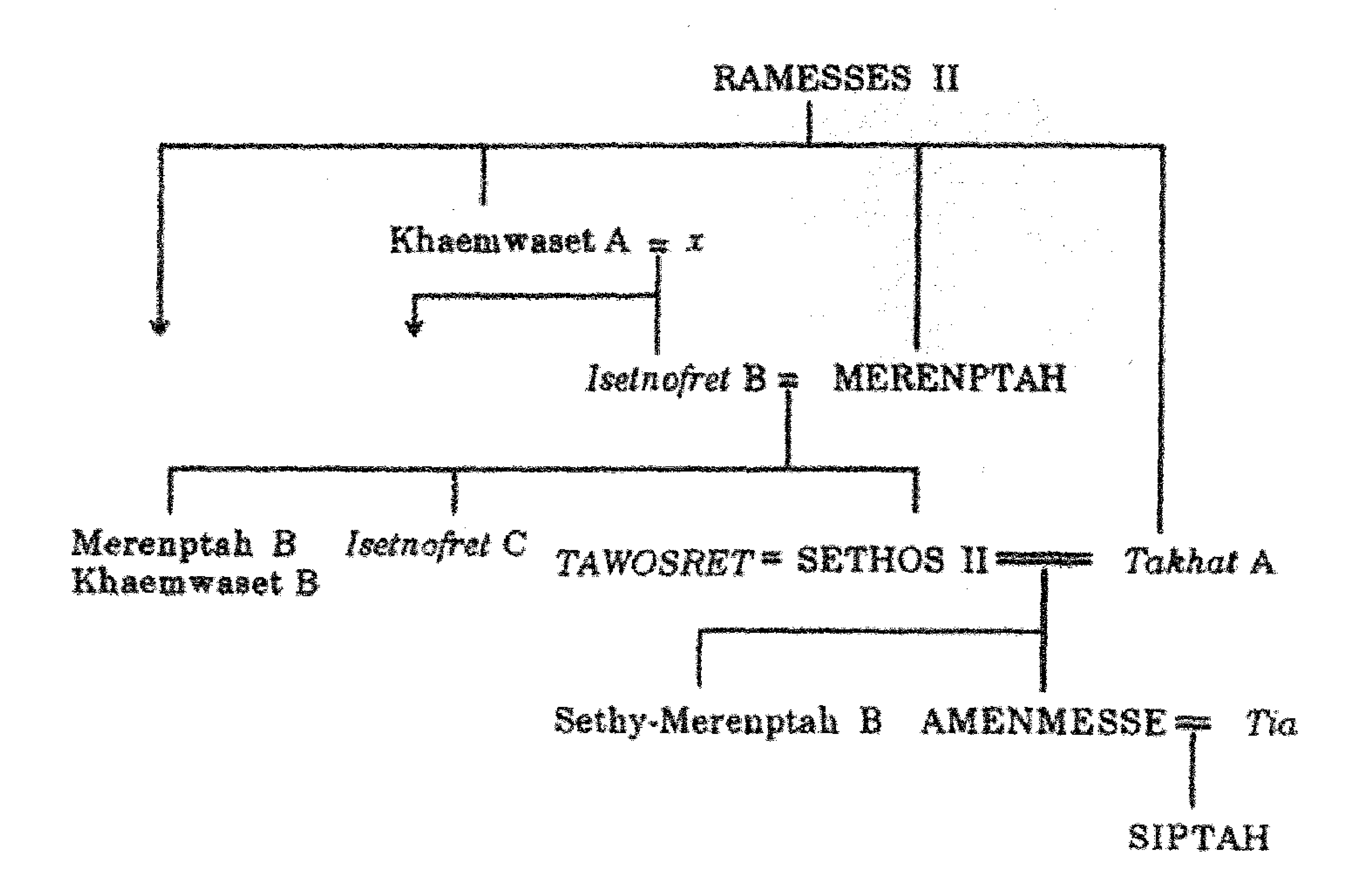
تولى مرنبتاح الحكم كخليفة لرمسيس الثانى لمدة عقد تقريبا. وقد كانت فترة مليئة بالأحداث خاصة غزو "شعوب البحر" وهم عبارة عن تحالف الليبيين مع شعوب البحر المتوسط وكان ذلك فى العام الخامس من الحكم. كانت هناك أعمال سلمية أيضا مثل إرسال سفن محملة بالقمح إلى الحيثيين لمساندتهم فى مواجهة المجاعة هناك، وهذا يوضح قوة التحالف بين المصريين وشعوب الأناضول فى ذلك الوقت.

كان الأمير "سيتى مرنبتاح A" هو ولى عهد الملك مرنبتاح ومن ألقابه: الكاتب الملكى، كبير القواد والأمير المتوج وكلها موجودة على عدد كبير من تماثيل أبيه، وفى مشاهد المعارك أيضا حيث كان مرنبتاح كبير السن وكان ولى العهد هو المسئول الحقيقى. عند موت مرنبتاح اعتلى "ستى مربنتاح A " العرش وغير لقبه ل "سيتى الثاني" وكان فى سن الخمسين. بدأ العمل فى مقبرته بوادى الملوك، وقد وجدت بعض الوثائق التى تعود إلى عامى حكمه الأول والثانى فى أرشيف دير المدينة. وفى تحول مفاجئ اختفى الملك سيتى الثانى من تسجيلات طيبة وحل محله الملك "أمنمحات".

كثرت المناظرات والمناقشات عن أصل الملك أمنمحات ومركزه بالضبط فى الأسرة ١٩ السابقة. بالنسبة للمسألة الأولى، فهناك ما يدل على أنه ابن الملك سيتى الثانى من زوجته الرسمية "تاخات" وهى ابنة صغرى لرمسيس الثانى فتكون بذلك عمة زوجها. ويتضح أيضا أنه خدم الملك مرنبتاح كحاكم لـــ"كوش" باسم "مسوي": نجد له صورة فى "أمادا" بالنوبة تظهر اليوريا مضافة إلى حاجبيه.



الشكل ٤٥. تمثال من الكوارتز للملك أمنمحات، الذى اغتصبه سيتى الثانى فيما بعد (بهو الأعمدة، الكرنك) رأس التمثال موجودة الآن فى متحف فن متروبوليتان، نيويورك.



الشكل ٤٦. رسم بياني للأسرة التاسعة عشر.

المنظر في الرسم البياني يظهر توليه الحكم المستقل بعد موت مرنبتاح، و أنه استولى على الحكم من والده بما أنه وريث سيتي الثاني كان "سيتي مرنبتاح B". فيبدو اقتناص أمنمحات للحكم محاولة للإحلال محل أخيه الأكبر في الخلافة خاصة وقد تقدم أبوه في السن. وإن كان الأمر كذلك فيبدو لنا أن محاولته قد نجحت جزئيا؛ لأن حكمه لم يمتد لأبعد من ممفيس شمالا لأنها مع الدلتا وموطن الأسرة في "براميس" بقيتا في يد سيتي الثاني.

يظهر أمنمحات بوضوح في طيبة وما حولها حيث بدأ في بناء مقبرته وتزيين معبد الكرنك بعدد من التماثيل الجيدة. كان الكاهن الأعلى القديم "روما روي" أحد مناصريه وكان يعمل في عدد من قدس الأقداس. ولم تكن سيطرته على النوبة مفاجأة إذا كان قد خدم بالفعل كحاكم قبل توليه، يظهر أمنمحات في مقصورة مقامة له في غرب "أمارا" وفي لوحة جدارية محفورة بالصخر في أبو سمبل.



الشكل ٤٧. الملكة "تاخات" زوجة سيتى الثانى ووالدة أمنمحات (كما يظهر على جانب التمثال المشار إليه فى الشكل ٤٥).

شهدت فترة حكم أمنمحات أحداثًا درامية كثيرة مع اتحاد العمال فى دير المدينة. تضمن ذلك رئيس العمال "نفرحوتب" وولده بالتبنى "بانب"، وكان الأخير حاد الطبع، فقد قام بالعديد من أعمال عنف ضد نفرحوتب وآخرين من أعضاء الاتحاد. لكن والده حاكمه بنجاح فى ساحة قضاء الوزير "أمنموس" وعانى من عقوبة قاسية على يد الوزير. لكن "بانب" انتقم بنجاحه فى إقناع الملك أمنمحات

بقتل الوزير رئيس الحكومة. بعد ذلك بقليل قتل نفرحوتب ثم توج بانب خطواته السياسية المميزة بانتخابه رئيس العمال واستمر فى الغش والاحتيال ينهب ويسرق حتى نقل من وظيفته عند نهاية الأسرة بعد حوالى عشرة أعوام.

انتهى دور أمنمحات غير المنظم فى عام حكمه الرابع، ظروف اختفائه من الساحة السياسية غامضة، لكن المؤكد أن سيتى الثانى استعاد السيطرة مرة أخرى على البلاد ثم قام بإزالة أسماء أمنمحات من كل مكان وجدت فيه. كما فقد كثيــر من الضباط والموظفين وظائفهم لولائهم للملك أمنمحات، ومن بينهم الكاهن الأعلى لطيبة "روما روي" الذى حل محله الأمين الملكى الأول "ماحوحي" لكنه سرعان ما اختفى وأخذ مكانه "منموس".

نسبت معظم آثار أمنمحات إلى الملك سيتى الثانى وندر احتفاظ معظم القطع بأى علامة عن أصل الخرطوش. أهم هذه الآثار هى القسم المعالج من مقبرة أمنمحات، فالمتوقع أن يشوه خرطوش وتمثال الملك السابق لكننا نجد النقوش الهيروغليفية قشرت من فوق الجدران تاركة لنا خدوش نصوص مقروءة بوضوح. ما لدينا هنا هو محاولة واعية لإزالة الآلية السحرية من المقبرة التى تسمح للملك المتوفى بالانتقال من هذا العالم إلى العالم الأخر. يعتقد أن أمنمحات قد دفن بالفعل فى مقبرته (اللا دينية بفعل التقشير) ونأمل أن تمكنا الحفائر المستمرة فى المقابر من إثبات صحة هذه النظرية.



الشكل ٤٨. تمثال من الكوارتز يحمل أسماء الملك سيتى الثانى. يعتقد أن هذه القطعة صنعت أساسا للملك أمنمحات وهى تبدو مكملة للتمثال فى الشكل ٤٥.

فى هذا الوقت كان سيتى الثانى مكتسبا للسلطة والقوة لكنه لم يحيا أكثر من عام أو اثنين وكانت له زوجة ثانية "تاوسرت" وهى سيدة مجهولة النسب تماما. وقد استأنف العمل فى مقبرته (رقم ١٥ بوادى الملوك) لكن المبنى ونقوشه لم يكتملا عند ما توفى فى الشهر الرابع "أخيت" فى عام حكمه السادس. ربما بسبب ذلك أو لسبب آخر دفنت المومياء باسم الملك الجديد "سبتاح" فى مقبرة "تاوسرت" ولم تظل هناك إلا فترة قصيرة قبل أن تنقل إلى مقبرة ١٥ بوادى الملوك وأخذت مقبرة تاوسرت لدفن "ست ناخت". وبعد حوالى قرن نقل جسد سيتى الثانى مرة أخرى ليستقر فى مقبرة أمنحتب الثانى حتى نقل إلى متحف القاهرة فى بداية القرن العشرين.

سبتاح وتاوسرت

١١٩٥ -١١٨٧ ق.م.:

بعد موت سيتى الثانى مباشرة برزت شخصية المستشار "باي"، ويبدو أنه من أصل سورى. حصل "باى" على اللقب الشرفى "رمسيس خامنجيرو"، وهناك احتمالان بالنسبة لولى العهد "سيتى مرنبتاح B" إما أنه توفى أو انه كان غير قادر على مزاولة حقوقه كوريث للعرش كما ادعى "باى". استطاع "باى" أن يثبت أقدام الملك الجديد على مقعد أبيه: وهذا الأب لم يكن سوى أمنمحات.

كان الملك الجديد هو "سبتاح"، لكنه كان مراهقا وفى حاجة إلى وصى ولم يستطع تولى "باى" هذا المنصب على الرغم من سلطته؛ لأنه من العامة. فكان المنصب من نصيب الزوجة الملكة الأرملة حديثا "تاوسرت". تأسست بعد ذلك حكومة ثلاثية بثبات فى إحدى نهايات وادى الملوك حيث تقع مقابرهم (الثلاثة) على بعد خطوات من بعضها البعض.

تظهر مومياء الملك عيبا فى قدمه اليسرى حيث تظهر فى وضع رأسى مع قصور فى العضلة وقد شخصت الحالة على أنها نتيجة شلل أطفال ينتج عادة عن عيب خلقى سببه خلل دماغى. فى بداية حكم الملك استخدم اسم "رمسيس سبتاح" لكن لسبب ما بدله سريعا باسم "مرنبتاح سبتاح" وغير لقبه أيضا فى الوقت نفسه.

هناك عدة آثار خاصة بالفرعون فى ممفيس وطيبة والنوبة. الأثر الأكثر تميزا لكن أصله غير محدد هو تمثال يظهر سبتاح فى حضن أمنمحات، وشكل الملك أمنمحات ربما قد أزيل بعد موت سبتاح.

الأعوام الأولى من حكم تاوسرت كانت تقليدية، حكمت تحت اسم الملك الشاب بالكامل. فى العام الخامس حدث تغير راديكالى عندما قلدت تاوسرت الملكة السابقة حتشبسوت بتبنى ألقاب فرعونية كاملة. وبدأ العمل فورا فى بناء قاعة دفن مناسبة لملكة حاكمة (بحجم ملكي) فى مقبرتها، وخططت للحصول على ناموس جرانيتى له شكل نصف إنسان جيد. لكنه فى النهاية استخدم لدفن أحد أمراء الأسرة العشرين فى مكان آخر.

توقف العمل فى غرفة الدفن هذه فى عصر أخيت الثانى العام السـادس. وفى الوقت نفسه توفى الملك سبتاح، وربما دفن فى مقبرته لكن بدون اسم!! لأن كل الخراطيش تبدو ممسوحة رغم ترميمها فيما بعد، وفى مقبرة تاوسرت المجاورة يظهر الملك فيها مع الملكة ولكن تبدلت أسماؤه مع أسماء سيتى الثانى.

عرف القليل عن العامين التاليين لحكم تاوسرت وحدهما. وقد وسعت مقبرتها لتكون فى حجم مقبرة فرعون فعليا بناموس ملكى (رجالى الشكل) جديد. وأقامت معبدًا جنائزيًا بالبر الغربى بطيبة. اكتملت المقبرة عند وفاتها أو اختفائها. ويبدو أن توليها السلطة قوبل بانشقاق تنامي ليصير حربا أهلية كان المستشار "باى" أحد أبطالها.

ظهر مشارك منتصر آخر لكن لفترة قصيرة هو "ستنا خت. انتصر باى وثبت مركزه رغم أن ظهوره آنذاك لا يتعدى استبداله لاسم سلفه سبتاح فى خراطيش المقبرة. ظل دوره مذكورا؛ لأنه وجد له مكانًا فى الأسرة التالية وعرف بـــ "السورى المعتدي". ثم اختفى من المشهد السياسى ويبدو أنه لم يدفن مطلقا فى مقبرته الملكية فى وادى الملوك لأننا وجدنا بغرف الدفن أميرين متأخرين أحدهما مدفون فى ناموس تاوسرت.

الفصل الثالث عشر

المدافع عن الجبهات

رمسيس الثالث

١١٨٥ -١١٥٣ ق.م:

أصل "ست ناخت" مؤسس الأسرة العشرين غير واضح. اقترن اسمه باسم الإله "ست" مما يقترح علاقة مألوفة بعائلة الأسرة التاسعة عشر التى يظهر تقديرها لـــ"ست" باستخدام الاسم غير المعتاد "سيتي". يعتقد أن "ست ناخت" هو حفيد رمسيس الثانى من أحد أبنائه الكثيرين.

كان "ست ناخت" قد تخطى منتصف العمر عندما تولى الحكم من الملكة تاوسرت وباى. كانت فترة حكمه قصيرة جدا بكل تأكيد؛ لأنه لم يتم حفر شيء من مقبرته رقم ١١ إلا ممرين والنصف وهى بوادى الملوك ولم يتزين منها سوى جزء بسيط عند وفاته. لذلك دفن الملك فى مقبرة تاوسرت وقد غطى شكل الفرعون الأنثى بالبلاستر واستبدلت بكتابة خطها عريض لخرطوشه.

خلفه على العرش ولده البكر رمسيس الثالث الذى كان يخدم والده كنائب. هناك مقصورة صخرية بالقرب من دير المدينة كرست لأسماء الملك مع مقبرة أخرى أخذها سيتى الثانى من أمنمحات لكنها استبدلت لتحمل خرطوش ست ناخت.

الأعوام الأولى من فترة الحكم الجديد قضيت فى إصلاح فوضى صراعات الأسرة ١٩ . فى العام الخامس ظهرت تهديدات قوية جدا للبلاد لتختبر صلابة آخر

فرعون وتثبت عظمته الحقيقية. أولها كان من اتجاه الغرب، فقد نجح مرنبتاح فى ردع هجمات العشائر الليبية منذ أكثر من ٢٧ عاما لكنهم عادوا إلى هجوم جديد على غرب الدلتا مدعين أنه بسبب التدخل المصرى فى سياستهم الداخلية. فى المعركة التالية نجحت قوات رمسيس الثالث فى قتل الآلاف وأسر الكثيرين أيضا. استمر تزايد السكان الليبيين بالتدخل السلمى فى غرب الدلتا إلى أن نجحوا فى الوصول لحكم مصر فيما بعد عن طريق سلسلة طويلة من الملوك. أما التهديد الثانى والأكثر حدة فكان بعد ثلاث سنوات:

"الدول الأجنبية تخطط فى جزرها والأراضى تغتصب وتتمزق فى المعارك. لا توجد أرض تستعصى عليهم: أرض الحيثيين، كود، كارشميش، أرزوا وقبرص(برقة) كلها ضاعت، وعسكرت قواتهم جنوب سوريا. لقد شردوا شعبها وجعلوا أرضها كأن لم تكن أبدا، يحملون النار أمامهم وهم قادمون إلى مصر..."



الشكل ٤٩. الملك رمسيس الثالث يقدم ماعت (الحقيقة) لآمون-رع (معبد الكرنك).

الخطر الائتلافى الذى أدى إلى تقسيم أهم المدن سوريا وأسيا الصغرى كان يتكون أساسا من شعوب منفصلة ربما خرجت من أرضها بسبب المجاعة آملة فى الوصول لأرض الشرق الغنية.

أتى معظمهم من منطقة بحر إيجة التى كانت تعانى من انهيار أهم مراكز الحضارة الميسناين Mycenaean، بالإضافة إلى موت الجزء الغربى من الإمبراطورية الحيثية بما فى ذلك مناطق "تروادة". بالتخلص من السيطرة المركزية أصبحت هذه الجزر المتنوعة والسياسات الساحلية طليقة العنان فى الساحة العالمية وقد كانت لفترة طويلة محكومة بمعاهدات مثل معاهدة رمسيس الثانى وحتوسيليس الثالث.

ظهرت نظم حكومية مؤقتة نتيجة تدمير مملكة الحيثيين العظيمة وبلاد سوريا القديمة. قامت بهجمات من البر والبحر ودمرت كثيرًا من حضارات العهد البرنزى القديم. ثم وصلت القوات الرئيسة للغزاة من قاعدتها بسوريا، وهم المعروفون الآن باسم "شعوب البحر" إلى الجنوب بالسفن مع عائلاتهم وتبعتهم عناصر مساندة برا على عربات تجرها الثيران.

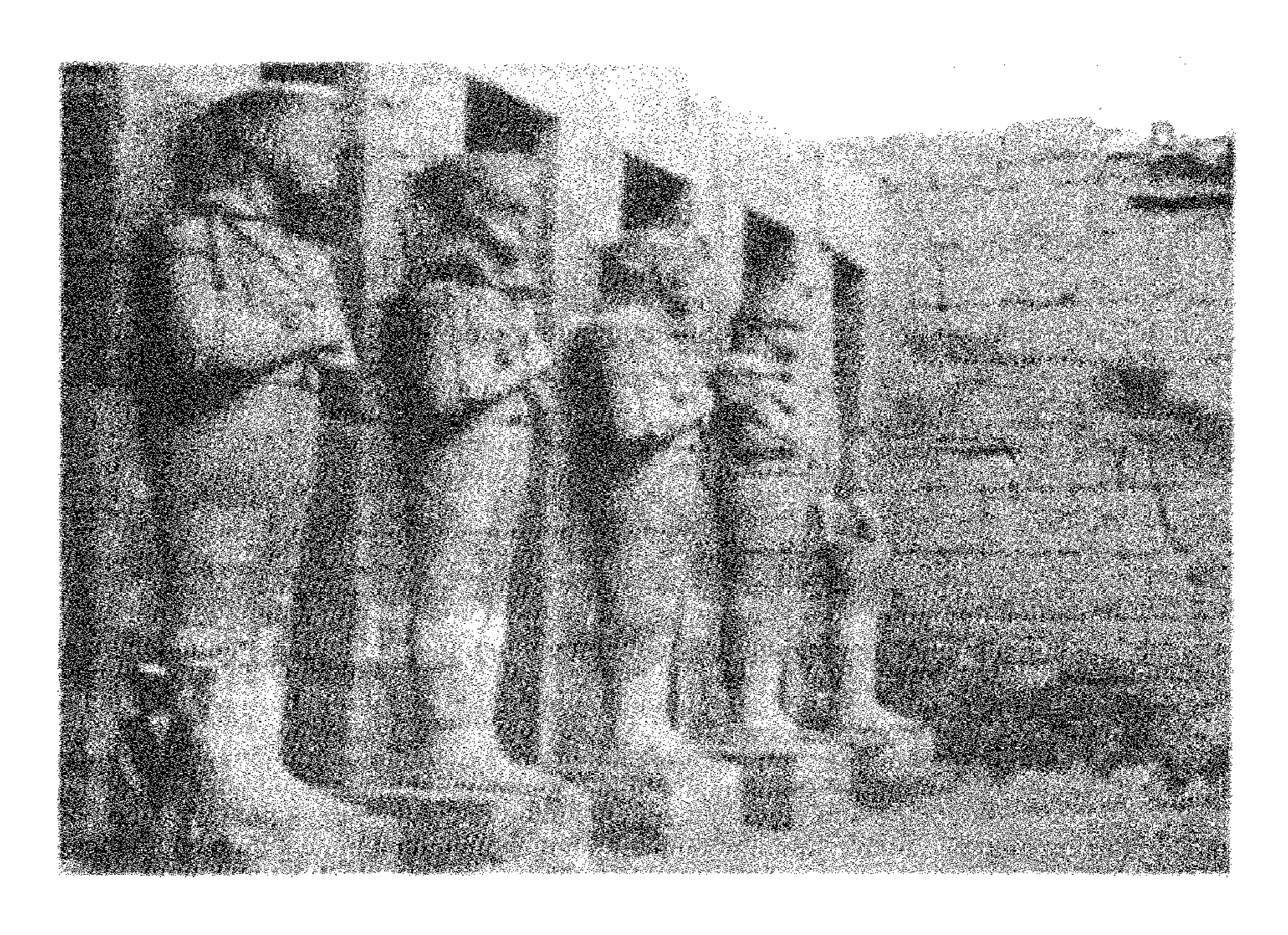
لمواجهة هؤلاء الغزاة أسس رمسيس الثالث خط دفاع جنوب فلسطين وأمن أفواه النيل بسوارى من السفن الحربية والمراكب التجارية. نجح رمسيس بقيادة القوات البرية فى هزيمة العدو، بينما انتصر المصريون نصرا ساحقا فى المعارك البحرية فى الدلتا وما حولها. استقرت بعض عناصر من الأعداء خاصة الهمج فى فلسطين لكن بعد ان تكسرت قواتهم وظلت مصر آمنة عند جبهاتها الشرقية. ربما حدثت حملة توسع فى سوريا وفلسطين للقضاء على العدو وتأكيد الوجود المصرى

هناك. من بين النصب التذكارية للحرب ضد شعوب البحر مبنى عظيم بنى فى مدينة "هابو"، وهو يحاكى بشكل كبير القلاع السورية أو "مجدول".

شهد عام الحكم الحادى عشر غزوًا آخر من ليبيا، ومرة ثانية ارتد العدو وقتل حوالى ٢٠٠٠ رجل ونفى القادة الأسرى. وعلى الرغم من أن ذلك أثمر ثبات السلام فى المنطقة إلا أن المشاكل استمرت خلال الأسرة بتزايد القادمين من الصحارى المحيطة بطيبة أكثر من الهجمات المباشرة على الدلتا. كما حدث تواصل أجنبى أكثر خصوصا إعادة التواصل بين شركاء مصر التجاريين القدماء فى بلاد "بونت".

مع إحلال السلام بعد أكثر من ستة أعوام من الصراع بدأت برامج بنائية ضخمة بالإضافة لزارعة الأشجار وتثبيت القوانين والنظام. فى الكرنك كان منصب الكهانة العليا منذ بداية الاسرة من نصيب "باكن خونسو الثانى"، وهو ابن القائد "أمنموبت" تليه فى الأسرة العشرين لحكم رمسيس الثالث "أوسرماترناخت" الذى بقى فى منصبه حتى وفاة الملك. زينت أبنية المعابد هناك بنقوش لا حصر لها وبنى معبدان جديدان؛ كُرس الأول لإله القمر "خونسو". استفادت مراكز مصرية أخرى من برنامج الملك البنائى مثل "بيرامز"، "آثريبس"،"هليوبوليس"، "ممفيس"، "أشمونين"،"أسيوط"، "أبيدوس" و"أدفو".

اتحدت الوزارة فى مصر العليا والسفلى بقيادة "تو" بعد تقسيمها لعدة أجيال، ربما نتيجة تمرد وزير فى مصر السفلى غير معروف الاسم أثناء الحكم. وأوكلت كثير من الوظائف الأساسية لأبناء الملك.



الشكل ٥٠. تماثيل رمسيس الثالث الأوزيرية فى واجهة ساحة معبده الصغير بالكرنك.

من الواضح جدا أن رمسيس الثالث كان امتدادًا عظيمًا لرمسيس الثانى، ليس فقط فى اللقب بل أخذ أبناؤه أسماء أبناء الملك السابق وتولوا المناصب نفسها أيضا. المثال على ذلك هو "خامواست C"، الذى أصبح كاهنًا مساعدًا لبتاح فى ممفيس مثل الأمير الشهير فى العصر السابق رغم أنه لم يرق أبدا لمنزلة الكاهن الأعلى.

كان لرمسيس الثالث زوجتان رسميتان، الأولى ظلت مجهولة أما الثانية فكانت "إست B"، وهى والدة أكبر أبناء الملك الباقين قائد القواد "رمسيس C" وسيد الخيول "أمنحركوبشف C". توفى كثير من أبناء الملك أثناء فترة حكم أبيهم ودفنوا فى وادى الملكات، وبقى على قيد الحياة اثنان من الأبناء، الأصغر سنا مشهوران جدا الأول سيد الخيول "ست حركوبشف C" وكاهن رع الأعلى بهليوبوليس "مرى أتوم B"، وبالإضافة لهؤلاء كان لرمسيس الثالث زوجات ثانويات ونسل كثير منهم أيضا، وهنا استقرت بذرة نهاية حكمه وحياته.

شهدت الأسرة العشرون مشكلات اقتصادية أدت للعجز عن دفع رواتب العمال بدير المدينة فانقطع العمل فى العام ٢٩، وأثمر ذلك عن تدبير مؤامرة على حياة الملك بهدف تولية الأمير "بنتاورت" العرش، وهو ابن الزوجة "تيا" وتجاهل الوريث الشرعى "رمسيس C".

أدت الفتنة إلى قتل الملك واشتعلت ثورة شعبية بعناصر سرية. وسرعان ما أخمد المخلصون هذه الثورة وأقيمت محاكمة برئاسة الملك الجديد "رمسيس الرابع" لعقاب المتآمرين الذين حكموا على أنفسهم بالموت كعلامة على رفعة مناصبهم.

دفن رمسيس الثالث فى مقبرته الضخمة بوادى الملوك وقد بنيت من أنقاض المقبرة غير المكتملة لـــ"ست ناخت" ودمج بها عدة مناظر منحوتة فريدة بالنسبة لمقبرة ملكية. المعبد الملكى الجنائزى يقع فى هابو، وكان نسخة من معبد رمسيس الثانى "الرامسيوم"، وهو أفضل ما بقى لنا من المبانى الجنائزية فى الدولة الحديثة وكان لسنوات عديدة مركز إدارة جبانة طيبة.

موت رمسيس الثالث كان رمزًا لانتهاء حقبة فى تاريخ مصر، وعلى الرغم من استمرار الخط الملكى فإن قيمة الدولة كلها قد ذهبت. ولم تحتل مصر مكانة عظيمة على الساحة العالمية كنفس كالمكانة السابقة نفسها التى احتلتها بقيادة سلسلة ملوك "تحتمس" والرعامسة. وذلك لأسباب عديدة، أولها، الثورة الميكانيكية (التقنية) للعصر الحديدى حوالى العام ١٢٠٠ ق.م. تاركة مصر خلفها لأنه ينقصها الاستغلال السهل لمصادر المعادن والمواد الخام. ثانيا، الحروب الأهلية خلال الأسرة التاسعة عشر وقد كسرت الوحدة بين شمال مصر وجنوبها بطيبة. وأصبحت السيمفونية المكررة لتاريخ مصر هى الصراع الخفى بين قسمى البلاد مانعة بذلك أية محاولة لوحدة قومية جادة.

الفصل الرابع عشر

الكهنة والملوك

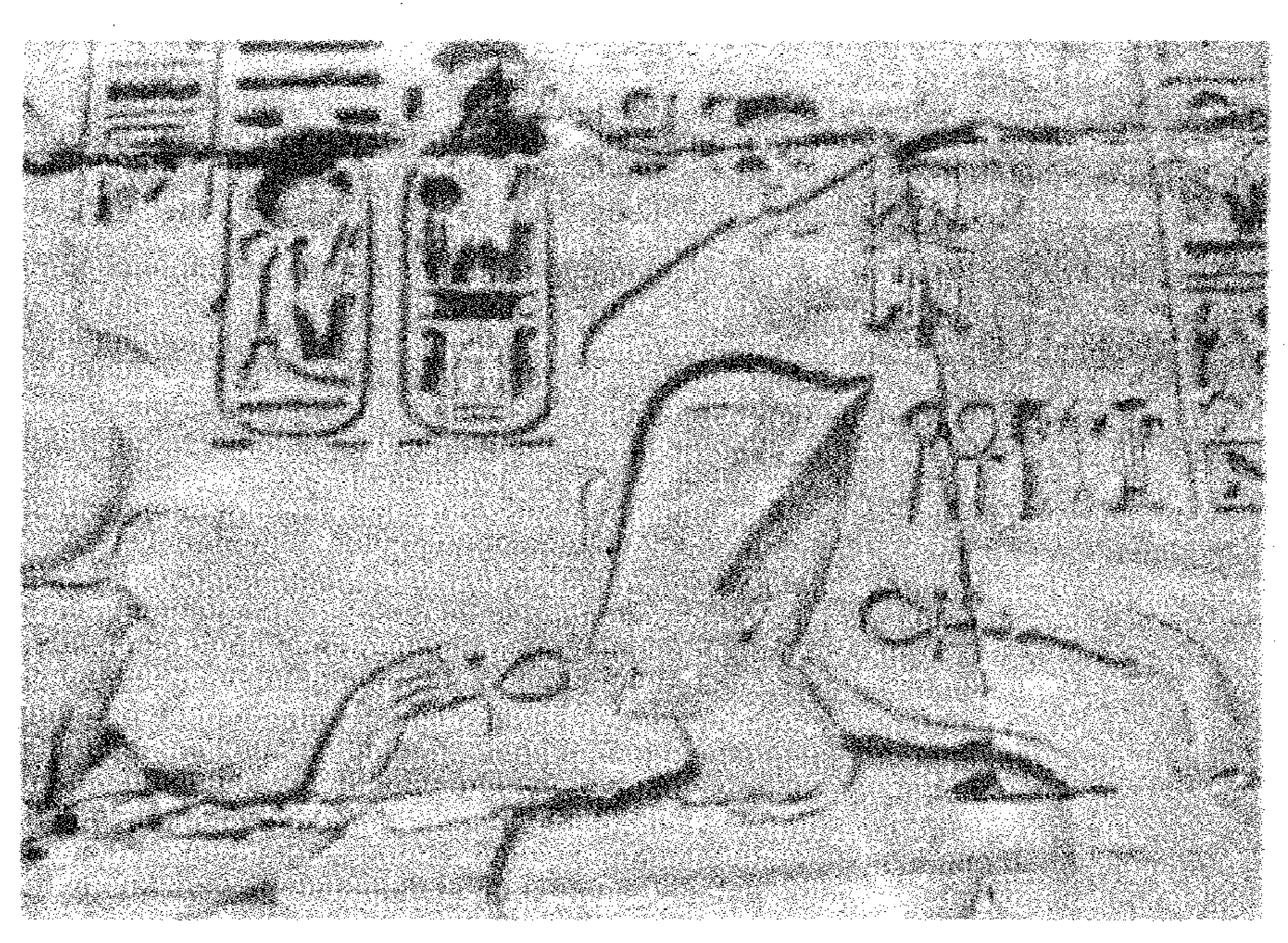
رمسيس الرابع، والخامس، والسادس، والسابع، والثامن والتاسع ١١٥٣ -١١٠٤ ق.م.:

لعب رمسيس الرابع دورًا مهمًا فى حكم مصر خلال الأعوام الأخيرة من حكم أبيه، وهناك نقش فى العام ٢٧ من مقبرة دير أبو النجا غرب طيبة، يصوره كمسئول عن تعين "أمنموبت" كاهن موت الأعلى بالكرنك. المؤامرة التى أنهت حياة رمسيس الثالث كانت بلا شك تشمل رمسيس الرابع أيضا. بردية "هاريس" تذكر لنا العقوبة القاسية على المتآمرين وإحياء ذكرى الملك القديم. الوثيقة عبارة عن قائمة بأعمال رمسيس الثالث الخيّرة خصوصا التبرعات لعبادته المقدسة، وهى واحدة من أكبر الوثائق الباقية.

تقدم رمسيس الرابع فى خطط البناء، كما تم التنقيب والتحجير الواسعة فى وادى الحمامات من أجل معبده الجنائزى الضخم، الذى لم يكتمل أبدا. قام رمسيس الرابع فى فترة مبكرة من حكمه بتغيير لقبه من "أسرمات رع -ستبن آمون" الى "هيكامات رع- ستبن آمون"، وبذلك تجنب الاختلاط بين ألقاب رمسيس الثانى والثالث وهما "أسرمات رع -ستبنر" و"أسرمات رع- مرى آمون".

يوجد دليل على حدوث صراع بحرى فى عام حكم الملك الثالث، وربما كان تهديدًا أخيرًا من ناحية شعوب البحر. فى الجنوب حكم النوبة "حورى الثاني" وهو ابن سمي(على نفس اسمه) نائب استمر فى العمل منذ عصر سيبتاح وسيستمر فى منصبه حتى حكم رمسيس السادس. ولا توجد أدلة على نشاطات رمسيس الرابع خارج حدود مصر.

ظلت الوزارة متحدة تحت رئاسة "نفررنبت". وعرف عن الكاهن الأعلى (مسئول المعبد) سفره الكثير فى البلد، وقد شارك فى اختيار موقع المقبرة الملكية "وادى الملوك ٢"، وهى المقبرة التى شغلها الملك سريعا. فى إحدى اللوح الجدارية بأبيدوس بذكر دعاء الملك رمسيس الرابع لتطول فترة حكمه مثل رمسيس الثانى لكن ويالالأسف كان عام حكمه السادس هو عامه الأخير.



الشكل ٥١. رع يهب الحياة للملك رمسيس الرابع (معبد خونسو بالكرنك).

حكم رمسيس الخامس كان قصيرا مثل حكم والده. رمسيس الخامس هو "أمنحركوبشف الأول" مات بمرض الجدرى فاحتل العرش الشقيق الأصغر لرمسيس الرابع (عمه) الأمير "أمنحركوبشف C" المعروف اليوم برمسيس السادس أو "أمنحركوبشف الثاني". أخذ الملك الجديد مقبرة رمسيس الخامس ودفن الأخير فى مقبرة أخرى بعد عام تقريبا من الوفاة. عرف عن رمسيس السادس أنه أخر الملوك العاملين فى مناجم الفيروز بسيناء. باستثناء تماثيله العسكرية ونقوشه فى الكرنك فلم يعرف شيء عن سياسته الأجنبية.

استمر سوء حظ الأسرة بعد موت رمسيس السادس بعدة أعوام. فقد مات حفيده "رمسيس" ابن ولده وخليفته "أيت آمون" (رمسيس السابع). لذلك تبعه ابن أخر لرمسيس الثالث وهو "ست حركوبشف C" (رمسيس الثامن). ثم تليه بفترة قصيرة أيضا ابن أخيه "خامواسيت D" ربما هو ابن "منتجحركوبشف B" من أبناء رمسيس الثالث الصغار.

حكم رمسيس التاسع "خامواست الأول" لمدة تسعة عشر عاما. امتلأت أعوام حكمه بمشاكل اقتصادية متنوعة ظهرت فى الزيادة الضخمة لسعر القمح منذ عهد رمسيس السابع حتى عهد رمسيس الحادى عشر. نتيجة إهمال القوانين والفوضى وظهرت أيضا فى أعمال السرقة والنهب فى جبانة طيبة، فنصوص محاكمة أشخاص متهمين بنهب كل من المقابر الملكية والخاصة هى من أهم الوثائق الباقية من هذه الفترة.



الشكل ٥٢. تمثال من الكرنك، صنع فى الأصل من أجل رمسيس الخامس، يظهر الملك يقدم شخصا إلى الإله آمون رع. اغتصبه رمسيس السادس فيما بعد، وأضاف نقوشا فظة (غير متقنة) وأشكال والدته "إست تاهمدجرت" وولده "بانبتكميت"، ويمكن مشاهدة الأخير فى المنظر.

بقيت لنا آثار قليلة من فترة حكم رمسيس التاسع فى وادى النيل وفى واحات الداخلة. فى هليوبوليس ولده "نبمات رع" المسمى على اسم ولقب رمسيس الرابع، أصبح الكاهن الأعلى لرع، بينما استمر "رمسيس ناخت" فى وظيفة الكاهن الأعلى لآمون وقد شغل هذه الوظيفة منذ فترة حكم رمسيس الرابع. تولى بعده "نس آمون" لكنه كان قصير الأجل وفى العام العاشر شغل "أمنحتب" الوظيفة.

فى مجموعة نقوش بالكرنك يظهر الكاهن فى نفس حجم ومقاس الملك، ويعد ذلك غريبا فقد كان يفترض أن هيئة "حورمحب" رغم ضخامتها تظهر بتصغير أمام هيئة الملك حتى ولو كان شابا صغيرا مثل "توت عنخ آمون"، لكن هكذا كانت طبيعة الأمور. دفن رمسيس التاسع فى وادى الملوك مثل ولده "منتجحركوبشف C" الذى ربما كان وريثه الأصلى. وجددت مومياء الملك فى الدير البحرى كآخر جسم ملكى عرف من الدولة الحديثة.

رمسيس العاشر والحادى عشر

١١٠٤ -١٠٦٤ ق.م.:

علاقة رمسيس العاشر "أمنحركوبشف الثالث" بأسلافه غير محددة، لكن كان يعتبر دائما ابن رمسيس التاسع. كانت فترة حكمه قصيرة وشواهده قليلة. عند البدء فى مقبرته رقم ١٨ بوادى الملوك خلفه سريعا آخر ملوك الأسرة العشرين رمسيس الحادى عشر "خامواست الثاني" ربما كان ولده. آثار الحاكم الجديد قليلة أيضا وبعيدة لكن هناك دليل واضح على حدوث كثير من الأحداث الدرامية فى العقد الأخير من حكمه.

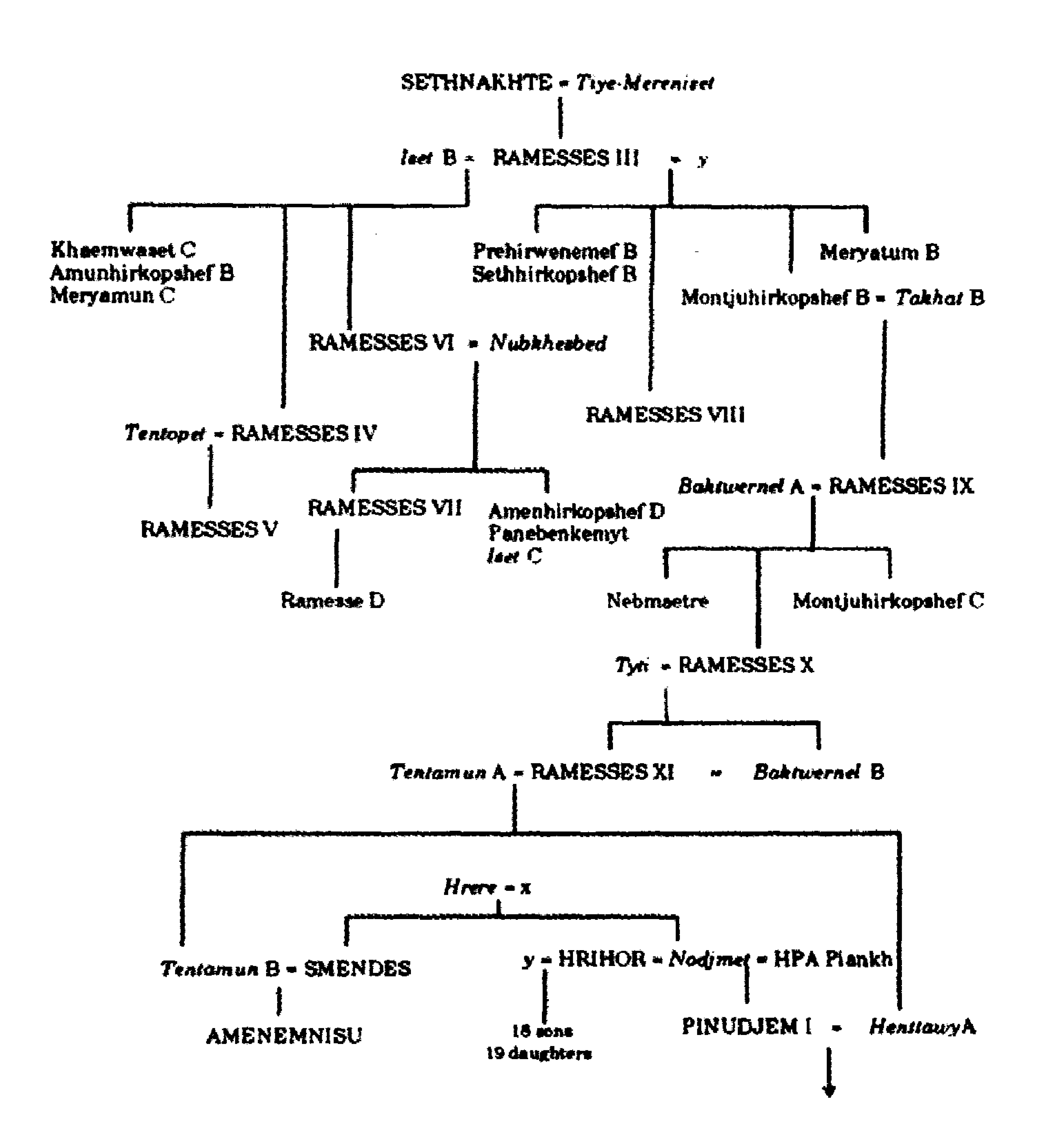
منذ عهد رمسيس التاسع عند تسلم "أمنحوتب" وظيفة الكاهن الأعلى لآمون، وقوته آخذة فى الازدياد، وربما يعود ذلك لطبيعة المنصب الرفيعة. شهدت فترة حكم رمسيس العاشر أو الحادى عشر حوالى تسعة اشهر لإخماد "أمنحوتب"، ومن الواضح انه كان انقلابًا شعبيًا عنيفا تضمن هجوما على مجمع المعابد الحصين لمدينة هابو.

سبب كل هذه المشاكل نائب النوبة "بانحسي" الذى سار شمالا إلى طيبة لاستعادة النظام. وقد تولى حكم النوبة وجنوب مصر لفترة من السنوات حتى أزاحه القائد "بيانخ". أعيد بانحسى إلى النوبة وبقى هناك، ويبدو أن ورثته هم المسئولون عن تأسيس مملكة النوبة الجديدة التى سنقابل منها آخر سلالة الفاتحين لمصر فيما بعد.

شغل بيانخ وظيفة كاهن آمون الأعلى مكافأة على دوره فى الحرب، وبذلك يكون قد وصل إلى سلطة دكتاتورية عسكرية مؤثرة لجزء كبير من مصر العليا. بعد وفاته بفترة قصيرة شغل منصبه "حرحور" الذى تزوج من أرملة بيانخ "نودجمت". وفى فترة قصيرة بدأ ينسب لنفسه تماثيل شبه ملكية واستخدم الخراطيش فى أعماله بمعبد خونسو بالكرنك. نيابة (حكم) بيانخ تميز بتأسيس تأريخ جديد للعصر، والمعروف باسم "إعادة الميلاد" بادئا بالعام"١" متماشيا مع العام التاسع عشر من حكم رمسيس الحادى عشر. استمر التأريخ حتى نهاية حكم الملك وموت "حرحور" أيضا فى الوقت نفسه، مما شهد إحلال ابن الأخير (ابن زوجته من بيانخ) لكل وظائفه وهو "بانجم الأول".

قضى رمسيس الحادى عشر معظم فترة حكمه بعيدا عن طيبة وسكن غالبا فى الشمال. قلة الاتصال الملكى مع المدن الجنوبية وتشتت الأعوام الماضية يظهر من حالة مقبرة رمسيس الحادى عشر غير المزينة، بعد أن قضى الملك ثلاثة عقود على العرش. كان "سيمندس" شقيق "نودجمت" قد تزوج من ابنة رمسيس الحادى

عشر وحكم الجزء الشمالى من "برامس" و"تانيس" وقد أظهر ذلك انكماش قوة الملك حتى فى الدلتا. أرسل "حرحور" "ونامون" على رأس حملة إلى لبنان لكن الأخير كان يرسل تقاريره وملاحظاته إلى سيمندس وزوجته "تنت آمون" ويلوذ بالصمت أمام ملكه رمسيس الحادى عشر الذى يسكن على بعد خطوات منه. عند موت آخر الرعامسة ورث لقب الفرعون زوج ابنته سيمندس.



الشكل ٥٣. رسم تخطيطى للأسرة العشرين وبداية الأسرة الواحد والعشرين.

بعيدا عن رمسيس الحادى عشر الذى لم يدفن قط فى مقبرته بطيبة، يبدو أن كل الملوك الرعامسة دفنوا فى وادى الملوك على الرغم من أن مقبرة رمسيس الثامن بقيت غير معروفة ومقبرة رمسيس العاشر مغلقة بالكامل تقريبا. مومياوات هذين الملكين ومومياء رمسيس السابع غير معروفة على الرغم من العثور على الباقين فى كشكين (خبيءتين) ملكيين وهما موجودان الآن فى متحف القاهرة.

باتجم الأول وبسيونيس الأول

١٠٤٩ – ٩٨١ ق.م:

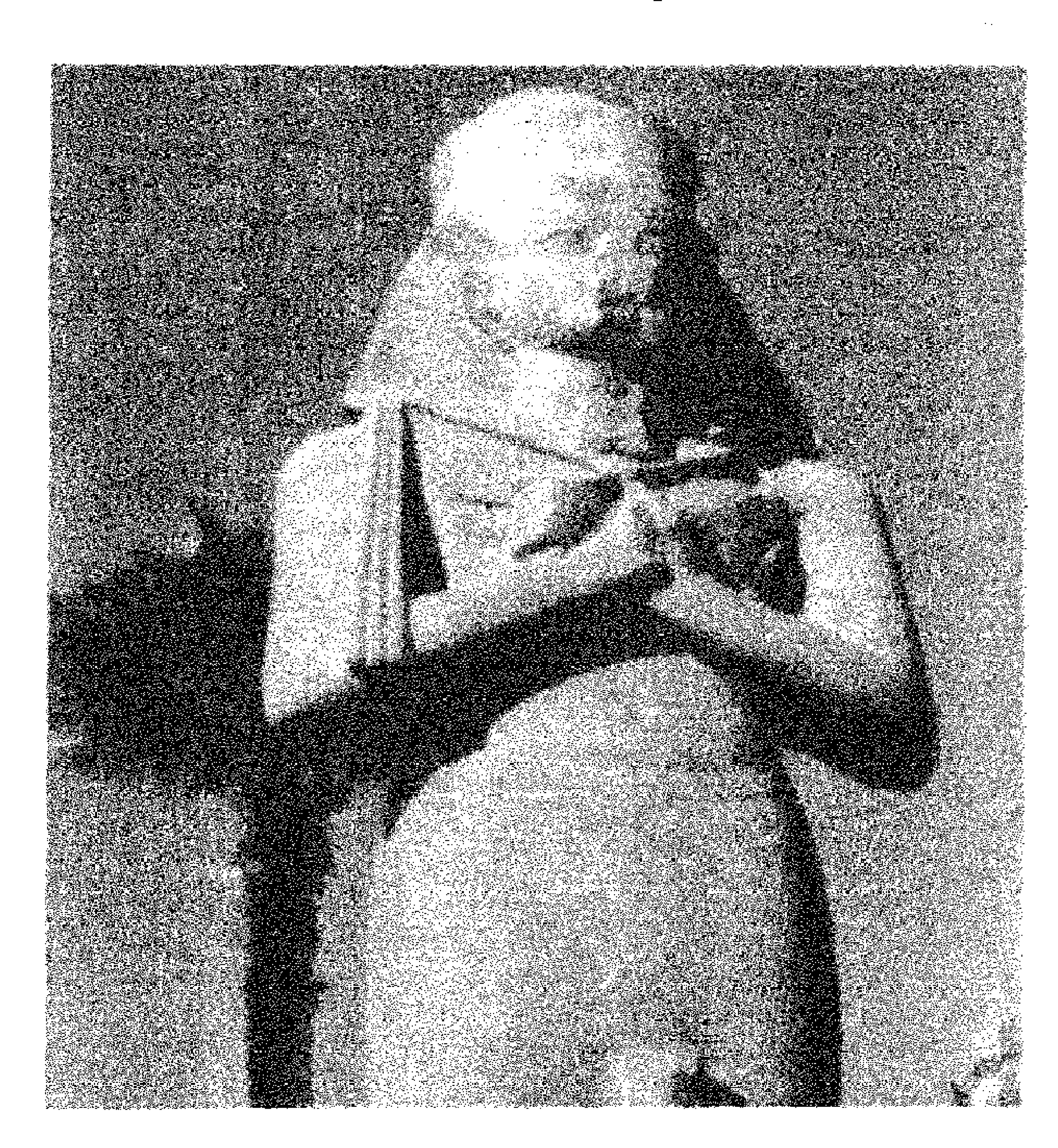
وصول بانجم الأول لمنصب الكهانة العليا تزامن مع تولى خاله سيمندس العرش. حكم الأخير من مدينة "تانس" ولم تكن مستقلة أول الأمر عن "براميس" لكنها سرعان ما استقلت بنفسها. عرفت للملك تماثيل بطيبة، وقد هجر نظام "إعادة الميلاد" بفضل سنوات حكم سيمندس. تأسس الاستقلال الجاد للكهنة الجنود بوضوح: خاصة أن تاريخ طيبة لم يسم أبدا اسم ملك "تانيت" الذى حكم فى هذا الوقت.

القانون الطيبى يبدو أنه هرب من شمال "الحيبا" إلى الجبهة الجنوبية وبعد طرد "بانحسي" استقر على بعد مسافة قصيرة من النوبة. وفى الشمال تقع مملكة الفرعون الحقيقية متمركزة فى الدلتا الجديدة العاصمة "تانيس" بالإضافة إلى العاصمة القديمة ممفيس. وعلى رأس حكومة طيبة ظهر بانجم بقدراته فى الحفاظ على المومياوات الملكية من خطر النهب كما اهتم بأعمال البناء عند قلعة الحيبا.

يمكن أن نقول: إن قسمى مصر كانا يعملان بشكل جيد، ولم نجد ما يثبت حدوث أى صراع. وحدث انقلاب رئيسى فى علاقة طيبة–تانيت حوالى العام ١٦ من حكم سيمندس. وظل بانجم لفترة من الوقت يدعى بألقابه العسكرية الكهنوتية، لكنه عمد إلى عدد من الآثار تظهره فى زى فرعونى رسمى. رغم وجود حالة واحدة تظهره فى عباءة الكاهن كأنها تدل على تردد بانجم فى اتخاذ قرار. فى العام ١٦ نراه يتخذ ألقابًا فرعونية كاملة، بينما استخدم حرحور أول كاهن جندى بطيبة

ألقابًا ملكية لكنها وجدت فقط فى مقاعد المعبد ولم يشر تابعوه إليها أبدا وكان لقبه "حمنتجرتبن آمون" الكاهن الأعلى لآمون. أما بانجم الأول على العكس استخدم لقبًا مناسبا وحافظ على كرامته فى عقول من سيأتون من بعده، لكنه فشل فى الاستقلال التام واستمر فى استخدام تقويم سيمندس الذى كان يعتبر نائبه.

ومما يدل أيضا على توليه الملك مرور وظيفة الكاهن الأعلى إلى ابنه "ماساحارتا" بينما كان بانجم لا يزال على قيد الحياة. مومياء ولده "ماساحارتا" تظهر منزلته العالية، ويعرف من بين مجموعة من التماثيل لأبى الهول فى المعبد العظيم بالكرنك والكتان المميز فى أغطية المومياء المؤقتة. لقد ثبت نفسه فى حكم طيبة على القسم الرئيسى بالحيبا وهناك سقط مريضا ومات حوالى العام ٢٤ بعد أقل من عقد فى وظيفة الكاهن الأعلى وقائد القواد.



الشكل ٥٤. تمثال ضخم يحمل اسم بانجم الأول أمام الصرح الثانى فى الكرنك. كما يحمل أيضا اسم رمسيس الثانى وهنا يكمن التناقض: فهل نحت التمثال لبانجم من أثر للملك القديم؟ أم أنه اغتصبه من رمسيس الثاني؟

أدى تعيين الجنود كهنة إلى وقوع مشكلة كبيرة بطيبة. الرجل الجديد "دجد خونسو فانخ" كان أحد أبناء بانجم لكن توليه كان قصير الأجل. ويعتقد أنه قتل فى أحداث العنف التى أدت إلى تولى أخيه الأصغر "منخبر رع" الكهانة عام ٢٥ والتقدم جنوبا إلى طيبة لتحرير الأرض وقتال الأعداء. كما تسجل لنا لوحة جدارية نفى الكثير من المتورطين إلى الواحات الغربية، سيتم استدعاؤهم بعد أعوام قليلة كجزء من تسوية منخبر- رع النهائية للصعوبات بطيبة. هذا الاستدعاء حدث فى حكم خليفة سيمندس الذى توفى فى العام ٢٦ من حكمه ودفن فى تانيس وكان خليفته المباشر ابنه "أمنمنسو" الذى شارك بسيبونيس الأول فى عرش تانيس قبل العام الرابع من الحكم.

بوجود بسيونيس تكون عائلة بيانخ قد اكتسبت السيطرة على مصر كلها، فهوابن بانجم الأول من زوجته "حنتاوي" التى ربما كانت ابنة رمسيس الحادى عشر، ومن هذا المنطلق نرى الملك بسيونيس يكتب اسمه "رمسيس-بسيونيس". الآثار المعروفة خارج تانيس قليلة، وأهمها مقصورة إيزيس المتصلة بهرم زوجة خوفو. ويبدو أن بسيونيس هو الحاكم المسئول عن تحويل تانيس إلى عاصمة كبيرة، وقد أحاط معبدها بسور طوبى ضخم، قدس الأقداس المكرس لعبادة آمون مبنى من كتل صخرية منقذة من مدينة براميز السابقة، كثير منها عليه أسماء أخر بانى للمدينة "رمسيس الثاني"، بما فى ذلك المسلات التى أعيد تنصيبها بدون نصوص تعريفية. نتيجة وجود هذه المسلات فى تانيس ظلت معروفة خطأ لفترة طويلة بأنها "بارميس" وأفاريس". من بين مبانى بسيونيس مبنى متصل بمبنى والده الكهل فى ذلك الوقت.

توفى بانجم فى العام السابع من حكم بسيونيس ودفن فى طيبة فى تابوت يعود لتحتمس الأول. أنقذ التابوت من السرقة فى مقبرة تحتمس بوادى الملوك وأعيد تصنيعه وذُهِّب بشكل فنى كما صنع له غطاء آخر. استخدام هذا التابوت القديم الذى يبلغ عمره أربع مائة وخمسين عاما من أجل بانجم لا يفاجئنا، لأن هناك أدلة قوية

على اهتمام بانجم "بالفراعنة التحتمسيين". ابنه "منخبر-رع" يحمل اسم ولقب تحتمس الثالث العظيم وابنته زوجة الإله آمون (رئيسة الكهنة السيدات) "ماتكارع"، وقد زخرف هذا اللقب خرطوش حتشبسوت نفسها منذ أربعة قرون سابقة.

هناك ما يدعونا إلى الاعتقاد بأن بانجم فكر جيدا فى الاستيلاء على مقبرة رمسيس الحادى عشر غير المكتملة فى بداية سنوات ملكه. بقيت المقبرة الحقيقية لبانجم غير معروفة، وفى النهاية استقر التابوت والمومياء فى كشك (خبيئة) الدير البحرى، لكن وياللأسف مكان الجثة الحالى غير محدد، وربما فقدت بطاقة التعريف الخاصة به خلال نقل المتحف المصرى.

يبدو أن الأخوين بسيونيس الأول ومنخبر-رع كانا فى سن واحدة لأنهما توليا مناصبهما بالتوازى لمدة نصف قرن. أكمل الكهنة الجنود عمل والدهم على أبراج وأسوار الحيبا. كما صنعوا الكثير لحماية المواقع المقدسة بطيبة من الكفر (الالحاد) المتزايد. آخر شاهد لـــ منخبر-رع فى العام ٤٨ من حكم أخيه ويبدو أنه توفى بعدها بفترة قصيرة وتولى ابنه "سيمندس الثاني" الكهانة.

تزوج بسيونيس الأول من شقيقته "موتنودجمت" والسيدة "وياي" لكن لم يعرف له غير طفلين ابنته هى "استمخب C" التى تزوجت عمها منخبر-ع. يوجد ولد آخر هو "رمسيس عنخ فنموت" الذى سقط فى الخزى كما يتضح من إقصاء اسمه من نقوش غرفة دفنه.

يوجد تمثال مهم فى قاعة "تانيس" للقائد "مندجباندجد" الذى تولى إلى جانب ألقابه المدنية والعسكرية منصبًا مهمًا فى نظام الملك الدينى. هذا المركز ضمن له أن يدفن فى مقبرة الملك نفسه. هناك رجل شهير آخر هو "أمنموبت" خليفة بسيونيس يعتقد أنه ولد الملك البكر لكن لا يوجد دليل على ذلك. ربما أنه ولد فى فترة مبكرة من الحكم وفى مقتبل عمر بسيونيس الأول، الذى عانى من شلل المفاصل قبل سنوات من وفاته.

بنيت مقبرة بسيونيس الأول خارج طريق بوابة معبد آمون فى تانيس، وتتكون من عدد من الحجرات بنيت فى كهف أو حفرة ثم غطيت فيما بعد وأحيطت بمقصورة جنائزية من الطوب. بنيت حجرات خاصة لــ"موتنودجمت" و"عنخ فنموت" بعيدا عن "ونجبانجد" والملك. دفن بسيونيس مغطى بقناع ذهبى ورقائق من الذهب النقى فى تابوت من الفضة داخل تابوت جرانيتى مأخوذ من إحدى مقابر ملوك طيبة الأسرة ١٩. ثم ناموس جرانيتى رائع هو الأخر قطعة مستعملة مأخوذة أيضا من وادى الملوك. استخدم فى الأساس كحاوية داخلية "لمرنبتاح" لثلاثة نواميس، دُمر الزوج الخارجى عند استخراجه.

وجد "بيير مونتت" المقبرة عام ١٩٣٩ وأثبت أنها أمنت السرقة. دمر الندى معظم البقايا العضوية لكن أنقذت المصوغات والأعمال المعدنية وظلت بقايا جثة الملك المتوفى لأعوام فى القسم التشريحى بمستشفى قصر العينى بالقاهرة.

الفصل الخامس عشر

ارتفاع وسقوط الفراعنة الليبيين

شاشانق الأول

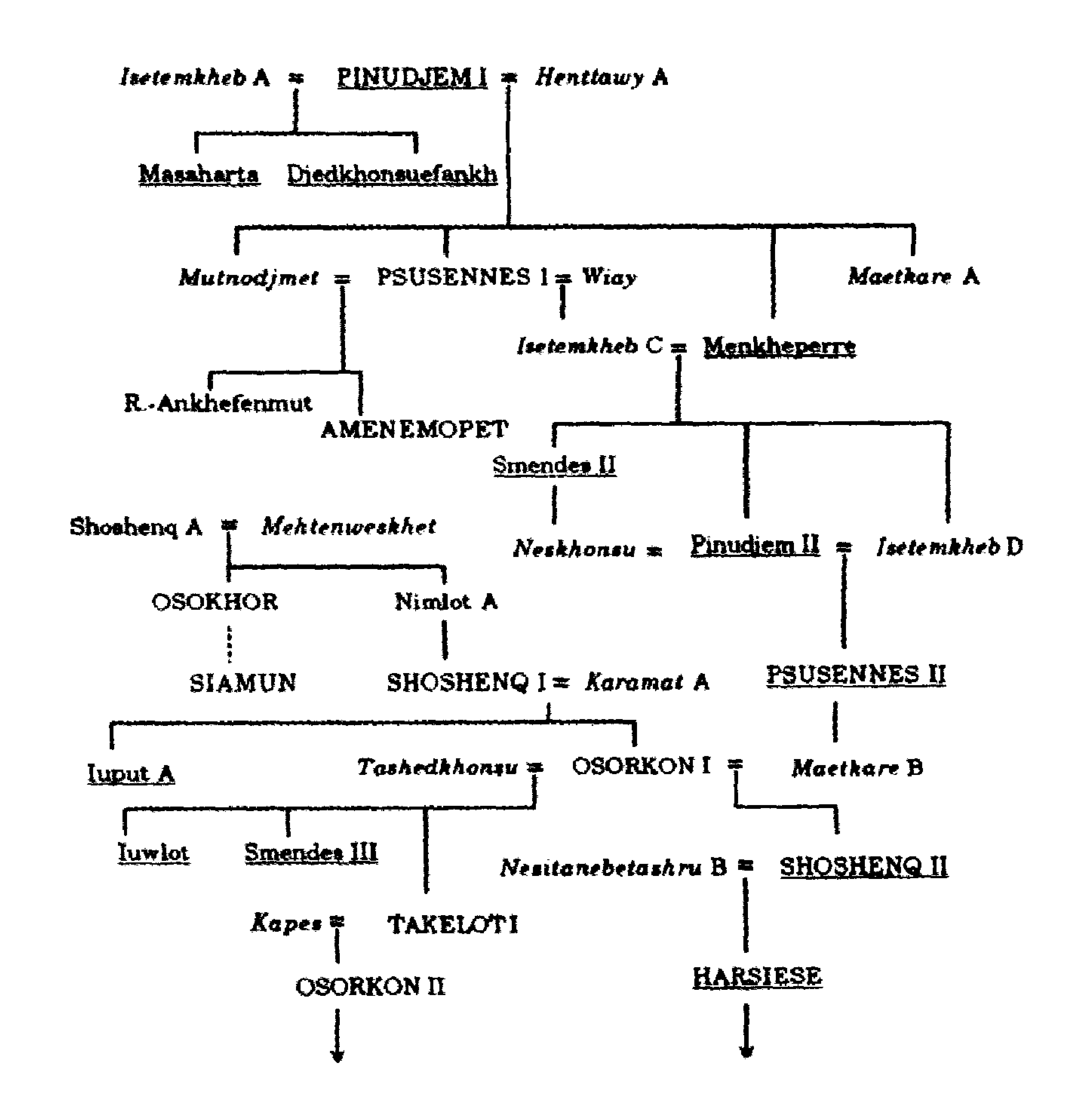
٩٤٨ - ٩٢٧ ق.م

من المسلم به أن "أمنموبت" هو ابن بسيونيس الأول لكن حدث انقطاع مفاجئ فى خط الأسرة بعد وفاة أمنموبت. كان الخليفة التالى هو "أوسركون" ابن الرئيس الليبى لــ"ما أو مشويش" واسمه "شاشانق A" والسيدة "محتوسخت". كان ظهوره الأول عام ١٩٧٧ وقد أشير إليه باسمه اليونانى "أوسرخور" لتجنب تغير أسماء الملوك القدماء باسم "أوسركون".

تفسير هذا الظهور الليبى على عرش "تانيس" غير واضح. وكان الليبيون أعداء مرنبتاح ورمسيس الثالث لكن لا يوجد دليل على حدوث أعمال عنف، فضلا عن أن الأسرة التى نتحدث عنها كانت قد سكنت مصر لعدة قرون وتميزت بأسماء وألقاب سلالتها. من المحتمل أن تكون عائلة حرحور احتوت على دماء ليبية بما أن عددًا من نسلها من أبناء الكاهن القائد حملوا أسماء ليبية وهم "أوسركون" و"مساقاحرتا" و"ماساحرتا" على اسم ابن "بنودجم الأول" وخليفة الكاهن الأعلى لآمون.

بعد موت أمنموبت تولى الحكم سلسلة من رؤساء مصر العليا أبناء "منخبر-رع" الكاهن الأعلى "سيمندس الثاني" و"بنودجم الثاني" وابنه وخليفته "بسيونيس الثاني". كانت فترة حكم أوسرخور قصيرة تليه "سيامون" وصلة قرابته غير معروفة، فاسمه المصرى الصميم لا يحتاج إلى الاعتماد على أبيه، فكما ذكرنا

سابقا أن عائلة حرحور احتوت على خليط من الاسم والنوع فى أحد الأجيال، فيبدو أنه عضو من الفرع الطيبى تولى الحكم بعد موت أوسرخور. تميز حكم سيآمون بزيادة نشاط نائب طيبة فى إنقاذ المومياوات الملكية القديمة من لصوص المقابر المجموعة الآن فى مجموعتين أو ثلاث داخل وخارج وادى الملوك.



الشكل ٥٥. رسم بيانى للأسرات الواحدة والعشرين والثانية والعشرين (أسماء كهنة آمون العليا تحتها خط).

الأحداث التى تلت موت سيامون مباشرة غير معروفة. أعلن الكاهن الأعلى "بسيونيس الثاني" أسماء وألقابا ملكية كاملة لكن غير واضح إن كان قد تولى رسميا الخلافة بعد سيامون أو كان مجرد نائب كما كان "بنودجم الأول". يبدو أن الرأى

الأخير هو الصحيح لأن خليفة سيامون على العرش كان الرئيس الأول لــ"ما" "شاشانق B" ابن شقيق الملك "أوسوخو" ومؤسس الأسرة الثانية والعشرين. قد يكون شاشانق تولى بعض السلطة الملكية أثناء حياة سيامون لأن هناك نصًا من الكرنك يذكره كرئيس فقط لكن أيضا ينسب له عام حكم ثانٍ.

أثناء رئاسته لــ"ما" التى قد تكون قاعدتها فى "بوباستس" فى جنوب شرق الدلتا، طلب شاشانق الأول من الإله آمون إذنا ببناء معبد "أبيدين" لوالده "نملوت ا" كما هو مسجل على لوحة جدارية من المدينة. ثم تولى استعادة سلطة الملك بوضع نهاية لاستقلال الجنوب تحت رئاسة الضباط الكهنة. ارتقاء بسيونيس الثانى لمرتبة الملكية كان نهاية خط الملوك القديم في طيبة، والذى قوى بزواج ابن ووريث شاشانق "اوسركون" من ابنة بسيونيس "ماتكا رع B". تمكن الملك الليبى من تعيين ابنه "إوبوت" كاهن آمون الأعلى. وهذه الرابطة الأبوية أوقفت تطلعات الكهانة العليا لاستقلال الجنوب. لكن إوبوت أكمل العادة القديمة بربط وظيفة الكاهن بالضابط فقد تولى قيادة الجيش ثم حكم مصر العليا فيما بعد.

أحد واجبات إوبوت فى طيبة كان حماية المومياوات الملكية من مخاطر لصوص المقابر. وصلت إحدى مجموعات الجثث لقدرها الأخير من بينها مقبرة "أمنحتب الثاني" بوادى الملوك والأخرى ذات حجم هائل نقلت بعد عام من حكم شاشانق الأول الحادى عشر من مخبئها إلى معرض كبير جنوب الدير البحرى مباشرة (تى تى ٣٢٠) وقد كانت منذ سنوات قليلة مخصصة لمقبرة الكاهن الأعلى "بنودجم الثاني" وعائلته. هناك بقيت المومياوات حتى اكتشفها اللصوص الجدد عام ١٨٧١ بعد الميلاد.

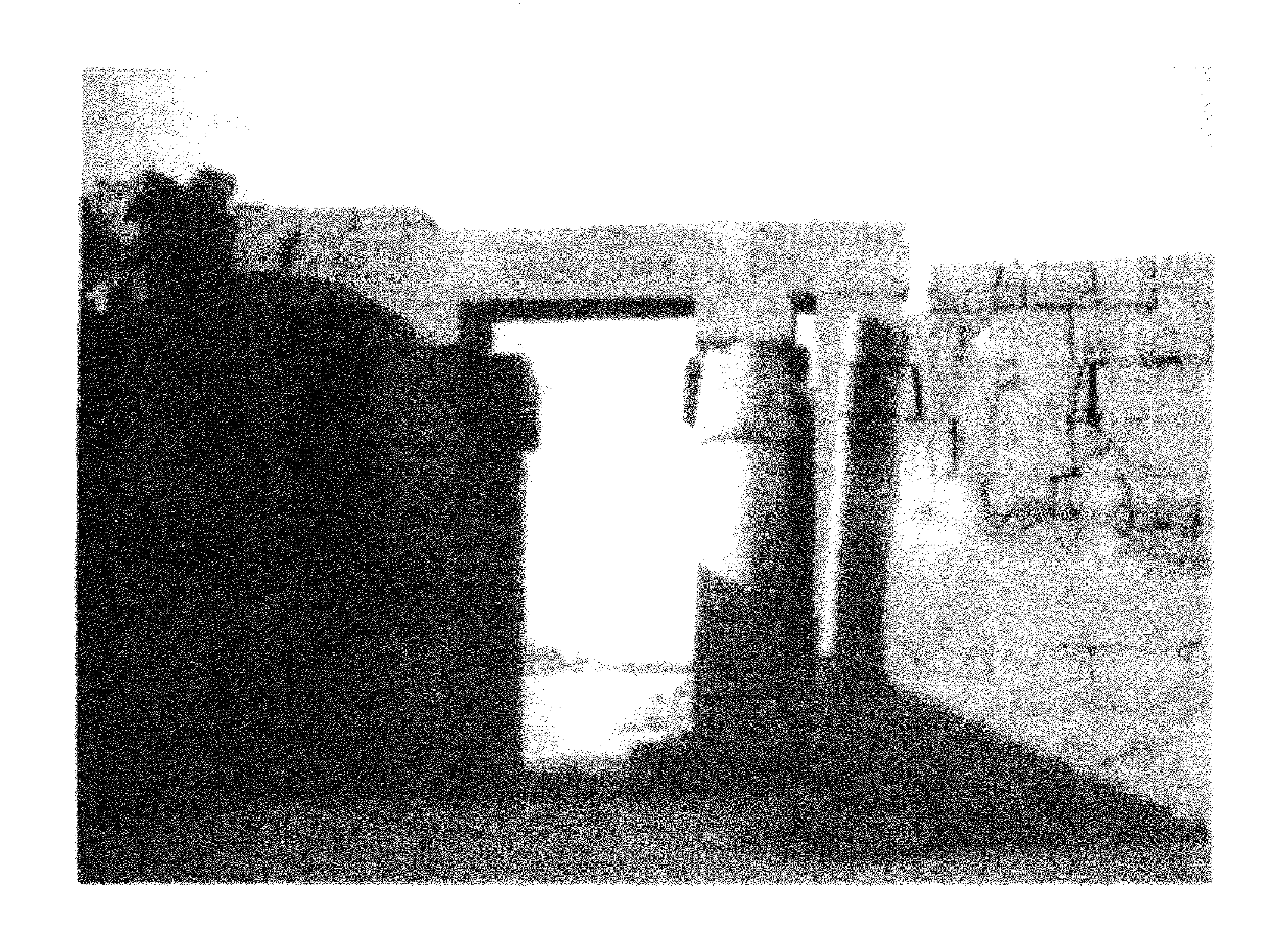
شغل ابن آخر للملك وهو "نملوت B" منصب حاكم عسكرى فى هيراكليوبوليس. وفى ممفيس استمرت الكهانة العليا فى يد العائلة كواجب مقدس فى شخص "شدسنفرتوم A" الذى حمل أيضا لقب زوج شقيقة الملك بزواجه من ابنة أحد حكام الأسرة ٢١.

لا توجد أدلة على حدوث غزوات عسكرية مصرية على فلسطين منذ عصر الرعامسة إلى حكم شاشانق الأول باستثناء بعض أعمال سيامون. شعر شاشانق الأول بالأمان تجاه سياسته على مصر وسيطر أبناؤه على وادى النيل، كما أنهى اضطرابًا صغير الشأن عند واحات الداخلة بفضل سيطرة مبعوثه "وايحست". أعد الملك بعد ذلك للقيام بأول وأضخم معسكرات الشمال الشرقى يشهدها الجيش المصرى منذ قرنين.

حدثت هجمتان منفصلتان، واحدة مسجلة فى نقش تذكارى بمعبد الكرنك وقد توغلت بعيدا حتى شمال "مجدو"، حيث نصبت لوحة جدارية هناك. أما الحملة الأخرى فمصدرنا الوحيد لها هو كتاب "العهد القديم" أول كتاب للملوك:

".. أتى ملك مصر "رحوبوم" (شاشانق) فى عامه الخامس إلى القدس غازيا. استولى على كنوز بيت الله (ياهويه / يوحنا) كما أخذ أيضا كنوز بيت الملك، أخذ كل شيء. أخذ كل الدروع الذهبية التى صنعها سليمان.."

فى نهاية حكمه بدأ شاشانق برنامجًا بنائيًا ضخمًا بمجمع الكرنك وأمر بالتنقيب الواسع عن الأحجار الرملية من جبل السلسلة ليوفرها له. احتوى المبنى على قاعة ضخمة وطريق بوابة فى زاويته الجنوبية الشرقية وهو المعروف اليوم باسم "بوابة بوباستيس"، وهى مزينة بمناظر للملك والكاهن الأعلى "إيبوت" يتلقون قرابين الآلهة.



الشكل ٥٦. "بوابة بوباستيس" المقامة فى الزاوية الجنوبية الشرقية من الساحة الأولى لمعبد الكرنك لتخليد ذكرى أعمال الملك البطولية.

الجدران الخارجية كانت معدة لنقش صور للملك شاشانق الأول وإنجازاته العسكرية لكن لم ينحت إلا مشهد واحد فقط يصور حملة الملك الأولى على فلسطين ؟ لم يصور شيئاً آخر لوفاة الملك بعدها بفترة قصيرة. لم يعرف مكان دفن الملك كما أن آخر ملوك الأسرة ٢١ دفنوا بجبانة "تانيس" نفسها مثل أسلافهم، وأول استخدام لهذه المنطقة بالتحديد كان لملك من الأسرة ٢٢ "أوسركون الثاني" بعد مئة عام من موت شاشانق الأول. ومن المحتمل أن يكون قد دفن فى مكان آخر بتانيس أو موطنه الأصلى بوباستيس لكن ليس هناك ما يؤكد ذلك.

أحد تجهيزاته الجنائزية ظهرت لنا عن طريق سوق الآثار، بدون أية معلومات عن أصلها أو مكان ظهورها. الأثر عبارة عن صديريته الكانوبية الموجودة الآن فى برلين، وهى مصنوعة من الالباستر ومختلفة تماما عن مثيلاتها الخشبية للملوك الآخرين فى الفترة نفسها، وتبدو كأنها نسخة مطابقة تماما لصديرية ملك من الأسرة ١٩ أو ١٨. امتلاك قطعة كهذه يتناسب مع طموحات الدولة الحديثة العسكرية التى بدأت بحملة شاشانق على فلسطين، وهو الطموح الذى لم يتميز به خلفاؤه.

أوسركون الثانى وحورسيس

٨٧٧ – ٨٣٨ ق.م

بعد وفاة شاشانق الأول اعتلى العرش أوسركون الأول. بعد الولاية بفترة قصيرة تُوفى شقيق الملك "إيبوت" ودفن بمقبرة جرانيتية ضخمة بأبيدوس، تليه فى منصب كاهن آمون الأعلى ابن أوسركون البكر "شاشانق C" ابن الملكة "ماتكارع" وهو وارث كل من الأسرة الحالية وخط كهنة طيبة القديم. قرب نهاية حكم أوسركون الأول كان شاشانق C فى الخمسين من عمره وأصبح نائب الملك وحل محله فى الكهانة شقيقه "إيولوت". لسوء الحظ توفى شاشانق الثانى بعد ذلك بفترة قصيرة بتأثير جراح فى الرأس تاركا ابنًا هو "حورسيس".

بعد وفاة أوسركون الأول تولى بعده مباشرة ابنه "تاكلوت الأول" من السيدة "كابس". وكانت فترة حكم "تاكلوت" غامضة فاستمرت طيبة تحت سيطرة الكاهن الأعلى "إيلوت" ثم شقيقه "سمنديس الثالث"، ولا يعرف أى شيء أخر عن هذه الفترة. دفن تاكلوت فى تانيس ثم نقله ولده فى ناموس خاص بالدولة الوسطى فى غرفة مزينة خاصة بالملك سمنديس.

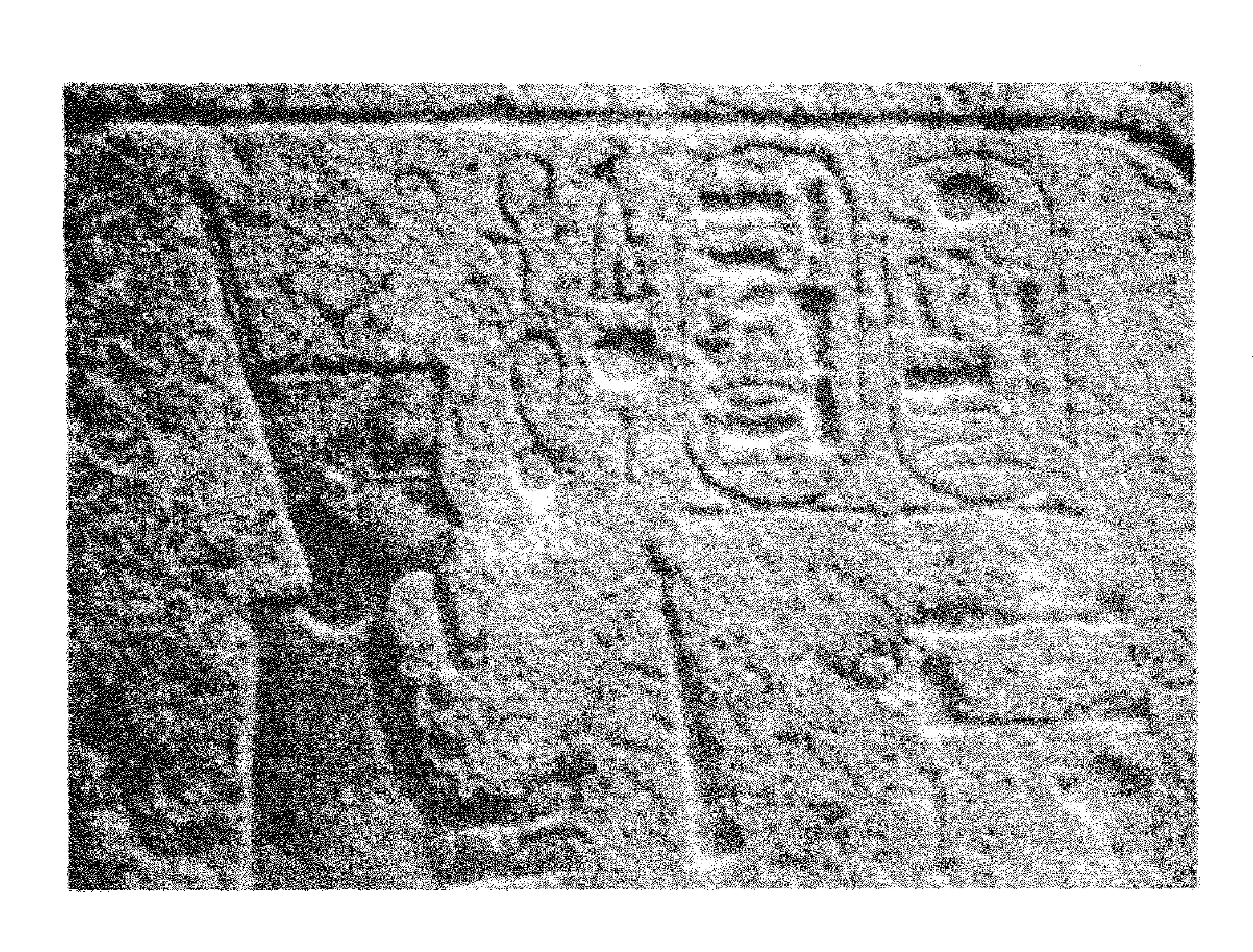
تولى "أوسركون الثاني" ابن تالكوت الأول وكان شابًا وقتها، فطالت فترة حكمه على الأقل لأربعين عاما. وربما كانت أول أعماله هى تعيين كاهن أعلى جديد لآمون إن لم يكن والده قد فعل. وبدلا من اختيار ابن أو شقيق للملك وقع الاختيار على حورسيس ابن شاشانق الثانى.

يعتبر هذا الاختيار غير حكيم، فابن أو شقيق الملك عادة ما يحصل على منصب مناسب فى الأسرة؛ ليظل وفيا لكن وضع حورسيس كان مختلفًا. كان حورسيس سيصبح ملكا بالتبعية إن لم يمت شاشانق الثانى. وقف دائما فى صفوف الاحتياط وعانى من الألم بسبب قدره السيئ. فضلا عن إحساسه بالأفضلية؛ لأنه حفيد "باسيونيس الثاني" وشاشانق الأول" فدماؤه الملكية أنقى من دماء ابن عمه أوسركون الثانى.

بعد عشرة أعوام أو أكثر كان المُلك مقدرا له، بعد سبعين أو ثمانين عاما من سيطرة الملك المباشرة على طيبة. ففعل الكاهن الأعلى كما فعل "بنودجم الأول" وأضاف ألقابًا فرعونية كاملة له وترك الكهانة لولده. بقى حورسيس فى طيبة حتى وفاته على الرغم من إصابته بالمرض فى أواخر أيامه. تقع مقبرته فى رحاب معابد مدينة هابو كاشفة عن جمجمته. الجمجمة بها ثقب نتيجة عملية جراحية وشفيت جروح الملك وعاش بعدها. دفن الملك الكاهن فى تابوت جرانيتى مأخوذ من مقبرة شقيقة رمسيس الثانى "حنوتمير" مغلق بقفل له رأس صقر. هذا التابوت ذو الرأس المميز كان معتادًا فى المدافن الملكية الخاصة بالأسرة ٢٢، ويذكر ضمن أغراض أخرى وتماثيل الملك كتشخيص للإله الصقر حورس.

استمر تعيين أبناء الملوك فى مراكز قوية بكثير من مناطق مصر منذ العصور السابقة وامتد إلى ممفيس، حيث استولى ولى العهد "شاشانق D" على خط الكهانة العليا القديم، وهو ابن للملك أوسركون الثانى والملكة "كارومات B". ثم انتقلت العادة إلى طيبة بعد نهاية كهانة ابن حورسيس، فأصبح الأمير "نماوت C"

الكاهن الأعلى لآمون، ويحتمل أن يكون ابن حورسيس قد اقتُلع من منصبه لأن اسمه قد أزيل جيدا من أثره الوحيد المعروف. ربط "نملوت" بين الكهانة العليا وتوليه منصب مبكر فى حكومة "هراكلوبوليس" ومصر الوسطى، وبذلك يكون قد تبع سميهُ (الشخص المسمى على اسمه) ابن شاشانق الأول. سبق نملوت C والده أوسركون الثانى فى ترك خلافة الكهانة لولده "تاكلوت f". وتولت الكهانة النسائية لآمون زوجة الإله "كارومات G " وهى بالتأكيد ابنة الملك لكن هوية الملك هنا غير أكيدة فإما أنه تاكلوت الأول وإما أوسركون الثانى وإما حورسيس.



الشكل ٥٧. أوسركون الثانى من قاعة احتفالات اليوبيل فى معبد بوباستس.

هناك ولد آخر لأوسركون كسب لقب الكاهن الأعلى، وهو الشاب "حارناخت"، وكان يعمل فى عبادة آمون بتانيس العاصمة الملكية. تكشف وفاته المبكرة بينما لا يزال طفلا ٨ أو ٩ سنوات أن دوره كان شرفيا. كان الملك بسيونيس الأول قد بدأ فى بناء معبد آمون فى المدينة ثم أضاف سيامون قاعة

أخرى له، وبنى أوسركون الثانى واجهة ساحة جديدة ومبانى خارجية أخرى . المواد المستخدمة فى مبانى تانيس هى الأحجار التى جلبت من أنقاض بيراميز القديمة. وهناك مدينة أخرى فى الدلتا استرعت اهتمام أوسركون الثانى وهى بوباستس حيث أضاف مبانى رئيسة لمعبد الآلهة القطة "باستت" بإعادة استخدام عناصر من مبانى رمسيس الثانى.

جزء من أعمال بوباستس مرتبط باحتفال الملك باليوبيل فى العام ٢٢: ولا يعرف كالعادة سبب تغير مدة الاحتفال، فمن المعروف أنها تقام كل ٣٠ عاما. بعد عام تقريبا قام الأمير شاشانق D الكاهن الأعلى بدفن ثور أبيس بسقارة، لكن خلال سنوات قليلة توفى ولى العهد ودفن فى مقبرة بمعبد بتاح بممفيس وخلفه ابنه "تاكلوت B".

لم يكن أوسركون الثانى مثل جده العظيم شاشانق الأول خاصة فى مجال العلاقات الأجنبية. قُدم تمثال للحاكم صديق مصر القديم "ببيلوس" كما تشهد بقايا زهرية من "سامارية" على وجود اتصال مع مملكة إسرائيل. أيا كان فإن تدخل أوسركون المادى كان فى حدود ألف فرقة شاركت فى اتحاد سياسى سورى فلسطينى لمواجهة الملك الآشورى "شالمنسر الثالث" (٨٥٩ -٨٢٤ ق.م) فى معركة "كاركار" عام ٨٥٣. وشهدت أعوام أوسركون الأخيرة عادة متبادلة، وهى تقديم هدايا من الحيوانات النادرة إلى الملك الآشورى، الذى كان يسعد بها كثيرا لأنها تعد جزية من مصر.

لم يعرف الكثير عن الأعوام الخمسة عشر الأخيرة من حكم الملك أوسركون الثانى ماعدا خطوة أخرى لاستقلال طيبة بتشجيع من ملك تانيس الكهل. فى العامين الأخيرين شارك أوسركون شرف اللقب الفرعونى مع تاكلوت الثانى حاكم طيبة وهو الحدث الذى يشير لنهاية اتحاد مصر لفترة قاربت القرنين. ملاحظة هذا التغير عالميا يظهر فى ذكر صحيفة "ملوك مصر" الإنجيلية التى تشير لهذه الفترة.

دفن أوسركون الثانى فى مقبرة أعدها له ولوالده سلفا والمعروفة اليوم برقم NRT 1. دفن فى ناموس رائع حفر غطاؤه من بقايا مجموعة تماثيل فترة الرعامسة. حجرة دفنه تشارك فيها مع ابنه الصغير "حارناخت" الذى لم يحيا طويلا فى منصب الكاهن الأعلى لآمون. نهبت آثار المقبرة ولم يبق سوى كسرات قليلة تحتوى على تابوت له رأس صقر والأوانى الكانوبية تعود لمقبرة أوسركون.

شاشانق الثالث

٨٣٨ -٧٩٨ ق.م

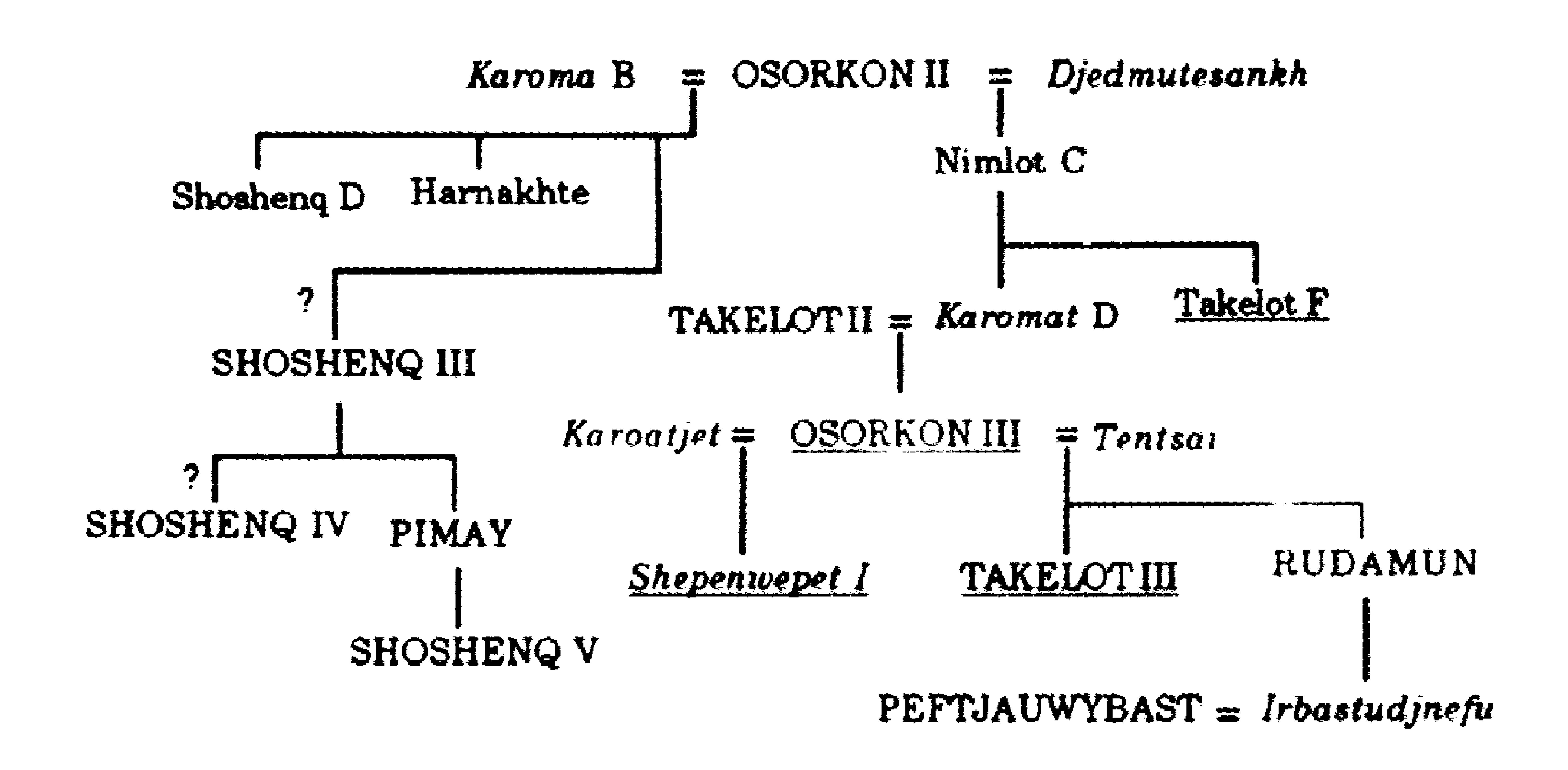
كان الملك شاشانق الثالث هو خليفة أوسركون الثانى فى تانيس. وقد يكون ابن الملك رغم عدم وجود ما يدل على ذلك، لكنه يحمل نفس اسم ولى العهد شاشانق D. فمن المحتمل أن شاشانق الثالث ولد بعد موت شاشانق D مما يجعله فى سن المراهقة عند تتويجه وهذا يتناسب مع سنوات حكمه الأربعين.

تزوج الملك من السيدة "تنتامنوبت" ورزق بثلاثة أبناء. الأول خليفته المباشر "بكنفي" و"باشد باست" ثم الخليفة الثانى "بيماي". قد يكون له ابن رابع وهو شاشانق الذى تبع شاشانق الثالث وهو رابع فرعون يحمل الاسم.

عرفت سلطة شاشانق الثالث بمجموعات الأمراء والرؤساء التى نبعت من الدلتا خلال منتصف الأسرة ٢٢، وتركزت فى أهم مدن المنطقة واستمرت شبكة العمل هذه مفتاح سر السياسة المصرية حتى نهاية التاريخ الفرعونى. بعض هذه المناصب حكمها أعضاء من البيت الملكى لكن الآخرين من نسل خط وراثى يبدو مستمرا إلى ما لا نهاية. كان نمو أمراء الدلتا بالإضافة إلى تفكك طيبة بداية نهاية مصر القديمة.

كان شاشانق الثانى من أهم المشيدين فى عاصمته وكالعادة استخدم الآثار القديمة المعالجة كمواد خام. طبق ذلك فى صرحه بمعبد آمون رع وناموسه وهو فى الأصل خاص ببرواز (ساكف) لملكين من الأسرة الثالثة عشر. بنى مقصورة فى ممفيس وبنى آثارًا مشابهة فى عدد من مواقع الدلتا. يؤرخ لحكم شاشانق مقبرة لأبيس ومقبرة كاهن بتاح الأعلى "تاكلوت B" فى مقبرة جوار مقبرة والد الأخير شاشانق D.

رغم كثرة عدد الحكام المحليين الذين وجدوا فى فترة حكم شاشانق الثالث الأخيرة، لكن مركزه الاسمى لم يتأثر. دفن الملك بعد أربعة عقود على العرش فى مقبرة NRT V فى تانيس. وصلت هذه المقبرة على الأغلب إلى الملك الجديد شاشانق الرابع الذى لم تتميز فترة حكمه بأية تفاصيل حتى أن أول اكتشاف لوجوده كان عام ١٩٨٠.



الشكل ٥٨. رسم بيانى (شجرة عائلة) للأسرة الثانية والعشرين وأسرة طيبة الثالثة والعشرين.

تاكلوت الثانى، بدوباست الأول وأوسركون الثالث

٨٤١ -٧٦٩ ق.م.

عندما ورث شاشانق الثالث عرشه الشمالى تولى الملك فى طيبة ملك آخر من الأسرة ٢٣ الطيبية التى بدأها حورسيس منذ عدة عقود. كان تاكلوت الثانى يعد واحدًا من سلسلة ملوك تانيس لعدة أعوام لكن كثيرًا من الدارسين اليوم يرون أنه حكم طيبة فقط بالتوازى مع الأسرة ٢٢. أصل ونسب تاكلوت الثانى مجهول لنا تماما، رغم وجود اعتقاد أنه ربما كان الكاهن الأعلى "تاكلوت F" الذى انتهت حياته الوظيفية وفى الوقت نفسه تولى تاكلوت الثانى ملك طيبة.

اقتصرت أعمال تاكلوت الثانى فى موطنه إلا أن هناك كتلة عليها اسمه واسم الكاهن بتاح الأعلى "مرنبتاح" وجدت بسقارة (إلا إنه كان اسم الملك أصلا تاكلوت الأول). زوجة الملك "كارومات D" هى ابنة الكاهن الأعلى "نملوت C". أنجب منها ومن أخريات سبعة أبناء أربعة ذكور وثلاث نساء. "اوسركون B" هو الابن البكر للملك، وقد تولى كهانة آمون العليا. بينما تزوجت بنتان على الأقل من وجهاء (أثرياء) محليين. كان الجزء الشمالى من الحدود الطيبية منذ الأسرة ٢١ فى يد "بتاح أدجانخف"، وهو ابن آخر لـــ"نملوت C" استقر فى حراكلوبوليس.

تأسيس مملكة طيبة الرسمى قاد إلى تحريرها من القوات التى ظلت منذ اضطرابات موت "ماساحرتا" قبل قرنين (راجع الجزء الخاص من بانجم الأول وبسيونيس الاول). فى العام الحادى عشر من حكم الملك أجبر الكاهن الأعلى أوسركون B على الإبحار جنوبا من الحيبا باتجاه طيبة لمواجهة العدو المحتمل

الذى سيتولى وظيفة الكاهن الأعلى لآمون. قضى على كثير من الأنداد بين "أشمونين" و مدينة آمون حيث قدم أوسركون قرابين إلى آلهة هناك وأعدم كثيرًا ممن شهر بهم أعضاء كهانته. أُحرقت جثث هؤلاء المتمردين وهذه أبشع نهاية يمكن ان يتصورها مصرى لأنها تحرم المتوفى من الخلود.

خلال العامين التاليين استطاع أوسركون تحمل جميع مسئولياته خلال الاحتفالات الطيبية السنوية الثلاثة الكبيرة. لكن فى الوقت نفسه تقريبا ظهر على مسرح طيبة الملك "بدوباست الأول" كمنافس جاد للتاكلوت الثانى. وكانت النتيجة بلا شك حربًا أهلية، ويبدو أن أعمال العنف بدأت فى عام تاكلوت الخامس عشر. وكان أوسركون فى قلب المعركة التى استمرت حتى العام ٢٤ إلى أن عقدت اتفاقية تسمح للأمير بالحفاظ على مركزه فى الكهانة العليا لفترة. وحدث نوع من الوئام والتوافق يفسره عدم مطالبة أوسركون بالعرش عند موت والده بعد ذلك بقليل، وبدلا من ذلك أصبح "إيوت الأول" نائبا رسميا مع "بدوباست الأول".

تزامن حكم الملكين "أبوت" و"بدوباست" مع حكم شاشانق الثالث فى الشمال وذلك بذكر أعوام حكمه (لكن ليس اسمه) جنبا إلى جنب مع حكم بدوباست. وأثناء فترة الحرب كانت الكهانة العليا واقعيا فى يد "حورسيس B" غالبا هو حفيد الملك الكاهن حورسيس، متجاهلا أحقية أوسركون B. أعطيت وظائف أخرى لابن بدوباست "بديامنت". الوقت المحدد لتولى "إيوت" ألقابًا ملكية غير معروف، لكنه كان غالبا قصيرا واسم الملك يذكرنا باسم الكاهن الأعلى القديم ابن شاشانق الأول. وقد يكون "إيوت" خسر منصبه بل وحياته أثناء عودة أحداث العنف والشغب بعد عام أو اثنين من موت تاكلوت الثانى.



الشكل ٥٩. أوسركون الثالث يصور الملك يدفع قاربًا من لحاء شجر مقدس من الكرنك.

طرد أوسركون B من طيبة مرة أخرى، ولكن هذه المرة ظل تقريبا عشر سنوات. وحل محله "نملوت E". كان ابن شاشانق الثالث "باشدباست" يعمل أيضا فى خدمة بدوباست كرئيس للجيش.

فى العام ٣٩ من حكم شاشانق الثالث (٨٠٠ ق.م) تمكن أوسركون من استعادة ميراثه أخيرا، وقبله تمكن شقيقه الأصغر "باكنبتاح" من تأمين حكم هيراكليوبوليس وزحزحة ورثة بدوباست الأول. كان هناك احتمال بهجوم ضد طيبة نتيجة هذا النجاح، نقرأ فقرة من نص بالكرنك:

"... دخل أوسركون طيبة، لحضور احتفال آمون بالاتفاق مع شقيقه قائد ورئيس الجيش "باكنبتاح"... ثم أطاحوا بكل من حاربوا ضدهم.."

فى النهاية سيطر أوسركون على طيبة بعد ثلاثة عقود من الصراع. وخلال وقت قصير من عودته ختم الأمير الكاهن انتصاره بإعلان نفسه ملكًا على طيبة باسم "أوسركون الثالث".

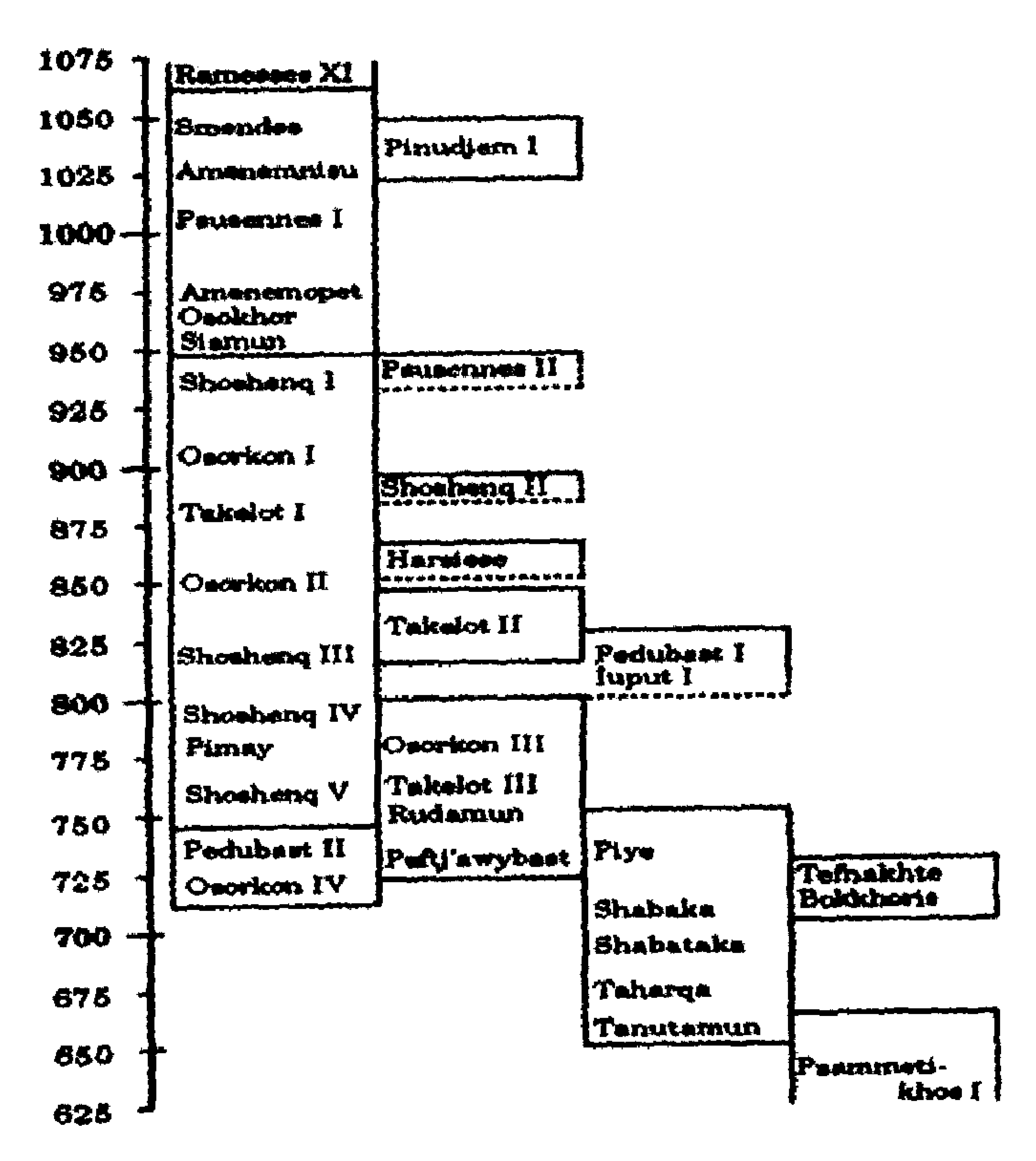
عند وصول الملك لسن الخمسين كان لديه عدد من الأبناء، الابن البكر "تاكلوت G" الذى تولى كهانة آمون العليا عندما كان والده كبير موظفى اللاهوت، واستمر فى هذا المنصب حتى نهاية حكم والده. تولى أيضا مسئولية هيراكلوبوليس مما أعطاه السيطرة التامة على طيبة. شقيقة تاكلوت "شبنوبت I" أخذت مكانها فيما بعد فى كهانة آمون وأصبحت زوجة الإله. هدف الملك من تعيين اثنين من أبنائه على رأس عبادة آمون إلى التأكيد على أن الاضطرابات التى واجهت مستقبله الكهنوتى لن تعود مرة أخرى. يبدو أن قوة زوجة الإله زادت برعاية الكاهن الأعلى، وأصبحت السيدات فيما بعد أهم بكثير من زملائهم الذكور، رغم أن بعضهم غير معروف الهوية.

كانت "شبنوبت" ابنة الملكة "كاروتجت" بينما أنجبت السيدة "تنتساي" تاكلوت و "رود آمون". ربما كان هناك ابن آخر "نملوت D" وهو الرجل الذى سيكتسب لقب "ملك أشمونين" في مصر الوسطى.

وبعد ربع قرن من الحكم وقد وصل الملك منتصف السبعين عين أوسركون الكاهن الأعلى تاكلوت نائبا له، ويمكن مشاهدة الملك تاكلوت الثالث مع والده وشقيقته على جدران معبد أوزير الذى بنوه معا بالكرنك. عندما تولى الملك الجديد عين فى الكهانة العليا ولده البكر "أوسركون F" ومن بين جميع أبنائه الذى أنجب معظمهم فى فترة متأخرة من حياته. مكانة تاكلوت فى هيراكليوبوليس احتلها "بفتجاوى باست" ومن الواضح أنه من نسل البيت الملكى، وسيكون آخر من يحكم باسم هذا البيت.

توفى أوسركون الثالث عام ٧٦٩ ق.م. بعد حياة طويلة مليئة بالمغامرات توضح انهيار السلطة التى ميزت عصره. تنبئنا المراجع الحديثة أنه دفن فى مكان ما بغرب طيبة أغلب الظن قرب مدينة هابو حيث دفنت "شبنوبت I" وزوجات الإله المتأخرات، وكذلك الملك الطيبى القديم حورسيس.

بعد اختفاء أوسركون استمر أبناؤه تاكلوت ورودآمون و"إني" الابن الشكلى ثم "بفتجاويباست". رغم أنه فى ذلك الوقت بلا شك كانوا قد أخرجوا من أرضهم طيبة. فى الشمال حافظ ابن شاشانق الثالث "بيماي" على الأسرة ٢٢ ثم شاشانق الخامس قبل إخلاء الطريق أمام الأسرة الغامضة تماما ٢٣. فى هذا الوقت أصبحت قوة الأسرة القديمة على الشمال اسمية، وسرعان ما واجهت هى وشريكتها الطيبية مصيرا مضادا من اتجاه غير متوقع سينهى كليهما جذريا.



الشكل ٦٠. تركيب الأسرات فى العصر المتوسط الثالث.

الفصل السادس عشر

مصر الأخرى

باى

٧٥٢ -٧١٧ ق.م

كما شاهدنا سابقا فإن حكم بلاد النوبة بداية من أسوان حتى السودان الحديثة كان عنصرًا أساسيًا فى سياسة مصر الخارجية منذ العصور البائدة. خلال أول عصرين متوسطين انزلقت من القبضة الفرعونية لكنها سرعان ما عادت فى حكم أول ملوك الدولة الوسطى والحديثة. فى الدولة الحديثة انقسمت النوبة إلى قسمين سمى القسم الشمالى "واوات" وسمى القسم الجنوبى "كوش" وهو الاسم الذى استخدم أحيانا للإشارة إلى بلاد النوبة بالكامل. كانت سلطة نائب الملك فى كوش واسعة جدا حتى شملت المنطقة بالكامل.

عند نهاية الأسرة العشرين تسببت الخلافات الخاصة بنائب الملك "بانحسي" فى إشعال الحرب لسنوات بين قوات كاهن آمون الأعلى وأتباع النائب الأول. بينما ادعى أعضاء العائلة الكهنوتية العليا ألقاب نائب الملك خلال الأسرة ٢١، لم يحدد مدى توغل قواتهم جنوبا. لكن الجزء الشمالى وكل الجزء الجنوبى للنوبة كان تحت سيطرة عناصر تابعة لحكم بانحسى.

يبدو أن بعضهم حمل لقب "فرعون محلي": ألقاب ملوك النوبة "أتياك وإرى، منماترع-ستبن امون وأوسرماترع-ستبنر" كانت مشابهة لشكل ألقاب ملوك فترة الرعامسة (الأسرة ١٩ و٢٠). كما أن نقوشهم تشابه أسلوب الدولة الحديثة مثل نقش الملكة "كاريمالا" الموجود بمعبد الأسرة ١٨ فى "سمنا". هذه الفترة لم تكن فترة سلام كما تشير النقوش العسكرية فى قدس أقداس الملكة السابقة.

اشتهر هؤلاء الأفراد فى فترة الأسرة ٢١ وأوائل الأسرة ٢٢. قد تعود أصولهم لسلسلة الحكام الذين بدأوا ببناء تماثيل ضخمة " توملي" (شاهد القبر) فى "الكورو" فى نهاية عصر الرعامسة. تقع الكورو فى أعماق جنوب النوبة وهى قريبة من "نبتا" عاصمة الكوش منذ الدولة الحديثة. "التوملي" هو الشكل المعروف للمقابر الملكية لفترة استقلال كوش خلال العصر المتوسط الثانى. استبدلت فى الأجيال التالية بما عرف بالمصطبة والتى استمرت حتى ظهور ملك اسمه "ألارا" فى الربع الثانى من القرن الثامن ق.م. وحتى وقت قريب كان يعتقد أن هذه المصاطب تخص ملكات الفترة المتأخرة، لكن الأدلة كلها تشير الآن إلى أنها تخص مقابر ملوك القرن العاشر وحتى الثامن.

الملك "ألارا" غير معروف لكن خليفته "كوشتا" كان أكثر منه شهرة وهو أول الملوك لما عرف بالأسرة الخامسة والعشرين. حمل "كوشتا" ألقابًا فرعونية كاملة وسرعان ما امتدت قوته حتى النوبة السفلى. سمح له مركزه بإقامة لوحة جدارية بمعبد "الفنتين" بــ"خنوم". دفن فى آخر مصطبة ملكية بنيت فى الكورو لأن تابعيه استخدموا أشكالاً مختلفة من المقابر .

بعد كوشتا تولى الملك "باي"وكان اسمه أول الأمر يقرأ خطأ "بيانكي". منذ الاحتلال المصرى والحالة الدينية لكوش تابعة للإله آمون رع إله طيبة العظيم الذى يملك معبدًا أثريًا عظيمًا بنبتا. بالإضافة لذلك كان حكام كوش على الرغم من أنهم جنوبيون فإنهم تبنوا رموز الفراعنة فى مصر، وذلك يوضح شعورهم بأن مصر خاصة طيبة هى موطنهم الروحى.

عندما اعتلى "باي" العرش كان وضع مصر السياسى مؤسفا. كما يوضح الفصل السابق، حيث انتهت السلطة المركزية بوجود أربعة أفراد على الأقل يستخدمون لقب "الفرعون"، وعدد من الرؤساء المحليين والمسئولين الموجودين بالبلاد خاصة الدلتا. قرر "باى" تصحيح الأوضاع ومواجهة هذا السقوط الذى يلم بوطنه الأم.

فى فترة حكمه المبكرة كان تأثير كوش ممتدًا حتى شمال طيبة نفسها. وهناك فى طيبة تبنت زوجة الإله آمون "شبنوبت I" شقيقة باى "أمنيرديس I" لتصبح فيما بعد خليفتها بالاتفاق مع شقيقها -الملك رودآمون- ملك طيبة الأسرة ٢٣. برهن الملكان "رودآمون وباى" فى طيبة على احترامهما لحكم بعضيهما فى نقش يشير أيضا إلى شقيقتيهما الكاهنتين. مركز "باى" كحاكم متمكن على جنوب مصر قد يكون امتد حتى شمال أشمونين، حيث الملك المحلى نملوت الذى يدين له بالطاعة. بعد موت "رودآمون" هجر الخلفاء مدينتهم كسكن دائم، وسكن أخر ملوك الأسرة "بفتجاواويباست" فى هيراكليوبوليس كحليفة للملك الكوشى.

توسعات أمير الغرب "تفناخت" نحو الجنوب سببت التدخل الظاهرى شمالا إلى مدينة الدلتا القديمة بـــ"سياس" التابعة شكليا لشاشانق الخامس وخلفائه فى تانيس. فى عام حكم باى العشرين سيطر تفناخت على ممفيس ومركز الدولة الوسطى القديمة "إتى تاوي" (ليشت) ويبدو أنه استمال لجانبه حليف باى القديم نملوت. وكان ذلك تهديدا لأملاك ملك كوش فأرسل جيشًا للتأكد من زحف تفناخت جنوبا، حتى تم إنجازه بمعركتين بحريتين فى مصر الوسطى. عوضا عن ترك مدينة سياس فى يد الشمال وظل نملوت فى مدينته التى حاصرها الجنود الكوشيون سريعا.

قرر "باى" قيادة الحرب شخصيا، لخلع تفناخت وإعادة أوضاع مصر إلى صحتها. بعد قضاء عام جديد فى النبتا أسرع الملك إلى طيبة وقت احتفال الأوبت العظيم؛ وهو أعظم المواعيد الدينية السنوية وذات أهمية كبيرة لباى أشد المتحمسين لآمون. وصول الملك إلى مصر شد عضد الجنود فى الشمال حيث نجحوا فى أسر ثلاث مدن وقتلوا ابن تفناخت.

بعد الانتهاء من طيبة كانت أول أهداف الملك هى أشمونين المحاصرة والخائن نملوت. خطب الملك فى جيشه لتقصيره فى النصر ثم تولى بنفسه الإشراف على العمليات بما فيها تنصيب برج خشبى للحصار حيث يستطيع رماة السهام الكوشيون استخدامه للتصويب على المدينة. استسلمت أشمونين بسبب المعاناة من نفاد الإمدادات بعد خمسة شهور وكانت زوجة نملوا من بين مستجدى الشفقة. سقط نملوت أمام أقدام باى حاملا معه الهدايا كنوز وصلالة وحصان. ولأن باى من المولعين بالخيول كان اختيار الهدية الأخيرة موفقا، فبعد دخول اشمونين زار الملك إسطبل خيول نملوت فوجد الخيول قد عانت أثناء الحصار :

"أقسم.... إن معاناة خيولى من الجوع هو أعظم وأبشع ضرر فى قلبى من كل ما قمت به (يا نملوت) خلال تنفيذ خطتك.."

الولع بالخيول هواية وجدت عند كثير من ملوك كوش حتى أن بعضهم دفن خيوله بجوار مقبرته.

فى الشمال كان حليفة باى المخلص "بفتجاواوبياست" مهددة من تفناخت ونملوت، لكن الكوشيين أسعفوا مدينته هيراكليوبوليس فشكر الحاكم الملك الكوشى. واستطاع الأخير بمعارك صغيرة جعل كل المراكز المهمة جنوب ممفيس تستسلم، وأسر ابن آخر لتفناخت فى "بسخم خبررع" جوار مدخل الفيوم.

العاصمة القديمة ممفيس كانت هى كل ما تبقى الآن أمام "باى" للسيطرة على وادى النيل بالكامل. طالب الملك المدينة بالاستسلام فقوبل طلبه بهجوم على قوات كوش الاستكشافية وأغلقت أبوابها آمامه. وبعد ذلك كسب تفناخت معركة فى جنح الظلام ونظم فرقة من ضباط الحراسة عددهم ثمانية آلاف رجل، ورحل إلى الدلتا لجلب تعزيزات، ممتطيا جوادا على غير عادة المصريين لأنهم كانوا يفضلون عربات الخيول.



الشكل ٦١. نملوت يقود حصاناً، هو وتابعه "الملوك" يستسلمون لباى. فى التسجيل السفلى يركع أوسركون الرابع، إيوت الثانى و بفتجاواويباست

عند وصول باى فى الصباح التالى واجه أسوار المدينة الضخمة ومياه النهر الملتصقة بها. أُجريت مناقشات طويلة لبحث أفضل طريقة للحصار ثم ظهرت طريقة طويلة لحل المشكلة. أُسرت جميع القوارب والسفن بميناء ممفيس ووضعت أمام الأسوار واستخدمت معداتها لتسلق الحصن. وفى الصباح التالى كانت المدينة كلها فى يد الكوشيين. حفاظا على قدسية مهمته كانت فكرة باى الأولى هى إرسال فرقًا لحماية معبد بتاح ثم الذهاب بنفسه للتمسح والتعبد.

بأسر أقدم عاصمة وطنية حضر كل حكام الدلتا المحليين للركوع أمام الملك الكوشى. وكان أولهم "أكنوش" من "سبانيتوس"، "بديس" من "أثريبس" وهليوبوليس والملك "إيوت الثاني" من "لنتوبوليس". وبعد ذلك مباشرة بينما كان "باى" فى قدس أقداس إله الشمس رع بهليوبوليس وصل الملك أوسركون الرابع آخر ممثل للخط الملكى العظيم الذى بدأه شاشانق الأول وقد تحول لأحد الحكام المثيرين للشفقة وهو مستسلم لملك بلد اعتقد لأجيال أنها بلد برابرة.

عند الانتقال لـــ"أثربيس" فى قمة الدلتا جمع "باى" حوله الخمسة عشر حاكما الذين أقروا له بالطاعة، أمرهم بالعودة إلى بلادهم لإعداد الجزية لملكهم الجديد والمكونة من كنوز ومنتجات نادرة وخيول! بعض هذه الحيوانات كانت تظهر فى نقوش النصر التى رسمها باى على معابد "نبتا".

لوحظ غياب تفناخت من بين حكام الدلتا، فبعد أن سلم حلفاؤه أنفسهم للفاتح الجنوبى أرسل فرقًا لمدينة استراتيجية فى الجزء الجنوبى غرب الدلتا. أيا كان فقد سحق باى هذه الحركة مما جعل تفناخت يدرك أن المقاومة لا جدوى لها. لكنه أرسل رسولاً لإعلان ولائه للملك بل إن قسم الطاعة الذى وجب عليه قوله أشرف عليه مجموعة من الضباط ذهبوا إليه خصيصا فى "سايس"، أى أنه حتى عند هزيمته استطاع أن يحفظ كرامته.

فى طقسة أخيرة للاستسلام وفيه أقسمت كل المراكز المتبقية بالولاء للملك باى. وصل الملوك الأربعة الحاملون لألقاب فرعونية لكن نملوت هو الوحيد الذى سمح له بالمثول أمام الملك. أما أوسركون الرابع (الأسرة ٢٣)، بفتجاواويباست (طيبة/ الأسرة ٢٣/ هليوبوليس) وإيوت الثانى (ليونتوبوليس) صرفوا جميعا لعدم طهارتهم طقسياً لأنهم أكلوا سمكًا. بعد أن أتم الملك باى إذلاله للملوك القدماء عاد إلى وطنه.

أبحر "باى" جنوبا وسفنه محملة بالجزية المصرية، وقد توقف بلا شك لتلقى التهانى من أتباعه الجدد، وأخيرا وصل نبتا حيث نصب لوحته الجدارية الضخمة والتى تحكى لنا عن أمجاده. هناك أعمال أخرى بما فيها لوحة ثانية، وسلسلة من النقوش المحطمة حاليا فى ساحة معبد آمون حيث أخذ أولى خطواته تجاه توسيع المعبد الذى لم يبق منه اليوم سوى أنقاض. ويبدو أنه شعر بالرضا تجاه ما قام به وبمركزه كحاكم لمصر لم يعد إلى الشمال أبداً تاركا حكم البلاد لنوابه.

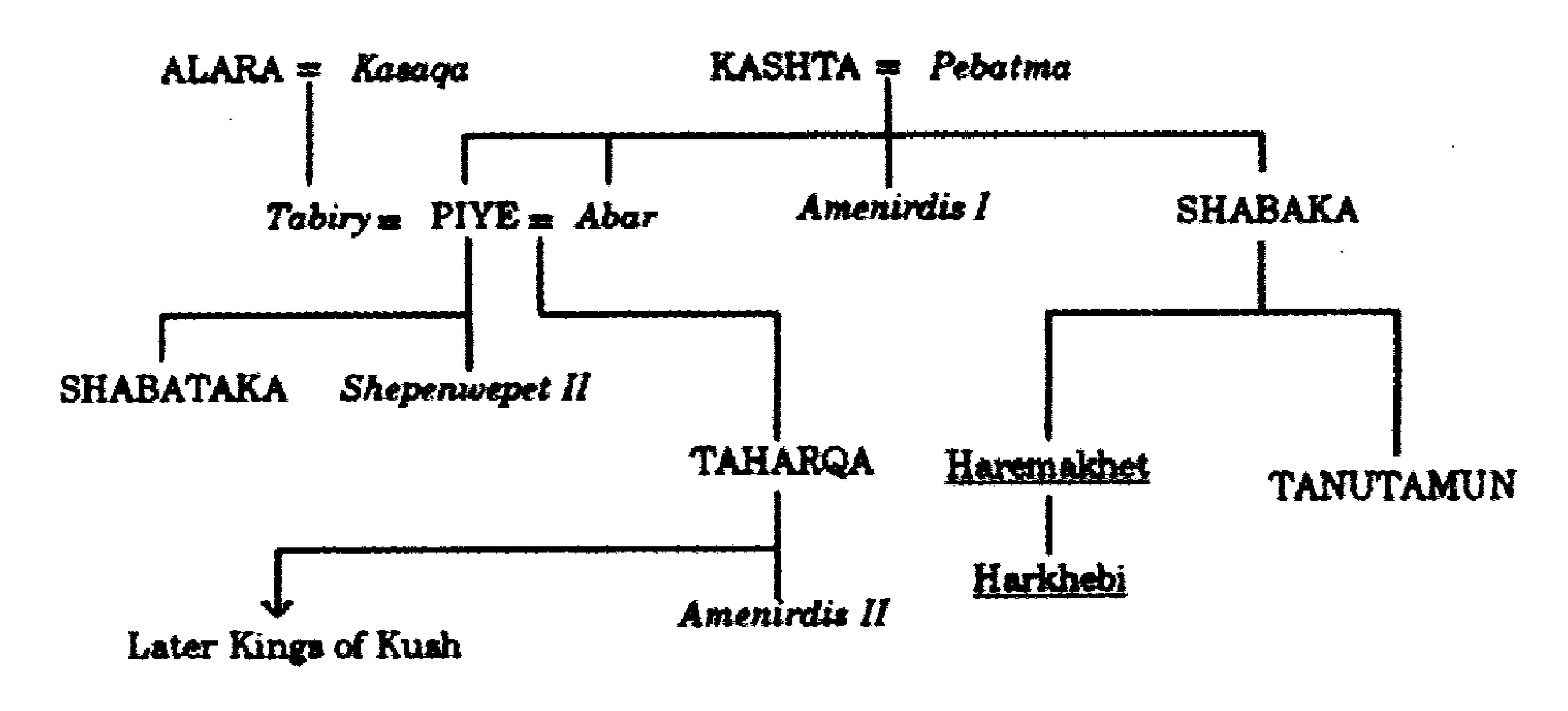


Fig. 62. Genealogical table for the Twenty-fifth Dynasty.

الشكل ٦٢. رسم بيانى (شجرة عائلة) للأسرة الخامسة والعشرين.

بعض النائبين بقى مخلصا خصيصا بطيبة حيث ستصبح شقيقته زوجة الإله الوحيدة، وفى هيراكليوبوليس حيث ظل بفتجاواويباست وفيا خلال حربه مع تفناخت. كان تفناخت نفسه هو المشكلة، ففى فترة قصيرة أعلن نفسه ملكًا وسيطر على غرب الدلتا، وبذلك يكون هو مؤسس الأسرة ٢٤، لكنه توفى بعد ثمانى سنوات تليه ولده "بوكخوريس".

ردة فعل "باى" عن هذه الحركات غير معروفة، ربما أسعده أن تظل مدينة آمون المقدسة طيبة مخلصة له. عند موته دفن فى الكورو تحت أول سلسلة طويلة من الأهرامات الملكية التى بنيت فى السودان، ربما تكون الآثار العظيمة فى الجيزة ودهشور قد ألهمت باى. الهرم يشبه البناء الطويل الضيق الذى كان يبنى فوق المقابر الخاصة فى الدولة الحديثة. البناء الفوقى لمقبرة "باى" قد اختفى حاليا وغرفة دفنه مفتوحة على السماء، لم تكتشف أية بقايا محددة لجثته عندما نقبت البعثة الأمريكية عن المقبرة عام ١٩١٧ على الرغم من وجود أوانيه الكانوبية الصورية وأدلة تظهر أن جثته كانت مستلقية على فراش تماما كالعادات النوبية القديمة.

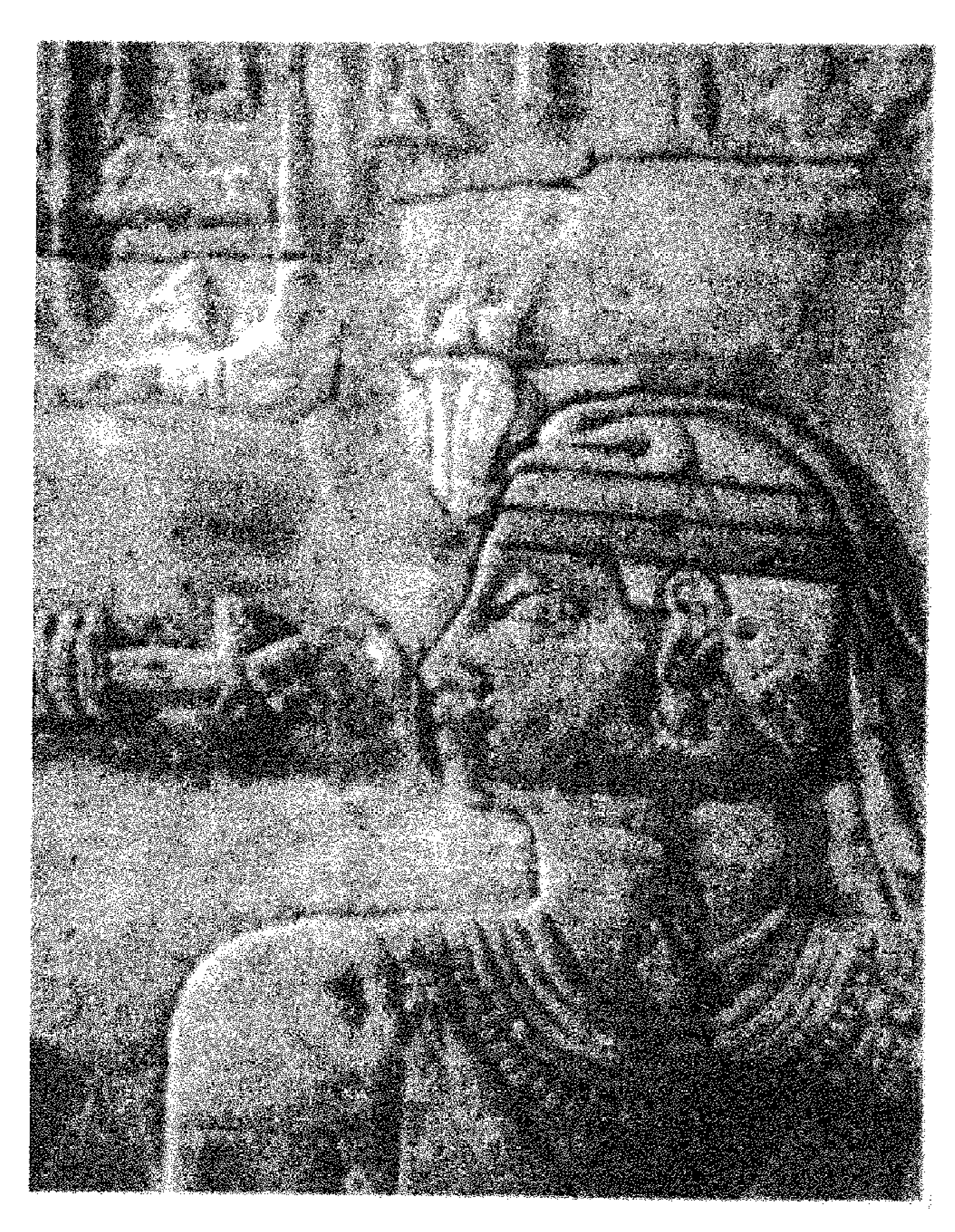
طاهرقا

٦٩٠ - ٦٦٤ ق.م

عدم اهتمام "باى" بقيام الأسرة ٢٤ لم يورثه إلى "شاباقا" شقيقه وخليفته. فبعد عامين من توليه تقدم إلى الشمال وتبعا لرواية "مانثو" فقد أحرق "بوكخوريس" حتى الموت. يبدو أن شاباقا قد قطع قوة الخط الملكى الآخر الذى تركه باى خلفه. اتخذ من ممفيس مسكنًا له كحاكم قوى متمرس لمملكة مصر وكوش المتحدة، رامزا لذلك بزوج من اليوريا على تاجه.

تليه على العرش ابن أخيه "شاباتاقا"، ابن باى. ملوك كوش لم يتبعوا نظام المصريين بتوريث الابن البكر لكن مرروا العرش لأخوة الملك قبل أولاده. منذ حملات شاشانق الأول بقيت مصر بعيدة تماما عن سياسة سوريا وفلسطين زيادة على ذلك تظليل آشور عليها فى الشرق. كانت دولة آشور تحت حكم "سناشريب" فى ذلك الوقت (٧٠٤- ٦٨١ ق.م) الذى انشغل بمواجهة النواب المتمردين فى "ليفانت" فقرر الفرعون الجديد أن الفرصة قد حانت للغزو.

كان شقيق الملك الأصغر "طاهرقا" من بين المشاركين مع الجيش المصرى النوبى المتوجه إلى فلسطين، وسار صاعدا من النبتا مع باقى أشقائه بتكليف من "شاباتاقا". حضر معركة "التكة" ٧٠١ ق.م. (جنوب شرق الجوبا). وهناك هزمت قوات الآشوريين الغاشمة جيوش الفرعون وحلفائه المحليين. استحال أى هجوم مضاد على الآشوريين أثناء انشغالهم بقهر القدس لأن قوات "سناشريب" عادت للحراسة فى ذلك الوقت. ثم عاد طاهرقا والجيش إلى مصر لتجنب أية صراعات أخرى مع الآشوريين لمدة عقدين آخرين.



الشكل ٦٣. الملك طهارقا على مقصورة من معبد الملك فى الكرنك.

أصبح طهارقا ملكًا بعد موت أخيه، وتوج فى ممفيس عام ٦٩٠ق.م. وكان عمره حوالى ثلاثين. بعد حوالى ستة أعوام سقطت أمطار فى النوبة وهو حدث غير

عاديٍ، أمطار غزيرة فى الجنوب البعيد حتى منابع النيل فى أعماق أفريقيا، مما أدى لارتفاع معدل الفيضان فى نفس العام نفسه، وكما يحبذ الفيضان العالى لكن الفيضان العالى جدا غير مرغوب فيه لأنه يسبب أخطارًا بإضعاف السدود والحوامل الحامية التى يغمرها بتوابعه. فى هذه الحالة كان الإله آمون يضمن تحسين العواقب ويؤمن حرية الحيوانات الصغيرة ويعد بحصاد وفير. شهد العام نفسه زيارة والدة طاهرقا "أبار" التى لم يرها الملك منذ مغادرة نبتا بأمر شاباتاقا منذ ١٨ عاما.

فى طيبة استمرت عادة إعداد إحدى قريبات الملك لترث لقب زوجة الإله الحالية، وكانت شقيقة طاهرقا "شبنوبت الثانية" متبنية ابنته "أمنرديس الثانية". كما بقيت الكهانة الذكورية داخل الأسرة الملكية أيضا، فجعل شاباقا ابنه "هرماخت" كاهنا أعلى تليه ولده "هرخبي"، ثم عين طاهرقا الأمير "نسيشوتفنوت" أحد أبنائه "كاهن ثاني".

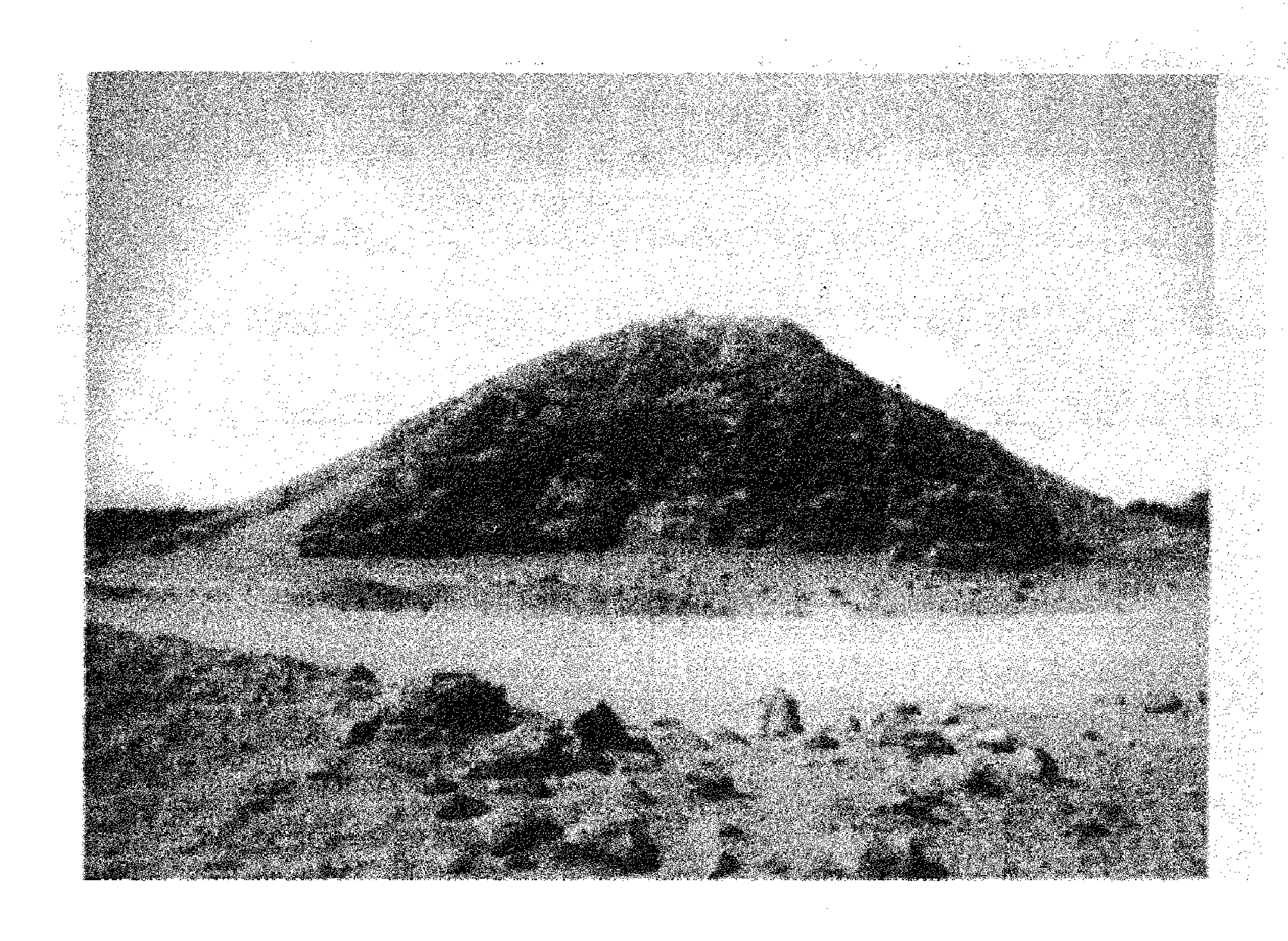
بنى طاهرقا الكثير فى مملكته المزدوجة، فوسع معابد نبتا كثيرا وأضاف قدس أقداس جديدة فى عدد من المدن النوبية بما فيها "قصر أبريم" فى "كاوا"، كما رممت وجددت معابد الدولة الحديثة. وكان المشروع فى ذهن الملك منذ زيارته خلال رحلته الأولى شمالا. فى مصر نفسها أضيفت مبان مهمة لمعبد آمون رع و"منتجو" فى الكرنك فى مدينة هابو وممفيس.

أعمال طاهرقا وتابعه الفنية الكوشية تظهر كثيرًا من الملامح المعمارية وهى من أوائل النسخ التى استلهمت من الماضى بشكل واسع، وهذا ما نجده فى الأسرة ٢٦ التالية. بعض القطع تشابه تماما أعمال الدولة القديمة لدرجة حدوث اختلاط عن أصل هذه القطع، فهل هى تعود للقرن الثامن أم السادس والعشرين؟.

نوع أخر من التحقق الأثرى يتضمن تركيب ما يسمى "باللاهوت الممفيسي" فى عهد شاباقا، وهو استنباط أخذ من بردية متآكلة تعود للدولة القديمة. إلى جانب استمرار الملوك الكوشيين فى استخدام المقابر الهرمية، وهى العادة المأخوذة من الماضي، فكلما تقدمت الأسرة زادت أحجام وتفاصيل آثارهم. وفى الحقيقة سيستمر الخط الملكى فى استخدام هذا الشكل من المقابر فترة طويلة حتى بعد توقفهم عن حكم مصر: أخر الأهرامات الحقيقية تم بناؤها فى "ميرو" بالسودان حوالى ٣٥٠ ق.م ثلاثة آلاف عام من بناء أول هرم للملك زوسر فى سقارة .

بدلا من التمسك بعرشه الشمالى، فكر الملك الآشورى "إسرحادون" (٦٨٠ – ٦٦٩ ق.م) فى الانتقام من الملوك الكوشيين. بدأ هذا الملك فترة حكمه ببرنامج إطاحة لنوابه المتمردين فى سوريا وفلسطين وكان ينظر لمصر على أنها مصدر متاعب. لذلك فى عام ٦٧٤ حاول غزو مملكة طاهرقا لكن تم ردعه بنجاح. اهتم الملك الكوشى بالجيش ربما بسبب التهديد الآشورى الذى اختبره سابقا فى معركة "التكة" كما توضح لوحة جدارية وتصف تدريباته مع الفرق فى الصحراء الغربية.

بعد أربعة أعوام، قام الملك بهجوم على مصر، لكن هذه المرة وصل إلى ممفيس مجبرا طاهرقا على التقهقر أعلى النهر كما أسر شقيقه وأحد أبنائه. بقى ممثلو الأسرات المختلفة الذين أذلهم باى وشاباقا فى الدلتا، فأصبحوا حكام إسراحادون المحليين. بعد عودة الآشورين إلى العراق أظهر طاهرقا نفسه مرة أخرى في الشمال وحالفه الحظ بأن توفى إسرحادون قبل أن يعود لمواجهته.



الشكل ٦٤. هرم طاهرقا فى "النوري".

الملك الآشورى الجديد "اشربانيبال" لم يكن مستعدًا لنسيان مصر، فهاجم بحملة جديدة عام ٦٦٥/ ٦٦٦. وأجبر طاهرقا على التقهقر مرة أخرى بعد هزيمته، وهذه المرة إلى طيبة حيث تبعه اشربانيبال. عدم قدرة طاهرقا على مواجهة الغازى لم تجعل أمامه خيارًا إلا العودة إلى نبتا موطنه الأصلى. مرة أخرى أجبر الحكام المصريون على الاعتراف باشربانيبال الآشورى ملكا عليهم وأظهر بعضهم خاصة "نخو الأول" فى "سايس" تفضيل الملك الآشورى على الملك الكوشى. موقف "نخو" هذا لا يدهشنا إذا عرفنا أنه سليل عائلة الحاكم الطموح تفناخت.

استغل الحكام الآخرون رحيل إشربانيبال ليبدؤوا فى الإعداد لعودة طاهرقا، عن طريق التحرش بالحكام الآشوريين المحليين للقبض على أمراء الدلتا جميعا.

بعضهم قتل فى مصر والبعض أرسل إلى عاصمة أشور "ننفه" ليتم إعدامهم. أما نخو الأول وابنه "بسماتيك" ثبتت براءتهما ووفائهما فكفئا بتولى حكم غرب الدلتا إلى جانب ممفيس .

بدا طاهرقا مستعدا لإعلان نفسه حاكما على طيبة لكن أيامه كانت قليلة، فقد توفى الملك فى ٦٦٤ ق.م. تليه ابن أخيه "تانوتامون". لم يدفن طاهرقا إلى جوار أسلافه فى الكورو، فقد أنشأ جبانة ملكية جديدة على مسافة بضعة كيلومترات أعلى النهر فى "نوري" حيث أقام هناك أعظم أهرامات ملوك كوش ٥٢ مترا مربعا، ومع ذلك فهو يعد أصغر من أى هرم ملكى فى مصر. تم تجهيزه ببناء تحت الأرض له تفاصيل خاصة، أدخل صالة دفن ذات أعمدة بقى منها الكثير من معدات الملك الجنائزية، وبعض كسرات من جمجمته، مكان استلقاء توابيته، أوانيه الكانوبية ومئات من تماثيل الشابتى.

الفصل السابع عشر

المجد الخافت (الهزيل)

بسماتيك الأول

٦٦٤ - ٦١٠ ق.م

أبحر الملك الجديد "تنتامون" فور وفاة عمه من نبتا ليعيد فرض حاكم كوشى جديد على مصر كلها. وبعد تأمين المدن الجنوبية كلها أخذ ممفيس ثم توغل أكثر فى الدلتا. كان النائب الآشورى المخلص "نخو" الأول قد توفى وأجبر ابنه "بسماتيك" على الهرب إلى "ننفه" فخضع باقى الأمراء المحليين جميعا للحاكم الكوشى الجديد.

أسرع أشوربانيبال بإرسال جيش إلى مصر ونجح فى رد تنتامون مرة أخرى إلى طيبة ثم إلى النوبة. استولى الغزاة على مدينة آمون وحملوا كميات من الغنائم إلى العراق، موفرين للعهد القديم نبوءات مسئولة عن انهيار أول مدينة إمبراطورية.

منذ إعدام والده لم يدخل ابن نخو الملك بسماتيك الأول إلى مصر إلا مع الجيش الآشورى، ويعده البعض مؤسس الأسرة ٢٦. تولى بسماتيك حكم سايس وممفيس وظلت باقى مصر فى أيدى سلالة رجال أخلصوا للملك "باى" منذ قرن تقريبا.

تدل كل الشواهد أن بسماتيك الأول كان تابعا مخلصا للملك اشربانيبال، حتى أنه اتخذ اسم آشوريا ثانيا وهو "تابوشزيباني". وكان واضحا أنه مثل سلفه تفناخت له طموحات اكثر من مجرد نائب. شهد العقد الأول من حكمه تمددًا تدريجيا لحدود سايس فى مصر، وقد ساعده فى ذلك صحوة دولة بابل وتهديدها لجنوبها الدولة

الآشورية التى لم تعد قادرة على إثبات نفسها بالنسبة لسياسة مصر الداخلية وستختفى الدولة الآشورية بعد خمسين عاما. سيتمكن بسماتيك من إعلان نفسه فى عام حكمه التاسع فرعون مصر المتحدة المستقلة.

يسجل لنا هيرودت أن تسلم بسماتيك الأول للحكم المنفرد كان تحقيقاً لنبوءة تؤكد أن أول الملوك الأثنى عشر الذين حكموا مصر سابقا وصب الزيت من القدور البرونزية فى معبد "هفاستوس" (= بتاح فى ممفيس) سيصبح سيد (ملك) مصر كلها.

".. كان أخر يوم فى الاحتفال، وعند ما حان وقت صب الخمر ذهب الكاهن الأعلى لإحضار الكؤوس الذهبية المستخدمة لهذا الغرض. أخطأ واحضر العدد ناقص واحدا فلم يحصل بسماتيك الذى كان يقف الأخير فى الصف على شيء. كان جميع الملوك مثل عادتهم يلبسون خوذات برونزية وبسماتيك وحده بلا كأس، وبكل براءة خلع خوذته وامسك بها ليتلقى الخمر وينفذ طقسه صب الخمر.."

يخبرنا الكاتب اليونانى أن القوة العسكرية التى اعتمد عليها بسماتيك فى حكمه المطلق كانت من الجنود المرتزقة الهيلينية. كانت الأسرة ٢٦ أو أسرة سايس بكل تأكيد صديقة شعوب البحر الإيجى.

كانت موالاة طيبة هى المبتغى الأول والأخير لتأثير أى حاكم كوشى فى مصر. فى العام التاسع من حكم الملك بسماتيك: جعل ابنته "نتوكريس" وريثة نهائية لزوجة الإله آمون الحالية "شبنوبت الثانية" ووريثتها "أمنرديس الثانية"، جميعهم مع الكاهن الأعلى "هارخبي" حفيد شاباقا وكانوا آخر وارثى السلطة من سلالة الأسرة ٢٥ والذين استمروا باستخدام (سنوات حكم) تأريخ الملك الراحل تنتانمون. اعتبرت طيبة مستقلة سياسيا منذ هروب الحاكم الكوشى بقيادة الكاهن الرابع لآمون "مونتجومحات". وقف حلفاء بسماتيك الأول إلى جانبه فى الأحداث الجنوبية الرسمية المتصاعدة أثناء حكمه. وأكد سيطرته على مصر الوسطى من خلال هؤلاء الحلفاء، وهم أصحاب السفن فى هيراكليوبوليس "بديس" وولده "سمتوتفناخت".



الشكل ٦٥. رأس ملك من الفترة المتأخرة.

العقود الأربعة الباقية فى حكم الملك اهتم فيها بتوطيد القوى داخل الدولة التى لم تر الحكم المركزى لفترة طويلة. قامت أعمال البناء بمقاييس محتملة فقط فى دولة متحدة، كثير من المواقع تحتوى على عناصر من مبانى بسماتيك الأول. خاصة قلاع الدلتا فى "نوكراتيس" و"دفنا" والواجهة الجنوبى فى "الفنتين". على الجهة الدينية وكان الملك مسئولا عن التمدد العظيم ل"السيرابيوم" بسقارة، وهو مكان دفن الثور أبيس.

العلاقات الأجنبية كانت مهمة جدا لتأكيد استقلال البلاد، توجهت حملة لجنوب النوبة لإحباط أى فكرة لملك كوشى للعودة للشمال مرة أخرى. وفى الشمال الشرقى أصبحت المتاعب الآشورية مجرد تحالف مع مصر لإعانتها على رد القوة

البابلية. خلال ذلك استعادة مصر السيطرة على الساحل الفلسطيني وحاربت إلى جانب فاتحها الأول في أواخر حكم بسماتيك. وكان لابد من مواجهة أمراء الدلتا الفارين إلى الجبهة الليبية، وفي مناطق خاصة مختلفة أعد نقط حراسة لضمان الأمان، ملتصقة بمبنى القلعة المذكور سابقا.

استمر الحكم في سايس بالانحياز إلى صفات الأسرة السابقة في تنسيق أسمائهم كان الاقتراب من بساطة الدولة القديمة محبذا عن التفاصيل الكثيرة للدولة الحديثة وبداية الفترة الوسطى الثالثة، وعلى النقيض كانت ألقاب أوسركون الثاني وبسماتيك الأول:-

أوسركون الثاني: حورس كا-ناخت-مرمات-سيخا-سو-رع-ام-نسو-ار-سبد-تاوى.

نبطى سيما-بيسحتي-مي-سيست-دمدجف-سخمتي- ام-حتب بيك-نوب وربحتي-هوي-منتجو.

اللقب (أوسرماتر-مريامون)

الاسم (أوسركون-سيباست-مريآمون)

بسماتيك الأول: حورس أيب

نبطى نيبا

بيك-نوب كينو

اللقب (واهيبرع)

الاسم (بسماتيك)

هذا الاهتمام بالماضى يظهر فى اتجاهات أخرى أيضا. منحوتات نمطها يشابه العصور المبكرة، وفى بعض الحالات صُنعت نسخ مطابقة تماما لأعمال قديمة. أعيد استخدام الأهرامات، وتم حفر ممر مدخل جديد تحت الهرم المدرج وخُصص تابوت جديد لمومياء منكورع المسروقة.

تزوج بسماتيك الأول من "محتموسخت" ابنة "حورسيس S" الكاهن الأعلى لهليوبوليس وعند موته عام ٦١٠ تليه ابنه "نخو الثاني". وكان حكمه من أطول فترات الحكم فى مصر حوالى أربعة وخمسين عاما .وهى فترة من أهم فترات إعادة توحيد الدولة بعد أربعة قرون من الانكسار والتشتت. دفن فى معبد "نيث" فى سايس لكن لم يتم التعرف إلا على تمثالين شاباتى من مقبرته.

أمازيس

٥٧٠- ٥٢٦ ق.م:

تبع نخو الثانى سياسة والده فى غزو سوريا وفلسطين كمساعدة للآشوريين ومن أجل طموحاته أيضا. اندفع شمالا حتى نهر الفرات ثم عاد أدراجه إلى حدوده بالجازا. خليفته بسماتيك الثانى وكان قصير العمر لكنه اشتهر بحملة إلى النوبة لمحاربة الكوشيين، وكان هو المسئول أيضا عن تقديس كثير من آثار الأسرة ٢٥. قام بحملة أيضا على سوريا وفلسطين وهى تظهر اهتمام مصر بأرض الشام لمواجهة التهديد البابلى المستمر.

تليه ابنه "ابريس" الذى اهتم أيضا بالشمال الشرقى فنظم حملات برية وبحرية على سواحل البحر المتوسط الشرقية. كما اهتم بليبيا أيضا ورأس حملة انتهت بكارثة للملك. الحملة نفسها كانت فاشلة عسكريا ووقع اللوم على الملك نفسه وقامت ثورة وفوجئ القائد "أمازيس" الذى ذهب لإخمادها بإعلانه الفرعون الجديد.

قتل الملك أبريس النبيل الذى حمل إليه أخبار موافقة أمازيس (أحمس) على هتاف جنوده بإعلانه فرعون، ثم رحل على رأس جيش من جنود الايجة المرتزقة لمقابلة المغتصب. تقابلت القوتان فى يناير/فبراير ٥٧٠ ق.م. شمال غرب الدلتا وأجبرت قوات أبريس على الانسحاب. بعد هذا النصر احتل أمازيس العاصمة ومدينة سايس وبدأ حكمه الرسمى رغم عدم وصوله جنوبا إلا لحدود الحيبا.

استمر أبريس ملكا على جنوب مصر وظل فى مجمع قصره الضخم بممفيس، ومن هناك رتب هجومًا لاسترداد عرشه فى أكتوبر ٥٧٠ بمساعدة الفرق اليونانية. انتصر أمازيس للمرة الثانية وهرب أبريس إلى الخارج حتى ظهر فى بلاط الملك البابلى "نبوشادنيزار".

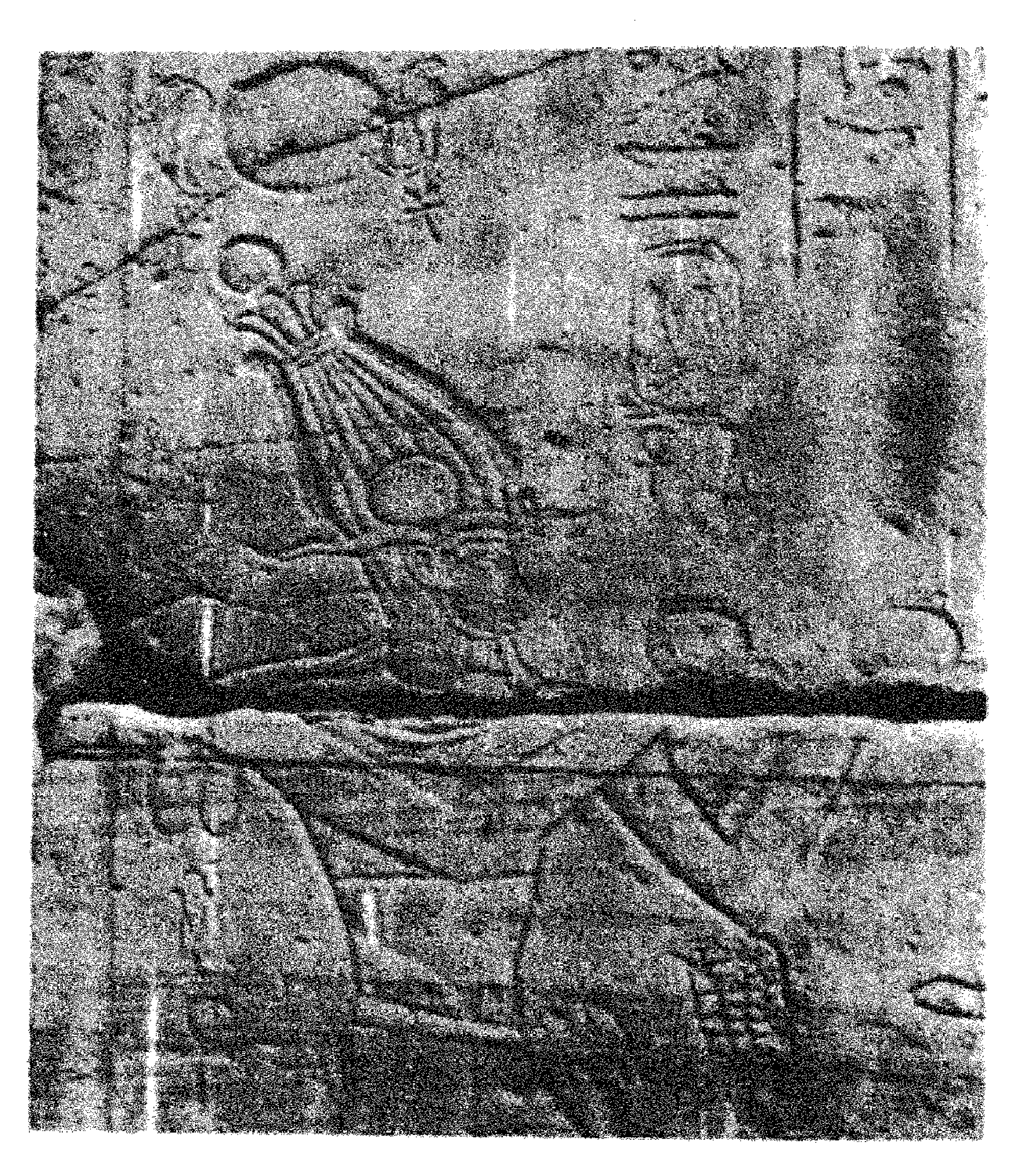
أعلن أمازيس وفاءه لمصر كلها بعد هروب الملك من مملكته، وحولت طيبة تحالفها بين ١٩ أكتوبر و٩ ديسمبر من عام ٥٧٠. لكن أبريس لم ينته بعد، ففى مارس ٥٦٧ عاد إلى مصر برفقة جيش بابلى. أعد أمازيس قواته وهزم عدوه للمرة الأخيرة، ويبدو أن أبريس قد أسر وعفى عنه فى البداية كما يخبرنا هيرودوت:

"..تذمر المصريون من الأخطاء التى فعلها وذكروا الرجل الذى كان ألد أعدائهم وألد أعداء أمازيس. وهنا أحضر أباريس للشعب الذى خنقه.."

ورغم ذلك دفنه أمازيس دفنا ملكيا مشرفا فى الجبانة الملكية فى سايس، مثل مقابر الملوك فى تانيس فى ساحة المعبد الرئيسى فى سايس والمكرس للآلهة نيث.

بعد التحرر من الأعداء، استعد أمازيس لتقوية عرشه كآخر الفراعنة العظماء. منذ وقت تأسيس الأسرة لعب اليونان دورا بارزا ليس فقط كجنود مرتزقة بالجيش بل إلي جانب الملك أبريس السابق فى الحرب الأهلية. وأصبحوا

أيضا متدخلين بشكل كبير فى تجارة مصر. ومع المعاهدة الإيجية التى شجعها بسماتيك الأول فى منطقة "نوكراتيس". اتخذ امازيس خطوات أوسع بالتركيز على الصفقات اليونانية فى هذه المدينة التى اتخذت شكلا هيلانيًا كبيرا. إلا أن تأسيس مركز تجارى من الصفقات اليونانية البسيطة كهذا زاد وأربح الدخل الملكى.



الشكل ٦٦. أمازيس كما يصور على واجهة مقصورة "أوزير-ونفر-نبجيفا" بالكرنك.

نشط أمازيس فى استصلاح أراضى الإيجة وتبادل الهدايا مع كثير من حكامها بالإضافة إلى ضم قبرص إلى دائرة النفوذ المصرية. هذا الاتجاه الشمالى لسياسة الملك له علاقة أكيدة بمواجهة تهديدات الشرق القادمة من بابل وبلاد الفرس سريعة التوسع.

بنى امازيس فى مصر كثيرا من الآثار الفخمة بممفيس، أبيدوس، كبتوس، الكرنك وعددا من المواقع بالدلتا. ثم بنى مقبرته مثل أسلافه فى سايس ورغم أننا لم نعثر على أثر لها إلا أن هيرودوت يصفها:

".. المقبرة بناء حجرى ضخم له ممر منحنى، مزين بأعمدة منحوتة على شكل نخيل وتحف ثمينة أخرى. داخل الممر المنحنى غرفة لها زوج من الأبواب، تقع المقبرة خلف الأبواب."

كان الملك أمازيس ابن السيدة "تاخرتنست" وقد تزوج من سيدتين "تنثيتا" و"تختسباسترو" وأنجب منهما كثيرًا من الأبناء، خليفته المنتظر "بسماتيك"، القائد "أحمس" و"باسنخنسو". دفن القائد أحمس ووالدته "تختسباسترو" فى مقبرة LG ٨٣ بالجيزة وتوجد نواميسهم فى "سانت بيترسبرج". احتمال وجود زوجة أخرى ابنة أبريس هى "خدبنيثررتبنرت"، وهى مدفونة فى سقارة. ابنته "تنوكريس الثانية" ربما ذهبت إلى طيبة لتصبح زوجة الإله المنتظرة حيث تبنتها شقيقة أبريس "عنخ سنفرب رع".

أعوام أمازيس الأخيرة كانت مشوشة من تنامى قوة الفرس التى منذ تخلصها من بابل فتحت الولايات اليونانية فى أسيا، وقد أصبحت القوة العظمى الوحيدة فى المنطقة. توجهت القوة الفارسية إلى مصر بقيادة "قمبيز" ووصلت إلى الجبهة فى نفس لحظة وفاة أمازيس بعد حكم استمر أربعة وأربعين عاما.

فترة حكم بسماتيك الثالث كانت قصيرة، وقد حاول مقاومة الغزو لكنه أجبر على الاستسلام فى ممفيس. وأخذ سجينًا وعفى عنه فى البلاط الفارسى أول الأمر لكن بعد أن تآمر لاسترداد عرشه حكم عليه بالموت.

يحكى هيرودوت أنه عند احتلال سايس أخرج "قمبيز" مومياء أمازيس من قبرها ومثل بها:

"كان فعلا مشيناً، أن تشد الجثة بالحبال وينزع شعرها، حتى تعب الجلادون. فى النهاية عندما لم يستطع تقطيع الجثة لأنها كانت محنطة جيدا أمر قمبيز بحرقها".

هذا القدر لا يختلف كثيرا عن قدر جثة أخناتون قبل ثمانية قرون كذلك أوسركونB. ستبقى دائما شكوك حول صحة القصة رغم الأدلة الواضحة على مسح أسماء أمازيس من العديد من النقوش. منبع الشكوك هو قمبيز نفسه، فينسب لأفعاله القاسية جرح وقتل الثور المقدس أبيس فى ممفيس. فى لوحة بمقبرة الثور يظهر فيها مقتولاً تحت أرجل قمبيز، وتؤرخ اللوحة لحكم قمبيز كفرعون. وهذا النقش يتوافق مع قصة هيرودوت بأن الدفن أقامه الكهنة سراً.

بالإضافة إلى نقش حديث يعود لـــ"اودجاحورسنيث" يقرر أن الملك الفارسى هو مؤسس الأسرة ٢٧ وقد احترم مقومات الدين المصرى. ويالللأسف العمل بالكامل دمرته الحملة الإعلامية من الجانبين فيصعب التحقق من صحته.

الفصل الثامن عشر

الغروب الوطنى

نختتبو الأول

٣٨٠ -٣٦٣ ق.م

سيطر ملوك الفرس على مصر فترة تزيد على قرن. خاصة فى حكم الملك "داريوس الأول" حيث بدت الأمور هادئة. لعب الملك الفارسى دور الفرعون بشكل جيد ليحصل على الوفاء من حاشيته المصرية، لكن ذلك لم يكن الحال مع خليفته "إكسركس الأول" الذى يعد عدوا لمصادرته ضياع المعابد المهمة.

لذلك تميزت فترات حكم الملوك "إرتاكسركس الأول"، "إكسركس الثاني" و"داريوس الاثني" بالثورات. واجه "إناروس" أول هؤلاء الملوك الفرس ونجح فى قتل الحاكم الفارسى أو "ساتراب". أسر إناروس وقتها وأُعدم لكن حل محله "أميرايوس" للتأكيد على عدم الرضا القومى.

فى النهاية عند تتويج "أرتاكسركس الثاني" عام ٤٠٥ ظهر أميرايوس جديدا من سايس وحقق استقلالا اسميا كملك وحيد فى الأسرة ٢٨. طبيعة مركزه الضعيف تفسر لنا استمرار خدمة الجنود المصريين فى الجيش الفارسى حتى بعد ثلاث سنوات من حكمه.

لم يكن أميرايوس هو الوحيد الذى يطمح فى عرش الفرعون، ففى عام ٣٩٩ أسر "نفريتس الأول" ملك الأسرة ٢٨ وأحضره إلى ممفيس وهناك أعدمه. وبذلك بدأ حكمه الخاص أى الأسرة ٢٩. وبدأ الخط الملكى الجديد من منديس حيث مقبرة المؤسس التى اكتشفتها مؤخرا بعثة جامعة "تورونتو".

نجح "نفرتيس الأول" وخلفاؤه خاصة "أخوريس" فى تقوية مركزهم فى وجه محاولات "أرتاكسركس الثاني" لاستعادة السيطرة على مصر. استطاع "أخوريس" أن يوحد البلاد وبدأ برنامجا بنائيا لكن الثورات قاطعته فى أعوامه الأخيرة حيث استقرت بذور نهاية الأسرة. أخمد القائد "نختنبف" ثورة فى عام حكم "أخوريس" الثامن ثم انقلب على سيده الملك وأنهى حكم "نفرتيس الثاني" وأصبح هو الملك "نختنبو الأول".

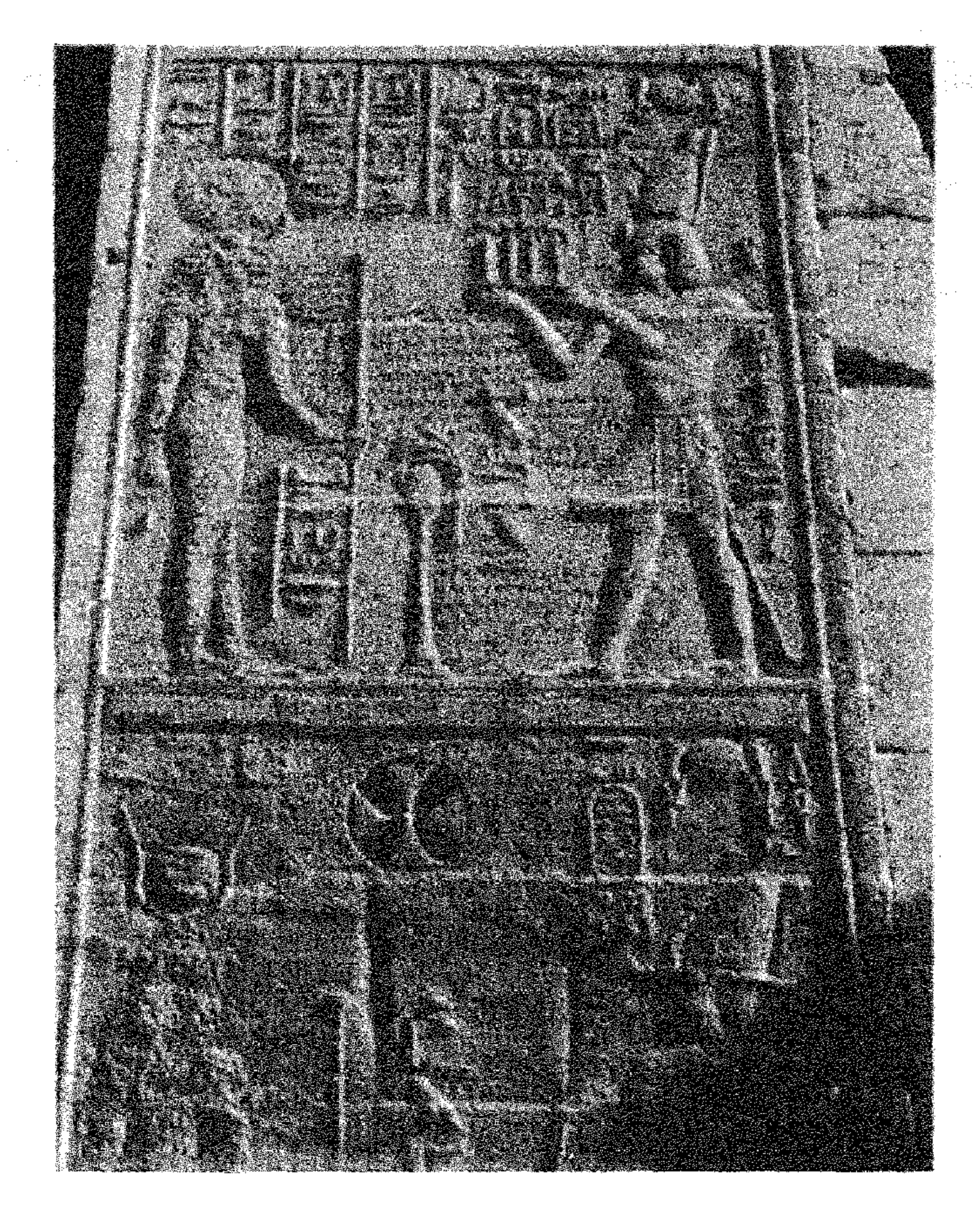
تولى مؤسس الأسرة الجديدة الحكم فى مدينة "سيبانيتوس" وهو ابن قائد القواد "دجدحور" ربما من سلالة نفرتيس الأول. كان مرتبطا جدا بالقائد الاثينى "خابرياس" الذى رأس الجنود اليونان المرتزقة الذين شكلوا قلب الجيش الاخوريسى فى الجزء الأخير من حكمه.

خلفية نختنبو العسكرية جعلته فى موقف جيد عندما حاول أرتاكسركس الثانى إعادة مصر إلى الحظيرة الفارسية عام ٣٧٣ق.م.، بدلا من فقد الفرعون لمهارات والد زوجته عندما استدعى للعمل فى شرق الدلتا وفشل فى العودة للوطن. استمر الفرس فى زيادة قوتهم، لكن فيضان النيل ساعد المصريين فى دفع الغزاة بعيدا وبذلك أمنت الجبهة لنهاية حكم نختنبو الأول.

كان نختنبو الأول مهتمًا بالألقاب القديمة مثل بسماتيك الأول واستخدم نفس لقب سنوسرت الأول من الأسرة ١٢. كما بنى بمهارة والأسلوب الفنى المستخدم يبعد عن الخصائص المصرية الكلاسيكية ويرتبط أكثر بالآثار اليونانية. ومن بين هذه الآثار الأجزاء الباقية من معبد فيلة وعدد كبير من المنحوتات التى وجدت طريقها إلى العاصمة الهيلانية الإسكندرية، ومنها إلى روما حيث شكلوا القواعد الأولى لتقييم الفن المصرى القديم.

كانت هناك محاولة لتجديد التحالف القديم بين مصر والقوى الهيلانية أثينا واسبرطة عند نهاية الحكم. لمواجهة الصدام التالى مع القوة الفارسية التى لم تنس (مصر) تابعها الثائر.

دفن نختنبو الأول فى "سبنايتوس" لكن أنقاض مقبرته بقيت مشتتة، تم التعرف منها على بعض قطع الشابتى. بينما القطع المكسورة من ناموسه نجت من إعادة استخدامها فى مبانٍ متنوعة بالقاهرة، وهى نسخة مطابقة لأمثلة الأسرة الثامنة عشر.هذه الصيحة (الموضة) تبناها بعض مشاهير الفترة مثل "حابمين" وناموسه (الموجود الآن فى المتحف البريطاني) زينته الخارجية نسخة واضحة من غطاء تحتمس الثالث الذى صنع من آلاف السنين.



الشكل ٦٧. الملك نختنبو الأول يقدم القرابين للآلهة فى مدخله بمعبد إيزيس بجزيرة فيلة. النقوش اليونانية والصليب المسيحى يميز مرور ستة قرون من الحضارة القديمة بعد موت أخر ملك (من اثنين) مصرى وطنى.

نختنبو الثاني

٣٦٠ -٣٤٢ ق.م

خلف نختنبو الأول ولده "توس" الذى لعب دورًا رئيسًا فى أعوام والده الأخيرة عندما كان نائبًا له. ذهب لمواجهة الفرس مساندا الثوار ضد "أرتاكسركس الثاني". وكان على رأس جيش يحتوى على كثير من جنود اليونان المرتزقة تحت قيادة الملك "أجلاوس" ملك اسبرطة. وفى غياب الفرعون تولى حكم البلاد شقيق

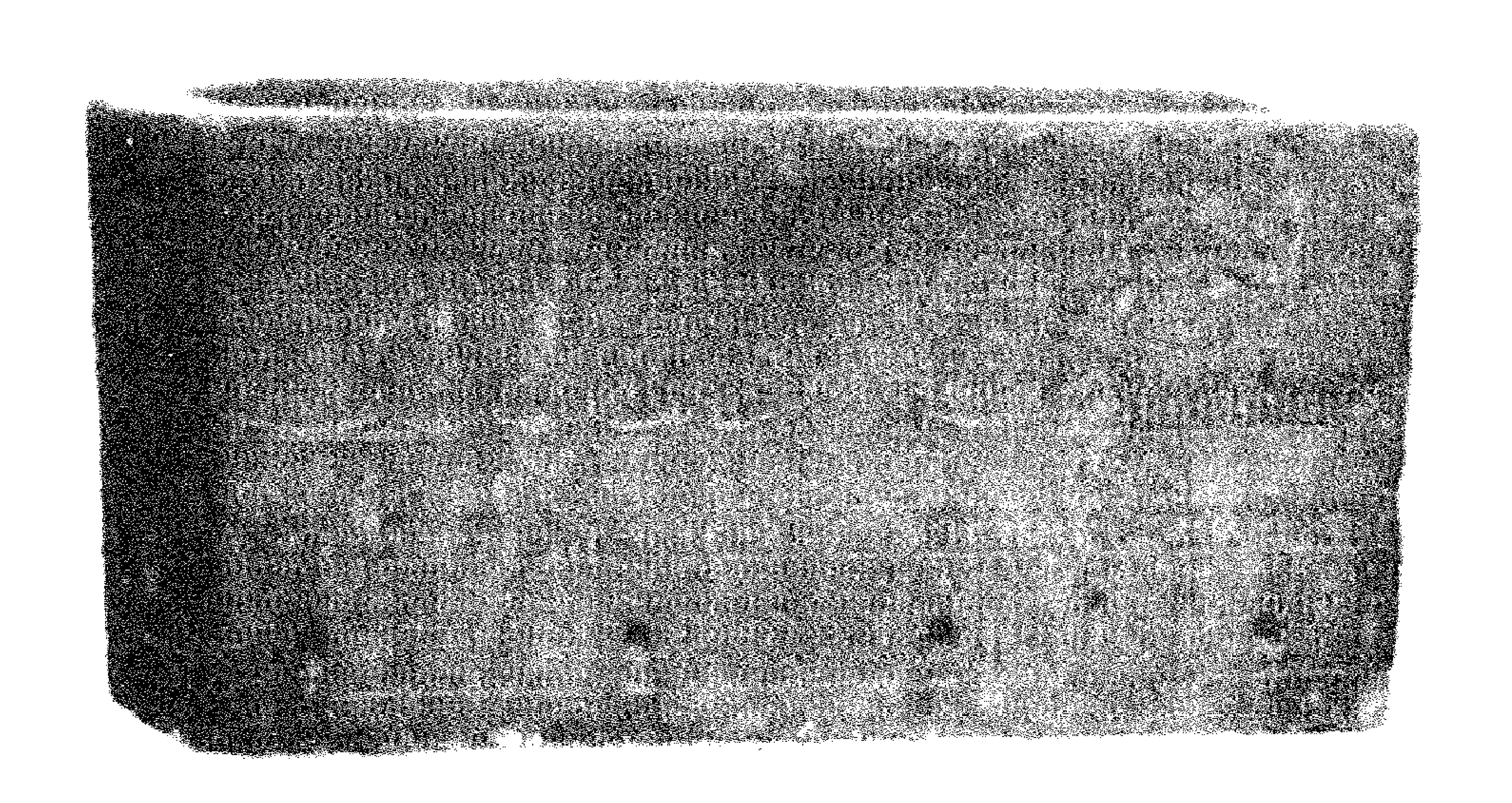
"توس" الأكبر "تجاحبيمو" الذى ربما تجاوزته ولاية العهد إلى شقيقه الأصغر لأنه ولد عند تتويج نختنبو الأول. عند عودة "خابرياس" إلى مصر وجه مساندته لقوات الملك الجديد.

اضطر الملك توس لفرض ضرائب على الشعب لتمويل حربه وكانت هذه هى الشرارة التى استخدمها شقيقه لإشعال ثورة ضده. كان ابن "تجاحبيمو" "ناخثورحب" يخدم فى الجيش الملكى فى سوريا فى ذلك الوقت، وقد نجح فى ضم بعض الرجال والجنود اليونان إلى التمرد وأصبح هو الملك "نختنبو الثاني". وسيق توس المخلوع إلى بلاط عدوه "أرتاكسركس الثاني" الفارسى حيث عومل هناك بكل تقدير.

اغتصاب نختنبو الثانى للحكم تم على يد رجل غير معروف من منديس كإيعاز لمحاولة الوصول إلى العرش الخاصة به ربما لأنه سليل الأسرة ٢٩ التى حكمت من هذه المدينة. فى حرب أهلية قصيرة حوصر الملك الجديد فى تانيس وساندته قوات صديقه ملك اسبرطة. تقدم الملك المخلوع توس بتهديد آخر ممثل للقوة الفارسية لكن بعد موت هذا الفرعون، تمكنت القوات اليونانية الخاصة بنختنبو مرة أخرى من الحفاظ على الاستقلال المصرى فى ذلك الوقت.

أكمل الملك برنامج نختنبو الأول البنائى بكثير من الآثار فى مصر كلها. دفن الملك والدته "أدجاشو" فى ناموس جيد توجد بقاياه حاليا فى المتحف المصرى. استمر التهديد الفارسى وأخيرا فى خريف ٣٤٣ نجح الملك الفارسى "أرتاكسركس الثالث فى دخول شمال مصر بالقوة. خرج نختنبو الثانى من ممفيس وتراجع إلى مصر العليا حيث استطاع العودة مرة أخرى بعد عودة "أرتاكسركس" الثالث إلى بلاده فى نهاية موسم الحملة. لكن الملك الفارسى عاد مرة أخرى وأجبر نختنبو على الانسحاب جنوبا حتى النوبة فوجد الملاذ فى بلاط كوش.

كما جرت العادة كان نختنبو قد بدا فى إعداد ناموسه منذ سنوات وترك خلفه أثره الضخم. تاريخ الأثر اللاحق أكثر تشويقاً لأنه فى القرن السابع عشر بعد الميلاد إن لم يكن قبل ذلك قد وظف فى مسجد فى الإسكندرية باسم "العطار" واستخدم كحمام تقليدى بفجوات فى جزئه السفلى للسماح للمياه بالخروج. أخذه البريطانيون عام ١٨٠٠ مع أثار أخرى من بينها حجر رشيد الشهير الذى استقر فى المتحف البريطانى. ظهوره فى الإسكندرية يطرح اقتراحات عديدة أنه ربما حمل جثة الإسكندر الأكبر. رغم عدم وجود دليل حقيقى فإن فكرة استخدام ناموس آخر الفراعنة لحمل جثة الفاتح العظيم الذى أغلقت أعماله عصر أثرى كامل، لها جاذبيتها.



الشكل ٦٨. ناموس نختنبو الثانى، لم يستخدمه مالكه أبدا لكنه استخدم حينها كحمام تقليدى.

الخاتمة

برحيل الملك "نختنبو الثاني" انتهى استقلال مصر لفترة حوالى ألفية كاملة وثلاثة أرباع ألفية أخرى. حكمها الفرس لعشرة أعوام قبل أن يطردهم الإسكندر الأكبر المقدونى. عند انكسار إمبراطورية هذا الفاتح وقعت مصر فى يد القائد "بطليموس" ابن "لاجوس" الذى أسس "خط ملكى هيلانى" حكم مصر لثلاثة قرون. لم تكن دماء البطالمة أو كليوباترا مصرية رغم أننا نشاهدهم مصورين بالزى الفرعونى الكامل على كثير من المعابد التى أقاموها أو قاموا بترميمها، ومن الواضح أن حكمهم كان هيلانى الشكل بكل المقاييس. على الجانب الأخر استمر اتباع النموذج المصرى فى كل المجالات الإدارية واستمر القانون الوطنى مستخدمًا إلى جانب قوانين البطالمة واليونان.

الجزء الأخير من الأسرة البطلمية شقته صراعات داخل الأسرة الملكية فأدت إلى دخول البلاد تحت النفوذ الرومانى، بفضل آخر الملوك البطالمة الملكة كليوباترا السابعة وعلاقتها بيوليوس قيصر والقائد مارك انطونيو. وفى عام ٣٠ قبل الميلاد سقطت مصر فى يد "اكتافيوس" أو الإمبراطور أغسطس وأصبحت مصر فى القرون الستة التالية جزءًا من الإمبراطورية الرومانية البيزنطية. ورغم عدم وجود عقبة استقلال، استمر الملوك فى الظهور كفراعنة على جدران المعبد ويعبدون الإله القديمة حتى زوال الديانة القديمة فى القرن الرابع الميلادى.

بعد أن أصبحت مصر دولة مسيحية سقطت فى يد العرب عام ٦٤٠. ثم مرت الدولة العربية الإسلامية تدريجيا بعصور قوة وضعف من الحكم الذاتى حتى انضمت للإمبراطورية العثمانية عام ١٥١٧. بعد فوضى حروب نابليون حيث احتلت فرنسا مصر مؤقتا. أمن الوالى "محمد على" لنفسه مساحة واسعة من الحرية

عن السلطة العثمانية وارتفع خلفاؤه لشرف رتبة "الخديو" (الحاكم النائب). وياللأسف بسبب سوء تدبيرهم للاقتصاد المصرى وعند إعلان تركيا الحرب على بريطانيا عام ١٩١٤، وضعت مصر تحت الحماية البريطانية فى الجزء الأخير من القرن ١٩، وتمت ترقية الخديو لرتبة سلطان.

أول إعادة للقب الملكية المصرية كان على يد الملك "فؤاد الأول" (كان سابقا للسلطان أحمد فؤاد) حوالى عام ١٩٢٢، لكن الحرية الوطنية الحقيقية لم تتحقق لعدة عقود حتى انتهاء الحماية البريطانية. أعلنت مصر النظام الجمهورى عام ١٩٥٢ بعد طرد الملك فاروق الأول ثم الحكم القصير لولده الطفل "أحمد فؤاد الثاني" أخر من يمكن أن ندعوه

((ملك النيل)).

المؤلف فى سطور :

إدان دودسون

ولد عام ١٩٦٢ فى لندن ونشأ فى سلاو Berkshire. درس علم المصريات بجامعات دورهام، ليفربول وكمبريدج. حصل على شهادة البكلوريا فى عام ١٩٨٥ ، و Mphil فى عام ١٩٨٦ والدكتوراه فى عام ١٩٩٥ ؛ وقد انتخب زميل من جمعية Antiquaries لندن فى عام ٢٠٠٣. يعمل بالتدريس فى إدارة الآثار والأنثروبولوجيا فى جامعة بربستول منذ عام ١٩٩٦. وقد ألقى عدد من محاضرات عامة فى المملكة المتحدة، الولايات المتحدة الأمريكية، كندا مصر الدانمارك، إيطاليا وإسبانيا.

المترجمة فى سطور :

مروة سعيد الفقى

- حاصلة على ليسانس آداب وتربية لغة إنجليزية عام ٢٠٠٠
- حاصلة على دبلومات خاصة فى التربية ٢٠٠٢

دراسات عليا لتمهيدى الماجستير

- أول اشتراك فى المشروع القومى للترجمة عام ٢٠٠٥

وأول كتاب كان "آلهة مصر القديمة وأساطيرها"

- تعمل حاليًا بوزارة التربية بدولة الكويت .

التصحيح اللغوى : محمد الشربينى
الإشراف الفنى : حسن كامل